

آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر مع شقيقه السيد صادق

كذلك نقل السيد صادق، إحدى ذكرياته عن زيارته الثانية للعراق برفقة صادق قطب زادة^(١)، حيث قال: «في تلك الرحلة كان من المقرر طبقاً لطلب زملائي في الاتحاد، أن التقط عدة صور للإمام الخميني قدس سره؛ ولكنني كنت أعرف أن هذه المهمة ليست سهلة بسبب معرفتي بشخصية سماحته، لذا طلبت العون من الحاج السيد مصطفى لتسهيل الأمر، والتقيت بسماحته بعد أن أخذت معه جميع وسائل التصوير، وكان جالساً في الغرفة العلوية، وسألني بعد عدة لحظات: «ماذا تريد أن تفعل»؟ فقلت: لا أريد أن أزعج سماحتكم، أرجو أن تقوم بأعمالك كالعادة، وأنا سألتقط عدة صور متنوعة تلبية لطلب زملائي في الاتحاد،

(١) صادق قطب زادة (١٩٣٦ - ١٩٨٢ م) من أتباع الإمام الخميني (رض) ومرافقه في باريس. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهاشم الرابع في نهاية الفصل.

فقال سماحته: «وما فائدة مثل هذه الصور؟» أجبت: إن قيمتها بالنسبة لنا كبيرة. وبدأت بالتقاط الصور، وبلغ عددها ثلاثين صورة. بعد تقديم الشكر والتوديع، ذهبت إلى منزل الحاج الشيخ نصر الله خلخالي فالتفيت بصادق قطب زادة هناك.. ثم خرجت من الغرفة لعدة دقائق أغسل فيها وجهي ويداي، وعدت ثانية إلى الغرفة، وحينما أردت التقاط عدة صور للشيخ خلخالي وقطب زادة، انتبهت إلى أن الفيلم لا يتحرك في الكاميرا، فقلت لربما أنه تمزق داخل جهاز التصوير، فغادرت إلى أحد محلات التصوير بالقرب من البيت، وطلبت منه أن يخرج الفيلم من الكاميرا في المختبر، إلا أن المصور عاد بعد عدة لحظات وقال إن الكاميرا لا تحتوي أي فيلم!!.. شككت بالمصور وظننت أنه أحد المتعاونين مع الأمن العراقي أو من أعضاء حزب البعث الحاكم في العراق، وقد سرق الفيلم ليسّمه لهم، لأنني كنت متأكداً من وجود الفيلم في الكاميرا أصلاً».

«وبعد أن تأكدت أن لا فائدة من الجدال والنقاش مع المصور، عدت إلى المنزل نادماً ومتآلماً بسبب ذلك، ونقلت ما حدث لي للسيد قطب زادة، ومن ثم للحاج السيد مصطفى، فقال: «لا بأس من ذلك» فسألت نفسي: لماذا حصل ذلك وقد تعبد كثيراً لإنجاز هذه المهمة والتقطت عدة صور رائعة لسماحة الإمام بعد الاستئذان منه، والآن أرى أن جهودي ذهبت عبثاً».

«وعندما شاهد السيد مصطفى حالي وتآلمي بسبب ذلك، قال: «سوف أستأذن مرة أخرى من سماحة الإمام وأطلب منه وقتاً من أجل ذلك»، فقلت: ما هو المبرر هذه المرة؟ فقال: «سأصارح سماحته وأقول له أن الصور التي التقطت لسماحتك لم تكن ذات نوعية جيدة

ونطلب لقاءً آخر». فقلت له: إن هذا التبرير سيؤكد بساطتي وضعفي بهذا الشأن. فقال: «حسناً وهو كذلك، ولكنك ينبغي أن تتحمل ذلك من أجل تحقيق الهدف».

وهكذا ذهبت إلى بيت الإمام (رض) مرة أخرى عصر اليوم التالي، بعد أخذ موعد مسبق، وكان سماحته هذه المرة جالساً على بساط أزرق في الباحة ومستندًا لوسادة مشغولاً بقراءة الرسائل.. سلّمت على سماحته باستحياء واعتذر لزعاجه مرة أخرى، إلا أن سماحته أجابني بابتسامة ملؤها المحبة والرقة.

بعد عدة دقائق من الحوار وتبادل كلمات المودة مع سماحته واحتساء كوب من الشاي، التقى عدد صور له بينما كان منشغلًا في أعماله المعتادة وانصرفت مودعًا وشاكرًا له».

«ذهبت بعد عدة أيام برفقة قطب زادة إلى لبنان، وبينما كنا جالسين مع خالي الإمام موسى الصدر في صالة «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى» و كنت أقدم تقريراً عن رحلتنا للعراق ولقاءاتنا هناك، خاطبني خالي قائلاً: «سمعت أن البعضين العراقيين سرقوا الفيلم الذي صورته هناك». وحينما شاهد مدى تأثيري وانزعاجي من ذلك قال لي مازحاً ومبتسماً: «هل تريد أن أطلب منهم أن يعيدوه لك؟!».

بعد استماعي لهذه الكلمات المعبرة لخالي نظرت لقطب زادة الذي رفع رأسه للحظة بعد أن كان ينظر للأسفل، وقال لي: «أردت أن القنک درساً في ضرورة الحذر الأمني والعمل التنظيمي المحتاط، وأن لا ترك لوازم العمل والوثائق الخاصة المهمة في أي مكان براحة بال، دون أدنى اهتمام». أجبته قائلاً: تعلم خلال هذه الزيارة أن لا أثق بأي أحد بعد

الصور في بيروت وأرسلناها إلى أصدقائي في الاتحاد».

أجل لقد انقضى الوقت بسرعة ونحن نستمع لذكريات السيد صادق خلال الطريق إلى النجف الأشرف.. وفجأة أخبرنا السيد أحمد أننا نقترب من المدينة وعلى وشك الوصول.

بعد وصولنا إلى النجف الأشرف، طلب السيد أحمد من شقيقه صادق أن يرافقنا إلى بيت سماحة الإمام. قبل بدوره الدعوة ولم يذهب كالعادة إلى بيت الحالة «فاطمة».

بيت الإمام الخميني (رض)

وصلنا بيت سماحة الإمام (رض) مسرورين، كما أن سماحته والسيدة زوجته، فرحاً أيضاً برؤيتنا.. لا سيما رؤية حفيدهما حسن، وقد أوصاني سماحته أن أهتم برعاية شقيقه صادق أكثر. ورغم أن السيد صادق كان له أصدقاء كثُر في النجف الأشرف، ويدعى غالباً من قبلهم، إلا أنه كان يفضل في أكثر الأحيان، أن يذهب إلى بيت حالي «فاطمة»، لأنه كان يأنس بالحوار وتبادل الأفكار مع زوجها آية الله السيد محمد باقر الصدر (رض).

بعد مرور عدة أيام سافر السيد أحمد برفقة شقيقه صادق، والسيدين حسين الخميني وداعي، إلى مدينة كربلاء لزيارة مرقد الإمام الحسين (ع) وبعد عودتهم من هناك سافرا إلى لبنان للاشتراك في مراسم الأربعينية الدكتور شريعتي التي أقامها خالي الإمام موسى الصدر في بيروت، وقد غادر النجف الأشرف إلى لبنان عدد من الشخصيات، ومنهم السيد داعي للمشاركة في المراسم.

بعد مغادرة شقيقى السيد صادق انزعجت كثيراً وضاق صدرى لفراقه وجلست كئيبة في الغرفة وتذكرت مرحلة طفولتى حيث كان أشقاء يحيطون بي من كل جانب لأنى كنت شقيقتهم الوحيدة وكانوا ينادونى بكل محبة (آبجي خانم).

أتذكر عندما كنت صغيرة صدر مني في أحد أيام الشتاء تصرف طفولي أزعج شقيقى صادق بشدة وقابلنى بتوجههم، فلجمأت باكية إلى شقيقى الآخر جواد قائلة له: «لماذا يدللنى شقيقى صادق في الصيف ويتركنى في الشتاء؟!». وكان شقيقى جواد يسرد هذه الحادثة بتصرف بين أعضاء الأسرة، مما دعا صادق إلى احتضانى ضاحكاً ويقول لي: «أنت دائماً عزيزة عندي ولن أتركك أبداً».

وكنت أحياناً وأنا بعيدة عن أسرتي، أشتاق إلى أمي وأبي وأخواتي وبالتالي إلى بيتنا الذي قضيت فيه طفولتى وصباى، وأسرد مع نفسي ذكرياتي عن تلك المرحلة المهمة من حياتي.

تذكرت أنه في إحدى المرات عندما كان أبي وأمي في مكة المكرمة، أخذونا إلى ضيافة إحدى العوائل، وهناك سمعت أن شيئاً طاعناً في السن، اختنق وهو يرمي الجمرات، فسألت خالتى السيدة «رباب» بانزعاج: إن أبي أيضاً شيخ طاعن في السن؟! فاختنقت بعترتي وبكيت بشدة مما دعا خالتى لتحتضنني وتخفف عنّي.

وبينما كنت سارحة في هذه الأفكار والذكريات، رأيت السيد الإمام (رض) واقفاً عند باب الغرفة، حيث كان سماحته قد أحسّ أن صدرى قد ضاق وانزعجت بعد مغادرة شقيقى صادق، لذا جاءنى ليخفف عنّي وجلس قليلاً في الغرفة وتحدث معي حتى عاد السيد أحمد إلى البيت بعد أن ودع السيد صادق، ثم اقتربت السيدة أم أحمد أن نذهب معاً لزيارة مسجد الكوفة، فذهبنا إلى هناك.



من اليمين: السادة حسين الخميني، أحمد وصادق في زيارة كربلاء المقدّسة



وسط الصورة السادة: أحمد موسوي بجوردي وحسين الخميني في طريق النجف
الأشرف - كربلاء المقدّسة



من اليمين: السادة حسين الخميني، أحمد ودعائى في زيارة كربلاء المقدسة

برنامج الإمام اليومي الثابت

البرنامج اليومي لسماحة الإمام لا يتغير، فهو ثابت منذ عدة سنوات، ويفنده سماحته بشكل منظم ودقة متناهية، وأستعيد في ذاكرتي ما قالته السيدة زوجته يوماً لنجلها السيد أحمد: «لو شرحت لك فقرات برنامج والدك اليومي لأتمكنك أن تعممه على ثلاثة وخمسة وستين يوماً.. أي طوال العام، حينها ستكون مطلعاً على تفاصيل برنامجه اليومي».

اعتماد سماحة الإمام أن يستفيق في الصباح الباكر بينما الجميع نائمون، حيث يقدم العامل وجبة الإفطار لسماحته، وهي مكونة من الخبز والجبنه والشاي. ويقوم سماحته بتناول الوجبة لوحده ثم يتمشى لنصف ساعة، ويدخل في الغرفة العلوية للمطالعة، بعد ذلك يخرج إلى مسجد الشيخ الأنباري في (سوق الحويش) لإلقاء الدروس هناك، ثم يعود غالباً إلى البيت قبل ساعة ونصف من أذان الظهر للاستراحة، حيث

تقدّم له الفاكهة وقد أعدتها له زوجته بإتقان مع قليل من المكسرات الإيرانية التي كان يبعث بها الأصدقاء والأقرباء من إيران، ثم يتمشّى سماحته لنصف ساعة وينام قليلاً^(١) قبل أن يتهيأ مرة أخرى للذهاب إلى مسجد الشيخ الأنصارى لأداء صلاته الظهر والعصر جماعة، ويعود بعدها إلى البيت لتناول وجبة الغذاء والاستراحة.

وقد جرت العادة أن يتم وضع عدد من الكتب المتنوعة والمؤلفة حديثاً، والواصلة لمكتب سماحته من أنصاره وأعضاء الاتحاد الإسلامي الطلابي في أوروبا وأميركا، في الغرفة السفلية ليطالعها السيد الإمام طبق برنامج معين، وفي أوقات محددة مسبقاً.

وأتذكر عدداً من عناوين الكتب التي رأيتها هناك، منها: «الفارسية سكر» للسيد جمال زادة، و«طلع الانفجار»، و«أفضل الجهاد» (رسالة مفتوحة للشاه) للسيد علي أصغر حاج سيد جوادي، ومؤلفات أخرى أعدّها عدد من الطلبة من أعضاء الاتحادات الإسلامية الطلابية، كذلك «تفسير سورة الانفال» من إعداد منظمة مجاهدي الشعب (خلق)^(٢)، فضلاً عن مؤلفات الأستاذ جلال آل أحمد والدكتور علي شريعتي.

وقد كنت آنذاك منشغلة في مطالعة رواية «زوج الغزالة» للسيد علي محمد أفغاني، حيث طلب مني سماحته أن في متناوله متى ما توقفت عن مطالعته؛ والملفت أن السيد الإمام انتهى من مطالعة الكتاب قبل أن أكمل مطالعته..

(١) يستحب النوم قبل أذان الظهر وتسمى (القيلولة)، حيث جاء في الأحاديث إن نوم القيلولة تزيد الوعي والذكاء.

(٢) بعد أن طالع الإمام الخميني هذا الكتاب، بعث سماحته لهم من خلال السيد دعائى، تبيهًاً وهو أنكم ت يريدون أن تمزجوه بين الأخلاق الإسلامية والاقتصاد الماركسي، وهذا هو عين الالتقاط الفكرى.

كذلك كان سماحة الإمام، إلى جانب هذه المطالعات المتفرقة والمتنوعة، اعتاد على تلاوة القرآن المجيد عدة مرات في اليوم، قبل صلاة الفجر عند الاستيقاظ من النوم، وقبل صلاتي الظهر والمغرب، وبعد صلاة العشاء، بحيث كان يختم القرآن مرات عدّة خلال الشهر الواحد.

أتذكر، كذلك، أنه في تلك الأيام شعر الإمام بتوشك في عينيه، وقد زارنا طبيب عراقي (كان سماحته معجباً به لأنّه يشبه شقيقه السيد هندي)، كما ذكرت ذلك السيدة أم أحمد)، وفحصهما وقال لسماحته: «يجب أن لا تطالع»! فقلت: «إن سماحته يقرأ القرآن كثيراً بالإضافة إلى مطالعات متعددة»؛ فقال الطبيب له: «يجب أن لا تقرأ القرآن أيضاً!!» فنظر سماحة الإمام لي، ومن ثم إلى الطبيب، وقال: «أيها الطبيب، إنني أريد عيني لأقرأ القرآن بهما!!»، وكانت كلمة صعب على فهمها آنذاك، لكنها ظلت في ذهني وذاكري وتأخذني أحياناً لتفكير عميق. وبعدها سمعت من سماحته، أن النظر إلى القرآن الكريم عبادة.. وينقل عن الإمام جعفر الصادق (ع) أن أحدهم سأله: «أنا حافظ للقرآن الكريم وأحصل على الثواب إن قرأت القرآن حفظاً»، فقال له: «اقرأ وأنظر في المصحف فهو أفضل»، ثم أضاف: «إن النظر في المصحف عبادة».

أجل، لقد كان سماحة الإمام يعتقد بهذا الحديث عميقاً، لذا كان يعمد إلى قراءة القرآن الكريم باستمرار. وقد كنت سمعت من سماحته أن أول آية نزلت من القرآن المجيد، أمرت بقراءة القرآن لأن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله (ص) بالقول: ﴿أَقِرُّا بِإِيمَانِ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَ...﴾^(١)، كما يقول جلّ وعلا ﴿فَاقْرُءُوا مَا يَسِّرَ مِنَ الْقُرْآنِ...﴾^(٢)

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١.

(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

الخادمة الطائشة

«زهراء» بنت عمرها حوالي اثني عشر عاماً، كانت تخدم في بيت سماحة الإمام في النجف الأشرف، وكان أبوها عراقياً وأمها إيرانية، وقد جاءت بها أمها للسيدة أم أحمد وطلبت أن تبقيها عندها لتساعدها في أعمال البيت.

وكانت الصغيرة «زهراء»، ذات سلوك طفولي عجيب، ولم تكن تعرف أسلوب التعامل المناسب مع الإمام وزوجته، كما أنها لم تكن مجديّة في عملها، وكان الحاج السيد مصطفى المعروف بالتزامه العميق باحترام والديه، لم يكن يتحمل بعض تصرفاتها وكلامها، ولم يكن راضياً عن وجودها في البيت، إلا أن سماحة الإمام والسيدة زوجته، كانا يأنسان بها ويحبانها. وقد قامت السيدة أم أحمد بتعليمها آداب الاستقبال التقليدي المتبعة داخل الأسرة، وكانت بدورها تقوم بتطبيق تلك التعليمات بشكل جيد خلال استقبال الضيوف، ولكن، ما أن يغادر الضيوف البيت، تبدأ زهراء بأعمالها الطفولية، حيث تقوم بالضحك بصوت مرتفع وتعمل على لفت الأنظار إليها، ثم تقوم بترتيب الوسائل والمساند في الغرفة بشكل فرس وتصعد فوقه وتدور داخل الغرفة وتقفز من فوقها، وكانت الصغيرة تصرّ على السيدة أم أحمد أن تشاهد عروضها الطفولية عن قرب، وكانت السيدة بدورها مرغمة على مشاهدة تلك العروض والألعاب.

كنت أتعجب من صبر السيدة أم أحمد وتحملها، إلا أنها كانت تقول: «ليس أمامنا سوى الصبر والتحمل في مثل أجواء الغربة والوحدة هذه التي نعيشها في النجف الأشرف، وأن نشغل أنفسنا أحياناً، بمثل هذه الأمور».

من الصور الأخرى لسلوك «زهراء» الطفولي، أذكر أنها حينما

كانت تُكلّف، أحياناً، بجلب أوراق من المكتب إلى سماحة الإمام، وتضعها في علبة من الكرتون المقوى، تشبه علبة الأحذية، كانت تقوم بحركات تشبه الفرسان وتُصدر من فمها صوت يشبه صوت أقدام الفرس، وتنزل من السلم. وتقوم، في أحيان أخرى، برمي العلبة وتمر بسرعة أمام سماحة الإمام.. وقد قامت بهذا العمل في أحد الأيام بحضور الحاج السيد مصطفى، فانزعج بشدة، إلا أن الإمام قال له: «أرجو أن لا تنزعج من ذلك يابني، لأنها طفلة، وهي تقوم بعملها المتلازم مع اللعب والتنزه».

لقد حاولت السيدة أم أحمد، كثيراً، أن تعلم «زهراء» القراءة والكتابة، فأعدت لها كتاباً ودفتراً، وكانت تعلّمها خلال أوقات معينة، إلا أن «زهراء»، في كل مرة، تبدأ فيها التعلم، سرعان ما تخلط الأمور بالمزاح والتصرفات الطفولية المتنوعة.. وفي المقابل كانت السيدة أم أحمد تحلى بالصبر ورباطة الجأش وتعطيها الدرس بغية أن تتعلم ولو شيئاً قليلاً، إلا أن كل تلك الجهود ذهبت عبثاً ولم تكن مجديّة أبداً..

وأنا، أيضاً، عندما وصلت إلى النجف، طلب سماحة الإمام مني أن أساعد السيدة أم أحمد في مهمة تعليم «زهراء» لكنني لم أكن أوفر حظاً، ولم أوفق في هذه المهمة، رغم الجهود التي بذلتها، وحينها غبطت السيدة أم أحمد على صبرها وتحملها، وكيف كانت تواصل مساعدتها ولم تيأس أبداً.

تلاميذ الإمام الخميني (رض)

من بين تلاميذ سماحة الإمام، كان البعض يتميز بحضور بارز وملفت في بيت سماحته، ويُعرفون أنهم من أنصاره ومحبيه، منهم: آية الله السيد محمد موسوي بجنوردي، السيد جعفر كريمي مازندراني،

السيد عباس خاتم يزدي، حسين راستي كاشاني، اخوان مرعشی، الشيخ غلام رضا رضواني. كما كان هناك عدد آخر من الطلبة الشباب الناشطين، منهم: السيد محمود دعائی، الشيخ حسن کروبی، السيد باقر موسوی مازندرانی، علي أكبر محتشمی بور، إسماعيل فردوسی بور، إبراهيم فاضل فردوسی، الشيخ محمد رحمت، الشيخ محمد حسین شریعتی، الشيخ محمد طاوسی، الشيخ محمد حسین إملائی، السيد حمید روحانی، محمد رضا ناصري، سيف الله قاسمی بور، مرتضی نیکنام، السيد رضا برقی، محمد منتظری، شاه آبادی (نجل آیة الله شاه آبادی) وغيرهم.. كما كان البعض منهم، يسافر إلى الدول الأخرى من أجل التبلیغ الإسلامی في أشهر محرم وصفر ورمضان المبارك.

وكان هناك بعض الأشخاص يأتون، أحياناً، إلى النجف الأشرف، وتقوم زوجاتهم بزيارة السيدة أم أحمد دون مواعيد مسبقة، فكانت هذه الزيارات تسهم في إخراجها من غربتها والتعويض عن ابعادها عن الوطن، كما كان بعضهن من المقيمات في النجف الأشرف، يأتين لزيارة السيدة زوجة الإمام لتبادل الأفكار والأحاديث معها، كما كانت هي، بدورها، تتبادل الزيارات معهن، لا سيما مع زوجات وأسر علماء الدين والمراجع.

الحاج السيد مصطفى كان رابطاً بين عدد من مجاهدي الثورة الإسلامية وسماحة الإمام (رض)، وكانت علاقته متينة جداً مع السيد أحمد الذي كان يحضر في أغلب الاجتماعات والمراسيم التي تقام في منزل شقيقه، وكنا جميعاً نسمي الحاج السيد مصطفى بلقب (داداش)^(*) تحبيأً، وحتى زوجته كذلك.

(*) باللغة الفارسية المحكمة: أخينا..

وقد اعتاد السيد مصطفى أن ينقل لسماحة الإمام الأخبار المرتبطة بإيران والدول الأخرى، حيث كان يأتي إلى البيت، قبل ظهر كل يوم، ويجلس إلى جانب سماحته ويسرد الأخبار والتحليلات التي ينقلها بعض الأشخاص، وكان يسعى، دائمًا، خلال نقله للأخبار، أن يشير إلى بعض الذكريات الحلوة والمفرحة لإدخال البهجة والسرور إلى قلب سماحته، إلى جانب سرده للأخبار التي غالباً ما كانت مؤسفة؛ وكنا، أحياناً، نضحك بشدة من بعض المواضيع الطريفة التي ينقلها، إلا أن سماحة الإمام الذي كان مقيداً بأن لا يضحك بصوت مرتفع وملتزاً بأن الضحك بصوت مرتفع مكروه، وكانت أفرح كثيراً عندما أرى سماحة الإمام في تلك الحالة. وحين لم أكن معهم في الغرفة، فإنهم كانوا ينادوني حتى أحضر تلك اللحظات.

وقد اعتاد السيد (داداش) أن يأتي للبيت صباح كل يوم بعد انتهاء درس الإمام، ويبقى ملازماً حتى الظهر ومن ثم يذهب برفقة سماحته إلى مسجد الشيخ الأنصاري، وبعد أداء الصلاة يغادر إلى منزله، ومن ثم يعود لإعطاء الدرس في أصول الفقه في المسجد ذاته عصراً، أما يوم الجمعة فكان الجميع، غالباً، ما يلتقيون في بيت سماحة الإمام بعد الظهر لتناول وجبة الغذاء معاً. أكثر الأحيان كانت الوجبة تتكون من الأرز ومرقة البازنجان.

أوقات استراحة الأسرة

جرت العادة أن تطرح في بعض جلسات الاستراحة والمزاح العائلي، بعض المواضيع الجادة والمفيدة؛ منها الحديث في إحدى المرات، وبحضور سماحة الإمام، عن ظاهرة النوم وكيفية حدوثها إذ قلت: «حقاً إن النوم أمرٌ حلوٌ للغاية»، فسألني سماحته: «في أي وقت

تتدوين حلاوته؟». أعتقد أنه كان سؤالاً ملفتاً، ولم أجده له جواباً مناسباً، لأنه إن كانت إجابتي: أتدوّن حلاوته قبل النوم لقليل كيف يتم ذلك والنوم لم يتحقق عملياً، وإن قلت خلال النوم لا يمكن ذلك لأنه لا يمكن تذوق حلاوته آنذاك، كما أنه لو قلت بعد النوم، لظل الإشكال وارداً عليه؛ وبالتالي لم أتمكن أن أعطي الإجابة المناسبة على ذلك التساؤل.

وفي أحد الأيام أثار الحاج السيد مصطفى سؤالاً عن (العدد)، وكان لا يقبل أية إجابة نعطيها للسؤال، وكان يقول: «إنكم تتحدثون عن (المعدود) وليس عن (العدد)، لأنه لا وجود خارجي للعدد!!». وكانت الجلسات تأخذ طابعاً حيوياً وتسودها أجواء من النشاط مع إثارة مثل هذه الأسئلة والأجوبة.

ومن المواضيع التي كانت تثار، غالباً، بين (داداش) وأفراد الأسرة وتطرح ثانية في جلسات بعد ظهر الجمعة، هي حول أهمية وخاصية العدد (سبعة) أو (تسعة)، وكان كل فرد من أعضاء الأسرة يسعى لإثبات أهمية ومكانة أحد هذين العددين، حيث كان (داداش) يعتقد أن بعض الأعداد تكتسب أهمية أكثر في نظام الوجود والحياة، لذا فإن كشف رموز هذه الأعداد يعتبر أمراً مهماً. البعض من أفراد الأسرة، كانوا يعتقدون أكثر بالعدد (سبعة) وال الحاج السيد مصطفى كان من أنصار العدد (تسعة) وكل طرف كان يسعى لإثبات نظريته ويأتي بالأدلة التي تثبت رأيه. كانت الأجواء رائعة في تلك الجلسات. كان السيد حسين والسترة «مريم» (أبناء الحاج السيد مصطفى) من أنصار العدد (سبعة) ويدافعون بشدة عنه، ويعددون الأدلة التي تثبت رأيهم، منها: كانوا يشيران إلى أن عجائب الدنيا هي سبعة، وأن عدد السماوات سبعة، وطبقات الأرض سبعة، وسورة الحمد تتكون من سبع آيات، والطواف حول الكعبة سبعة أشواط، وضوء

الشمس يتجزأ إلى سبعة الوان رئيسية، ووجوب وضع سبعة من أعضاء بدن الإنسان على الأرض حين السجود، وأن أصحاب الكهف كانوا سبعة، والأصنام التي تم تحطيمها في الكعبة كانت سبعة، وأحياناً، كانوا يستشهدون بالعدد سبعة الوارد في بعض العناوين والأعمار وأرقام الصفحات لإثبات نظريتهم ويطرحون مثل هذه الأمور للمزاح.

من جانبه كان الحاج السيد مصطفى يؤكّد على أهمية ومكانة العدد (تسعة) ويدرك الأدلة التي تثبت نظريته، لكنني الآن لا أتذكرة سوى واحدة منها، وهي بحسب قوله «إن كل عدد يضرب بالعدد (تسعة)، فإن مجموع الأعداد التي تشكل النتيجة تساوي العدد (تسعة) أو مضاعفاته».

الملفت أن السيد مصطفى كان قد اقتني كتاباً حول العدد (تسعة) في سورية، وكان يستند إليه في كلامه لإثبات رأيه.. وهكذا فإن إثارة مثل هذه المواضيع في بعض الجلسات العائلية، كانت في الواقع نوعاً من الترفيه وملء هذه الأوقات، لإضفاء أجواء المحبة والمودة في مثل تلك الجلسات، وإثارة مواضيع شيّقة وجذابة خلالها، للتعويض عن أجواء الغربة والابتعاد عن الوطن، ولعدم وجود إمكانات الترفيه الخارجية التي تتناسب وتقاليد مثل هذه العائلات، واستمر ذلك حتى حدثت تلك الواقعة المرة المؤسفة.

استشهاد الحاج السيد مصطفى الخميني

في فجر يوم الأحد ٢١/١١/١٩٧٧ م (٩ ذي القعده ١٣٩٧ هـ)، حيث لم نكن قد استيقظنا من النوم بعد، رأينا سماحة الإمام ينادي السيد أحمد ويقول له: «لقد اتصلوا من منزل السيد مصطفى وطلبوا العون منا، لا بد أن تذهب حالاً وتتأكد من الوضع هناك، فلربما تكون السيدة معصومة (زوجة السيد مصطفى) بحاجة للمساعدة». وكانت السيدة

«معصومة» تعاني مساء أمس من آلام في بطنها، وكان الإمام يعرف ذلك، لذا تقع سماحته أن حالتها ساءت.

استيقظ السيد أحمد بسرعة وتوجه إلى منزل شقيقه (داداش)، وأنا احتضنت السيد حسن وحملته إلى غرفة السيدة أم أحمد ووضعته إلى جانب سريرها، وذهبت إلى منزل الحاج السيد مصطفى.

عندما وصلت هناك، رأيت سيارة صغيرة تقف جوار البيت، وكان الزفاف ضيقاً بحيث لا تتمكن أي سيارة من دخوله، وشاهدت كذلك السيد أحمد يقف على السلالم أمام الباب باكياً، فسألت ماذا حصل؟ فأجابتني بانزعاج وألم: «داداش!!»، ولم يمضf كلامة أخرى وأنطلق نحو المستشفى^(١).

دخلت البيت فرأيت السيدة «معصومة» وابنتها (مريم) تبكيان والدموع تغسل وجنتيهما، فسألت: «ما الذي حدث؟»، فأجابت السيدة «معصومة»: «عندما ذهبت الخادمة السيدة (صغرى مشهدى) كالعادة، فجر هذا اليوم، لتقدم العصير للسيد مصطفى (داداش) رأته قد سقط على وجهه (اعتاد السيد مصطفى أن يجلس على ركبتيه عند المطالعة ويضع وسادة على قدميه وينحني على الكتاب)، فظننت أنه يستريح قليلاً، فنادته مراراً، فلم يجب، لذا اقتربت منه فرأأت أن وجهه قد ازرق، فأسرعت نحوى لتخبرنى، قمت بدوري بالاتصال ببيت سماحة الإمام (رض) لأخبره بذلك».

في هذه الأثناء رأيت السيدة أم أحمد قد دخلت البيت باكية

(١) لم يكن في النجف الأشرف آنذاك سوى مستشفى واحداً باسم (مستشفى النجف) فضلاً عن عدد من المستوصفات الصغيرة، وقد كان الدكتور أيداد علي البير الذي كان يحمل شهادة التخصص من بريطانيا، أول من فحص السيد مصطفى في المستشفى.

ومحبطة للغاية، حاولت أن أمهد الأجواء حتى لا تتفاجأ بالomba المؤلم، إلا أنها كانت قد سبقتنا في التأكد من الخبر، قالت: «استيقظت من النوم فرأيت الصغير حسن ينام بجانبي، فاندهشت من ذلك وسألت الإمام عن السبب وما الذي حدث بالضبط؟!، فشرح سماحته الموضوع، فسارعت للوصول إلى هنا، وعندما وصلت رأيت سيارة غادرت المكان، تبعتها حتى وصلت إلى المستشفى وطلبت من الحراس أن يسمح لي بالدخول، فسألني عن السبب، قلت له: أريد السؤال عن المريض الذي أدخل المستشفى تواً.. فأجاب: «إنه كان ميتاً!!.. ما أن سمعت الخبر انهارت قواي وبكت، وضررت لا إرادياً، على رأسي، فسألني الحراس: «ومن يكون بالنسبة لك؟»، قلت: «إنه ابني، فرق قلبه وسمع لي بالدخول إلى المستشفى لأنك لم تكن من الخبر ب你自己».. وهكذا فإن السيدة (أم أحمد) هي التي أخبرتنا برحيل السيد مصطفى.

وقد سمعت فيما بعد، أن الطبيب الذي فحص السيد مصطفى في المستشفى، قال: «لا تبدو أية آثار للحياة عليه». واقتصر أن يتم تشريح الجسد إلا أن ذلك لم يتم بالطبع. وبسرعة انتشر الخبر المؤلم في مدينة النجف الأشرف ووصل أصدقاء السيد مصطفى تدريجياً إلى البيت.

لقد كنت منذ صباي أتأثر كثيراً عند سماعي بموت أي شخص أو مرضه، وتسوء حالي الروحية والمعنوية، لذا لم أكن أشارك كثيراً في مراسم العزاء التي كانت تقام، وكان السيد أحمد يوصي بذلك دوماً^(١)،

(١) عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري، كنا ضيوفاً في إحدى الليالي عند خالي السيدة بتول، وكان زوجها السيد عبادي إنساناً عطوفاً وخلوقاً للغاية، لا سيما مع الشباب والفتیان، وكان الجميع يحبه ويحترمه، وكان بدوره يشجعنا دائماً على الدراسة واستمرار التحصيل العلمي ويرسم أمامنا مستقبلاً جميلاً. وفي تلك الليلة وبينما كان السيد عبادي مشغولاً بالحوار والحديث معى، فجأة توقف تنفسه =

حينما عدت إلى البيت شاهدت سماحة الإمام، وعدها آخر من أعضاء مكتب سماحته، ومجموعة من الطلبة، يجلسون في باحة البيت، فسألت السيد أحمد: «كيف أخبرتم السيد الإمام بالنأي المؤلم؟»، فقال: «عندما وصلنا للمستشفى قال الطبيب: «لقد توفي السيد مصطفى ولا بد أن نشرح جسده لنعرف سبب الوفاة». فغادرت المستشفى إلى مكتب سماحة الإمام لأحصل على إذن سماحته للقيام بذلك، وعندما وصلت شاهدت سماحته جالساً في الغرفة، ولم أتمكن من نقل هذا النأي المؤلم لسماحته، ولم تكن قدماي تطيقان ح ملي، وحينها ناداني السيد الإمام وقد رأى ظلي على زجاج النافذة وحالتي الروحية المؤسفة، وهي كانت تكفي ليستنتاج سماحته أن أمراً عظيماً قد حدث، ولم أكن أجرأ على قوله، وهكذا نزلت من السلم محبطاً وباكياً، وقبل أن أتفوه بأية كلمة، قال سماحته: «هل توفي السيد مصطفى؟»، فقلت: أجل.. فوضع سماحته يده على ركبته وردد مراراً هذه الآية المباركة: ﴿إِنَّا إِلَهُ وَإِنَّا إِلَهُ رَجِيعُونَ﴾^(١)، قلت: إن الطبيب قال إن حالة الوفاة تحيطها أجواء الشك والغموض، وإن بقعـاً زرقاء تبدو واضحة على وجهه وجسده، ولا بد أن يشرح الجسد حتى يشخص سبب الوفاة. وقد جئت لسماحتكم حتى نستأذنكم للقيام بذلك، فقال سماحته: «أرجو أن لا تقوموا بذلك! لا أرى حاجة لمثل هذا العمل».

= وسقط على الأرض.. حيث فحصه الطبيب وأكـد وفاته بالنوبـة القلبـية.. وهكـذاـ فإنـ هذهـ الحـادـثـةـ المرـةـ تـرـكـتـ تـأـثـيرـاًـ سـيـئـاًـ لـلـغاـيـةـ عـلـىـ روـحـيـ وـجـعـلـتـنـيـ أـقـلـقـ دـائـمـاًـ عـلـىـ حـيـاةـ وـالـدـيـ،ـ وـبـعـدـ زـوـاجـيـ اـقـرـحـ السـيـدـ أـحـمـدـ أـنـ لـاـ أحـضـرـ مـجـالـسـ العـزـاءـ لـمـدةـ مـعـيـةـ حـفـاظـاًـ عـلـىـ معـنـيـاتـيـ.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

ترك نبأ وفاة الحاج السيد مصطفى آثاراً مؤلمة على أصدقائه وأحبابه، وكان الخبر محزناً وغير قابل للتحمل، لأنه كان محبوباً من قبل الجميع، بخاصة تلاميذه وأصدقائه الذين اعتادوا على الحضور المستمر في دروسه ويأنسون بمجالسته والاستفادة من أحاديثه الشيقية، لأنه كان يتميز بطبعه الحسنة، وخلقه الرائع، وحديثه الجذاب، ومزاحه المفيد الذي كان يزيل عنهم نوعاً ما هم التغرب والابتعاد عن الوطن والأهل. لذا، فإن هذه الحادثة كانت صعبة عليهم للغاية، وأفقدتهم توازنهم وهدوئهم، بحيث أن السيد أحمد قال للإمام: «إن هؤلاء الأخوة متآلمون للغاية ويمكن لسماحتك أن تواصيهم وتسكن مشاعرهم وتهدي نفوسهم».. قبل سماحة الإمام فكرة اللقاء معهم، فجاء الجميع وجلسوا في باحة البيت، وكان الأمر عجيباً بالنسبة لي.. كيف يمكن لمجموعة من الشباب أن يقتبسوا السكينة والهدوء من أب حزين ومفجوع بابنه الغالي؟ وفي المقابل، كان كل منهم يسعى للحفاظ على أحاسيسه ومشاعره وضبط أعصابه أمام السيد الإمام، ولكن ما أن تقع عينه على سماحته، كان يفقد توازنه وينفجر بالبكاء والعويل..

وبعد أن جلس الجميع، بدأ سماحة الإمام حديثه بدعوتهم للصبر والاستقامة قائلاً: «على أية حال، لقد حدث ما حدث، فالله سبحانه وتعالى يسترجع أحياناً نعمة كان قد منحها للإنسان، لذا يجب أن نتحمل ذلك ونصبر».. وبعد أن أشار سماحته إلى عدة نقاط حول الموضوع ذاته، خاطب الحاضرين بالقول: «قوموا والتحقوا بأعمالكم واستمروا في برامجكم! وابحثوا عن الخطوات التي ينبغي القيام بها».

أخذت نجلي حسن وعدت إلى منزل (داداش)، وبدوره وصل سماحة الإمام إلى هناك قبل الظهر؛ وما أن دخل سماحته البيت خاطبته السيدة أم أحمد بحزن: «هل تلاحظ يا سيدي ماذا حل بنا وكم هو

عظيم مصابنا؟»، فأجابها السيد الإمام: «عليك أن تصبرِي يا سيدة في سبيل الله، أعرف أن الأمر صعب للغاية؛ ولكن اجعليه في عين الله، فإن اعتبرت ما حدث هو في سبيل الله، فسيسهل تحمل ذلك، فالله سبحانه وتعالى سيعين الجميع لتحمل هذا المصاب».

أجهشت السيدة أم أحمد بالبكاء وقالت: «لقد تحملت الكثير من الصعاب، إلا أنه لا طاقة لي لتحمل هذا المصاب».. وبينما كان سماحة الإمام متاثراً بما حدث ومتالماً لهول المصيبة، وضع يده على كتف السيدة أم أحمد مهدئاً ومصبراً وقال: «أعرف ذلك، ولكن عليك أن تصبرِي من أجل الله»!.

مكث سماحة الإمام هناك عدة دقائق تحدث خلالها، أيضاً، مع السيدة «معصومة» ونجلتها حسين و«مريم» وواساهم ودعاهم للصبر قائلاً: «لقد كنت صغيراً عندما فقدت أبي وأمي، لذا فإني أقدر مشاعركم وأفهم حالتكم تماماً، ولكن لابد من الصبر في سبيل الله ونستعين به جل جلاله، أدعو الله أن يلهمكم الصبر والسلوان، فلا بد أن تهدأوا وتراقبوا كلامكم وردود فعلكم، واحذرُوا من أن تقولوا كلاماً غير مجيد»!!..

وحينما كان السيد الإمام يغادر البيت قالت السيدة أم أحمد له: «أرجو أن تطلب من (السيدة فاطي) أن ترافقك إلى البيت ولا تبقى هنا». فطلب سماحته مني أن أرافقه إلى البيت.. فتم ذلك.

وفي عصر اليوم ذاته وصل عدد كبير من أصدقاء الحاج السيد مصطفى إلى منزل سماحة الإمام وامتلأت باحة البيت الصغيرة بهم وكان الجميع يبكي بشدة ويرفعون أصواتهم عوياً، إلا أن السيد الإمام حافظ مرة أخرى على صلابته ورباطة جأشه واستقامته، وجلس أمامهم وقرأ إحدى الآيات المباركة المناسبة، وتحدث حول مفاهيمها وبدأ

بمواساتهم، وقال سماحته: «إن موت السيد مصطفى هو من الألطاف الإلهية الخفية»^(١).

بعد ذلك انتقل سماحة الإمام إلى الطابق العلوي ودخل إلى الغرفة التي كنت جالسة فيها، وخطبني قائلاً: «إنني منزعج للغاية من أجلك لأنك ضيفة عندنا، وقد ساءت الظروف كما ترين وتتألمت بسبب ذلك، وأأسرك عليك إحدى القصص الحقيقة لتعرف في كيف كان العظماء وكيف نحن الآن: اجتمع عدد كبير من الأشخاص في يوم العيد في منزل أحد العرفاء ليهنوئوه بالعيد، وبينما كانوا جالسين ارتفع الصراخ من داخل البيت، فذهب هذا العارف إلى الداخل وشاهد أن نجله الصغير قد سقط في حوض الماء ومات مختنقًا، وكان الصراخ هو صوت زوجته، فقال لها: أرجو أن لا نزعج ضيوفنا، فلا بد أن لا نخرب عيدهم بمثل هذا الصراخ والعويل.. وكانت زوجته عظيمة كزوجها حيث تحملت المصيبة حتى رحل الضيوف. ثم عاد السيد عارف إلى ضيوفه وقال: الحمد لله، لم يكن إلا خيراً. واستمرت مراسم العيد والتهنئة حتى النهاية».

«وبعد مغادرة الضيوف طلب العارف من اثنين من أصدقائه أن لا يغادروا البيت، وقال لهم: «إننا بحاجة لمساعدتكم».. بعدها انشغلوا في مراسم الدفن والعزاء»^(٢).

(١) أصدر سماحة الإمام الخميني في اليوم ذاته، بياناً مقتضباً جاء فيه: «لقد توفي يوم الأحد التاسع من ذي القعدة الحرام عام ١٣٩٧ هـ. ق نور بصري ومهجة قلبي مصطفى، ورحل عن هذه الدنيا الفانية والتتحقق بجوار رحمة الحق المتعال (صحيفة الإمام/ ج ٣ ص ٢٣٣).

(٢) تعود القصة لأستاذ الإمام الخميني في الأخلاق والعرفان السيد العارف الكبير آية الله ملكي تبريزي الذي عاش أواخر القرن الثالث عشر الهجري. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهمامش الخامس في نهاية الفصل.

بعد عدة دقائق، قام الإمام الخميني لأداء الصلاة، وتعطر ومشط محسنه، كالعادة قبل إقامة الصلاة. واستمر سماحته في أعماله وبرامجه اليومية العادلة مسيطرًا بشكل كامل على أعصابه وتصرفاته.. وقد أوصى السيد رضوانی في اليوم التالي، أن لا ينسى تقديم الراتب الشهري للعالم الفلانی طبقاً للموعد!.

أقيمت عدة مجالس تأبين على روح الفقيد السعيد، وقد طلب سماحته من علماء الحوزة العلمية، الذين كانوا قد عطلوا دروسهم لعدة أيام بسبب هذه الحادثة الأليمة، أن يبدأوا دروسهم ثانية حيث بدأ سماحته أيضاً بإعطاء دروسه.

دخلت في إحدى المرات غرفة الإمام الخميني فرأيت سماحته ينظر إلى سقف الغرفة وعيناه قد اغرواها بالدموع؛ وتفاجأ عندما رأني أمامه، فسألني عن ولدي حسن، ثم قال: «هل أنت لوحده؟ ألم تتعجب من هذا الوضع؟ يمكنك أن تطالعي أحد الكتب وقد اخترت له لك؟!».. بعد ذلك أشار إلى خزانة صغيرة اعتادت السيدة أم أحمد أن تحفظ فيها الهدايا والحلويات التي تجلب من إيران، وقال: «هل تريدين شيئاً منها لا قدمها لك؟!».

عندما وقعت هذه الحادثة^(١)، فكرت مع نفسي.. هل أن سماحة الإمام سيحافظ على نشاطه وبرامجه السابق، أم أن أجواءً مملة ومتعبة، ستسود المنزل؟ وهل ستتكرر الاجتماعات الجماعية لأعضاء الأسرة بعد الآن؟!.

هذه الهمسات الذاتية لم تبدد هواجي الأخرى، فقد كنت قلقة

(١) أقام آية الله السيد الخوئي صلاة الميت على نعش المرحوم السيد مصطفى في يوم الاثنين ٢٢/١١/١٩٧٧، ووري الثرى في حرم الإمام علي (ع) بجوار مقبرة العلامة الحلي وأية الله نصر الله بنى صدر.

بشأن السيد أحمد، لأنه كان خلال الفترة المنصرمة قد استأنس كثيراً مجالسة شقيقه الأكبر (داداش)، حيث كان يحضر دروسه ومحاجاته العلمية، فضلاً عن ذهابه مع عدد من الأصدقاء إلى بيته مرتين في الأسبوع.. وكان السيد أحمد قد ذكر أنه شاهد شقيقه (داداش) مرات عدّة وافقاً أمام المرأة ويضرب بيده على وجهه ويقول: «انتبه يا مصطفى واستيقظ! لأن عيناك وجهك سيدفنان بعد فترة تحت التراب، وعليك أن تفكّر بيوم يبعث فيه من في القبور وكيف سنواجه ملك الموت؟!».

وهكذا انقضت تلك الأيام بمرارة شديدة وصعوبة للغاية.. وعادت السيدة أم أحمد إلى البيت، وقد اعتدنا أن نستقبل الطعام الذي كان يبعثه لنا كل يوم أصدقاؤنا من الإيرانيين والنجفيين، حتى اليوم الأربعين من وفاة السيد مصطفى، فالناس، هناك، اعتادوا طبقاً للأعراف والتقاليد العربية، أن لا يسمحوا لأسرة المتوفي أن تشعل موقد المطبخ أو تطبخ طعاماً خلال الأربعين يوماً بعد الوفاة احتراماً للمتوفي، لذلك كانوا يبعثون لنا الطعام خلال تلك الأيام.

أقيمت مراسيم الأربعينية السيد مصطفى بحضور شقيقاته اللواتي قدمن من إيران، وقد تعهدت بمهمة إعداد الطعام خلال تلك الفترة، وحيث أعجب به الجميع، لا سيما السيدة أم أحمد.

تذكّرت حينها أيام طفولتي، حيث كانت والدتي تصرّ عليّ أن أقوم بمهام البيت وأتعلم كل شيء، وكانت أرفض ذلك وأقول: «سوف أتعلم كل شيء عندما تستلزم الضرورة».

مكثت السيدات أخوات السيد مصطفى في النجف، حوالي شهرين ثم عدن إلى إيران عدا السيدة «فريدة» التي سافرت إلى لبنان لزيارة بنتها التي كانت تدرس هناك.

الحوادث المصيرية

بعد هذه الواقعة المؤسفة، شهدت إيران الكثير من الحوادث المصيرية التي كانت تفاصيلها تصل إلى أسماع سماحة الإمام تباعاً، كما كانت أشرطة الخطابات التي كان يلقاها المبلغون والخطباء في أنحاء البلاد، تصل إلينا ونسمعها، وكانت مليئة بالكلمات الثورية الشجاعة والتحدي الصارخ. كانت تعكس الأجواء السائدة في إيران آنذاك. وقد أشار سماحة الإمام في إحدى خطاباته، إلى تلك الأجواء والفرص السانحة آنذاك، داعياً أبناء الشعب إلى استثمارها بكلوعي ويقظة، وتدبير وحكمة، ونظرة إلى المستقبل، مع الحفاظ على وحدة الكلمة ورص الصدوف^(١).

شهر رمضان المبارك في النجف الأشرف

مع حلول شهر رمضان المبارك، كنا لا نزال في النجف الأشرف حيث كان سماحة الإمام الخميني والخادمة الصغيرة «زهراء»، الوحيدان اللذين صاما في تلك السنة، لأن كلاً ممن حرم من الصوم لسبب ما، إلا أن سماحته كان مصرأً أن يُعد طعام مناسب لـ «زهراء» في السحور والإفطار.

وأجرت العادة أن يحتفظ بقسم من طعام الإفطار ليقدم في السحور لسماحته ولـ «زهراء».. وكان السيد الإمام يستيقظ وقت السحر ويبهيء الطعام، قبل أن يوقظ «زهراء» لتناول معه وجبة السحور.

وكنت أحياناً استيقظ إثر سماع صوت الإمام، وقد شاهدت مراراً،

(١) أرسل سماحة الإمام الخميني بياناً بهذا الشأن إلى الطلبة الإيرانيين المقيمين خارج البلاد، وكذلك لمسلمي إيران والعالم، وذلك بتاريخ ١٥/١٢/١٩٧٧ م.

كيف أن سماحته يبادر بأسلوبه الحنون لإيقاظ «زهراء» ومن ثم تشجيعها على تناول طعام السحور. وكان خلال النهار يطلب منها أن لا تعمل كثيراً حتى تتمكن من تحمل مصاعب الصيام حتى وقت الإفطار، وكان الطعام الذي يعد للإفطار، غالباً، يكون حسب رغبة «زهراء» وطلبتها لذلك الطعام.

وقد اعتدنا في النجف الأشرف، ان نسمع أصوات عدد من الرجال خلال وقت السحر يسرون بين الأزقة ويدقون الطبول ويدعون النائمين إلى الاستيقاظ لتناول طعام السحور، ومن ثم نسمع أصوات تدعوا إلى الإمساك عن الطعام وشرب الماء قبل دقائق من وقت أذان الصبح.. وهكذا تتوفر فرصة أمام الأشخاص لأداء صلاة الصبح في أول وقتها، حتى وإن لم يتمكنوا من الصيام لأسباب مقبولة.

كذلك كان عدد من طلبة سماحة الإمام، الذين تلقوا دروساً في التوعية الدينية والتبليغ الإسلامي عند سماحته، يغادرون النجف الأشرف إلى دول مختلفة خلال شهر رمضان المبارك، بهدف إرشاد الناس وتوعيتهم، وكانت أسرهم، غالباً، تبقى في النجف الأشرف. وكنا أحياناً، نجتمع مع أعضاء هذه الأسر خلال الفترة بين الإفطار وحتى وقت السحر، ونتبادل الأحاديث والأخبار بشأن الوطن وحركة الناس في الداخل وضرورة الجهاد والنضال ضد الطاغوت حتى تحقيق النصر أو الشهادة.

وكنا نسعى أن تحضر السيدة «معصومة» في هذه الجلسات للتعويض شيئاً عن غربتها ووحدتها بعد رحيل زوجها (السيد مصطفى).. وأنذكر أنه دار الحديث في إحدى الأمسيات حول سعي الشاه لإقامة الانتخابات. وعندما سمع سماحة الإمام هذا الخبر، خاطب الطلبة المبلغين قائلاً: «لا بد أن توعوا الناس خلال خطباتكم وأحاديثكم

معهم، وتقولوا لهم أنه ما دام الشاه وحكومته الطاغوتية يسيطرون على زمام الأمور في البلاد، فلن يمكنكم أن تنتخبوا أي نائب في المجلس بشكل حر وصحيح^(١)، وهكذا اقتربت ليالي القدر. وقد قمنا بإحياء هذه الليالي في البيت؛ كما أن سماحة الإمام اعتاد سنوياً، أن يقضي عيد الفطر في مدينة كربلاء، حيث كانت تُستأجر له سيارة صغيرة، وكنا نتوجه جمِيعاً ليلة العيد إلى كربلاء، والشباب كانوا يذهبون أحياناً بالحافلة^(٢).

اعتاد سماحة الإمام، أن يقيم صلاة العيد بشكل منفرد قبل أن يقدم (العيدية) للجميع، حيث عوّدنا سماحته، أن يقدم العيدية في المناسبات والأعياد الدينية ومواليد الأئمة (ع) ولم يترك هذه السنة الحسنة إلا مرتين، الأولى عندما توفي آية الله الميرزا حسن بجنوردي تزامناً مع مولد السيدة فاطمة الزهراء (ع) حيث لم يُقم سماحته مراسم العيد احتراماً لآية الله البجنوردي، والمرة الثانية عندما أعدم النظام العراقي البائد ثلاثة من كبار علماء الدين المجاهدين العراقيين، منهم نجل آية الله السيد جواد التبريزي وحفيد آية الله القبانجي (السيد عز الدين القبانجي) وعالم آخر لا أتذكر اسمه. يومها، وبينما كان سماحة الإمام يقدم العيدية لزائرية، وصلته ورقة من قبل نجله الحاج السيد مصطفى كتب فيها خبر الإعدام، مما دعا الإمام ليتوقف فوراً عن تقديم العيدية. وكانت العيدية في تلك السنة تبلغ عشرين ديناراً عراقياً.

وقد سمعت آنذاك، أن سماحة الإمام أصدر بياناً شكر فيه أفراد الجيش الإيراني لامتناعهم عن إطلاق النار ضد أبناء الشعب، وطالبهم

(١) يمكن مراجعة كتاب (صحيفة الإمام)، ج ٣ ص ٤٣٣.

(٢) كان سماحة الإمام يرفض أن يُشتري له سيارة خاصة للتنقل ويرى عدم ضرورة ذلك.

للدفاع عن وطنهم والتضحية في سبيل ذلك، وأن لا يسفكون دماء الشعب الإيراني دفاعاً عن أهواه ومطامع عائلة ناهبة مسلطة على مقدرات الشعب. وقد اندهشنا حينها كيف يستحق الشكر من لا يقتل الناس؟! فقد قال أحد الحاضرين: «لربما أراد الإمام أن يستفيد من عامل التشجيع والإشادة لتحقيق الهدف».. إلا أن ذلك لم ينفع، حيث لم تمر سوى فترة قصيرة حتى حدثت مجزرة يوم الخامس من حزيران عام ١٩٧٨ وقتل الآلاف من الأبرياء في ساحة (الشهداء) وسط العاصمة طهران، على يد أزلام السافاك وقوات الحرس الملكي الشاهنشاهي، فيما عرف بالجمعة الدامية^(١)؛



المجزرة الدموية في ساحة جالة (الشهداء) وسط طهران

(١) عرف هذا اليوم بالجمعة السوداء أو الدامية، حيث كان القائد العسكري للعاصمة طهران الجنرال غلام علي أوسي قد أعلن الأحكام العرفية، إلا أن جماهير الشعب الإيراني تجمعت بالآلاف في ساحة جالة وسط طهران (ساحة الشهداء) وقد تصدى الدبابات والمدافع الرشاشة للجماهير العزباء وفاجأتهم مما أدى إلى سقوط الآلاف منهم، وأدت هذه الحادثة الأليمة إلى زيادة غضب الناس ضد النظام الملكي البائد.

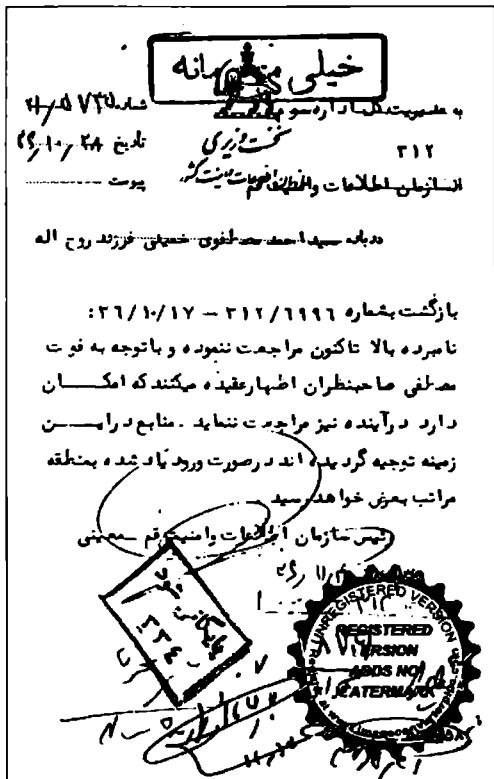
وبدأت الأخبار تصلنا تباعاً من طهران وبباقي المدن الإيرانية، حيث اندلعت المظاهرات في كل مكان من أرض الوطن، والتي كانت تقابل بالرصاص والقتل وسفك الدماء.

التردد في العودة إلى إيران

بعد وفاة الحاج السيد مصطفى الخميني، تضاعفت مسؤوليات السيد أحمد، حيث كان يسعى لأداء مهامه المختلفة، إلى جانب دأبه على التقليل من آثار فقدان السيد مصطفى على سماحة الإمام والسترة زوجته، وملء الفراغ الذي تركه رحيله قدر الإمكان.. ولكن كان واضحاً أن هذه المهمة صعبة للغاية ولا يمكن إنجازها بسهولة، وفي مثل هذه الظروف ترددنا في العودة إلى إيران.

كذلك، فإن السيد أحمد كان يشعر بالقلق لسبب آخر، وهو أنه كان يعرف مدى تعلق أبي وأمي بي، لذا كان يشعر بصعوبة اتخاذ قراره المصيري بالبقاء في النجف الأشرف، ولهذا سألني قائلاً: «ما هو رأيك؟ لأنني عندما كنت أودع والديك قلت لهما أننا لن نبقى أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر، بينما الآن مضى على وجودنا هنا عدة أشهر»؛ فقلت له: لا تقلق!! لأنهما يفهمان الظروف التي نمر بها حالياً جيداً، فهما يعرفان مدى أهمية وضرورة وجودك هنا. لكن المشكلة التي كانت تؤذني كثيراً تكمن في قضية موافقة دراستي وإنني مرغمة الآن على عدم التفكير بذلك، وهذا أمر لا أطيق تحمله.. وكان السيد أحمد الذي دأب على تشجيعي وحثي على موافقة الدراسة، يفهم مشاعري وأحساسني بهذا الشأن، وخطابي بالقول: «سوف أجده حلاً لهذه المشكلة إن شاء الله»..

وهكذا وقعت حوادث أخرى، شيئاً فشيئاً، ضاعفت من ضرورة وحتمية بقائنا إلى جانب سماحة الإمام، وعدم التفكير في العودة إلى



صورة عن تقرير السافاك بشأن قرارنا بالبقاء
في النجف الأشرف

إيران. لذا استأجرنا بيتاً صغيراً في (سوق الحويش) بالنجف الأشرف قرب بيت سماحة الإمام وسكننا فيه؛ وحينما انتقلنا إلى بيتنا الجديد قالت السيدة أم أحمد لي: «يمكنك أن تشتري أثاث البيت اللازم من هنا ولا داعي لنقله من مدينة قم.. إلا أنني رفضت الفكرة، لأنني كنت أظن أنه ينبغي أن لا نُسرف في حياتنا، لذا قلت: «الماء نشتري من هنا بينما أثاث بيتنا موجود في قم؟!»، يمكننا أن ننقله بواسطة شاحنة». فقالت السيدة أم أحمد: «أرجو أن لا تبعثروا حياتكم في قم، فأنتم لا تحتاجون الكثير من الأثاث هنا، ويمكنكم أن تشتريوا الأثاث الضروري مثل السجاد والبراد والفراش ولوازم المطبخ المهمة وغيرها، ويمكنني أن أزودكم باحتياجاتكم الأخرى».. إلا أننا رفضنا تلك الفكرة وقلنا: «نمتلك كل هذا الأثاث في قم ويمكننا نقله من هناك إلى هنا، وأن تكلفة النقل تعادل ثمن براد فقط»، ورغم النصائح البناءة التي قدمتها لنا كي نتخلى عن عناينا، إلا إننا قلنا: «كلا، فلا حاجة لشراء الأثاث هنا».. وأخيراً اتصلنا هاتفياً بقُم وأرسلوا الأثاث.

يمكننا أن ننقله بواسطة شاحنة». فقالت السيدة أم أحمد: «أرجو أن لا تبعثروا حياتكم في قم، فأنتم لا تحتاجون الكثير من الأثاث هنا، ويمكنكم أن تشتريوا الأثاث الضروري مثل السجاد والبراد والفراش ولوازم المطبخ المهمة وغيرها، ويمكنني أن أزودكم باحتياجاتكم الأخرى».. إلا أننا رفضنا تلك الفكرة وقلنا: «نمتلك كل هذا الأثاث في قم ويمكننا نقله من هناك إلى هنا، وأن تكلفة النقل تعادل ثمن براد فقط»، ورغم النصائح البناءة التي قدمتها لنا كي نتخلى عن عناينا، إلا إننا قلنا: «كلا، فلا حاجة لشراء الأثاث هنا».. وأخيراً اتصلنا هاتفياً بقُم وأرسلوا الأثاث.

ارتباط السيد أحمد بالمجاميع الجهادية

ظهرت في تلك الأيام تحركات جديدة على مستوى النشاط الشوري، والعمل الجهادي داخل البلاد، وقد لعب السيد أحمد دوراً مؤثراً في نقل أخبار ذلك الحراك إلى سماحة الإمام، حيث كان يسعى حثيثاً من أجل تسريع ذلك الارتباط.. لقد أخذت تلك التحركات الثورية طابعاً متسارعاً وواسعاً، لا سيما بعد الموت الغامض والمثير للشكوك للدكتور علي شريعتي في لندن، وال الحاج السيد مصطفى الخميني في النجف الأشرف.

لقد ازدادت كثيراً منذ أواخر عام ١٩٧٧م، الزيارات وتردد الأشخاص إلى النجف الأشرف، بخاصة إلى بيت سماحة الإمام، حيث ازداد عدد الأشخاص القادمين من إيران والدول الأخرى، لا سيما الطلاب الإيرانيين المقيمين في أوروبا وأمريكا، لزيارة السيد الإمام. وكان للسيد أحمد الدور الكبير في تنظيم هذه اللقاءات، لأنه كان مرتبطاً مع أكثرهم عندما كان في إيران، وكانوا يثقون به، بل وأصبح حلقة الوصل المطمئنة والمؤثرة بين المجاهدين، ضد النظام البائد.

ومنذ أوائل عام ١٩٧٨م، تضاعفت تلك الزيارات واللقاءات، وكل يوم، أو أسبوع، كنا نشهد عدة لقاءات، انفرادية أو جماعية، مع سماحة الإمام، حيث كانوا يتبااحثون مع سماحته بشأن مختلف القضايا السياسية والجهادية ومقارعة النظام البهلوi. بالطبع لم نكن نطلع على تفاصيل تلك اللقاءات ومجرياتها، بل ولم نكن نعرف غالباً، الأسماء الحقيقية للشخصيات الزائرة، رغم أننا كنا نسمع أحياناً أخباراً عنهم.

بعد أن نشرت صحفة (لوموند) الفرنسية، تفاصيل اللقاء الصحفي مع سماحة الإمام الذي كان قد أجراه مراسلها، طلبت صحفة (فيغارو)

لقاءً خاصاً مع سماحته، إلا أن هذا اللقاء لم يتم بسبب ممانعة المسؤولين العراقيين وعارضتهم وتهديدهم الجاد، وبعد ثلاثة أشهر تقريباً تم تنظيم ذلك اللقاء بفضل جهود السيد أحمد وزملائه، رغم معارضة الحكومة العراقية، وذلك بعد وصول فريق صحفي من فرنسا.

وقد قام رجال الأمن العراقي بمحاصرة بيت سماحة الإمام في النجف الأشرف ومراقبته للحؤول دون عقد ذلك اللقاء، إلا أن السيد أحمد وضع مخططاً أدخل بموجبه الفريق الصحفي من الباب الخلفي للبيت، ولكن رجال الأمن العراقي، بعد أن عرفوا ذلك، دخلوا بيت الإمام وقام السيد أحمد بغلق الباب عليهم وهم في الداخل، ومنعهم من الخروج حتى انتهاء اللقاء الصحفي. أي أن رجال الأمن العراقي في الواقع، سُجنوا داخل البيت حتى انتهت مقابلة الصحافية.. وقام الأمن العراقي باعتقال الصحفيين الفرنسيين في بغداد وطلبو منهم شريط مقابلة الصحفية، إلا أن تسجيل المقابلة كان قد أرسل إلى باريس قبل هذا الاعتقال.

هذا، وكانت وسائل الاتصال العامة، آنذاك، بدائية للغاية، بحيث أن السيد أحمد كان قد أعد خطأً هاتفيًّا للبيت بصعوبة، وكان يستخدمه للاتصال مع المجموعات والعناصر الجهادية الناشطة في إيران، وبالتالي يوصل إليهم نداءات سماحة الإمام^(١).

وكان السيد أحمد يأخذ عبر الهاتف الأخبار الصحيحة والدقيقة التي تصله من داخل إيران ويقوم بنقلها إلى سماحة الإمام الذي كان عبر هذه الطريق، يوضع في مجريات الحوادث والتحركات السريعة التي تجري هناك، وعلى رأسها المظاهرات الجماهيرية في أنحاء البلاد،

(١) لم يكونوا يسمحوا في العراق باستخدام أكثر من جهاز لكل خط هاتفي.

وكان سماحته يقوم بتوجيه وإرشاد تلك التحركات بكل حكمة ومسؤولية.. كما كانت تصل إلى سماحته الرسائل من الهند وأوروبا ويرد عليها بسرعة.

إلى جانب هذه البرامج، التي كانت تجري بشكل سري ومحفي، كانت أيامي تمضي في النجف الأشرف برتبة، وكانت منزعجة للغاية لأنني لا أستطيع أن أواصل تحصيلي العلمي، مما دفعني إلى مخاطبة السيد أحمد يوماً بالقول: «إنى أفهم كاملاً الأوضاع السائدة حالياً، ومع توالي الحوادث التي تجري في البلاد لا أريد أن أصرّ على طلبي السابق، إلا أنني لا أستطيع أن أقنع نفسي بالتخلي عن مواصلة الدراسة، وقد يكون هذا الطلب الآن كثير، لكنك وعدتني بأن تجد طريق حل له، فقال السيد أحمد: «أجل، أقبل ذلك، إنما الأوضاع في الجامعات العراقية غير مناسبة إليك، لذا أعتقد أن الإمكانيات التي توفرت لك في بيروت، ستعينك على استمرار التحصيل العلمي هناك، وسأبذل جهدي لإنجاز هذه المهمة إن شاء الله».

تسارع الأحداث في إيران

توالت إقامة مراسيم التأبين والعزاء على روح المرحوم الحاج السيد مصطفى، في مختلف المدن الإيرانية، وقد أدت هذه، بدورها، إلى حدوث سلسلة من التحولات والأحداث، وبالتالي ظهور أمواج ثورية وشعبية عارمة ضد النظام البهلوi الظالم.. كما أنها أدت إلى تعميق التضامن والألفة والتعاضد بين مختلف طبقات وأفراد المجتمع الإيراني، وخاصة المجموعات الجهادية والثورية المقارعة لنظام الشاه الجائر، حيث كان الجميع من كافة الفصائل والمجاميع الجهادية والقضائية، يشاركون في هذه المراسيم المقامة في مختلف المدن، وكان العديد من

الخطباء والشخصيات العلمائية يلقون خطابات وكلمات فيها. منهم السادة: رباني شيرازي وصادق خلخالي ومحمد جواد حجتي وعبد المجيد معاد يخواه، ضد النظام الطاغوتي البائد؛ وكانت أشرطة بعض هذه الخطابات تصل إلينا في النجف الأشرف، وكنا نستمع إليها، وأدى ذلك تدريجياً إلى إضعاف سيطرة السافاك على إدارة الأمور والأوضاع الداخلية بشكل عام.

في أحد الأيام دخل السيد أحمد البيت متزعجاً وقلقاً ومضطرباً للغاية، وبينما كان يسعى للسيطرة على أعصابه، أخبرنا عن حوادث دامية ومؤلمة وقعت في إيران، بالأخص في مدينة قم، وقال: «لقد أطلق جلاوزة الشاه النار بكثافة على أبناء قم الأربعاء»^(١) وشرح تفاصيل الواقعة طبقاً للمعلومات المتوفرة لديه.. تأثر الجميع بسبب هذه الحادثة، وخاطبت السيدة أم أحمد سماحة الإمام بالقول: «ماذا يعمل من أطبقت عليه أنیاب الأسد الدموي غير التسلیم والرضا؟!». شاهدت سماحة الإمام قد أنسى إلى تفكير عميق، ثم خاطب السيد أحمد بالقول: «سأتحدث مع الناس بهذا الشأن».. وبعدها حضر سماحته في المسجد وقال في البدء: «لقد تحيرت، لمن أقدم العزاء بهذه الحادثة الأليمة والفاجعة الكبرى؟! هل أقدم العزاء للرسول الأكرم (ص) أم للأئمة المعصومين (ع) أم للإمام المهدي (سلام الله عليه)، أو أن أقدم العزاء للأئمة الإسلامية، بل لجميع المظلومين في أنحاء العالم!!»^(٢).

بعد ذلك حذر سماحة الإمام من مغبة أن يستلم زمام الأمور حفنة

(١) إشارة إلى المذبحة الدامية التي ارتكبت على يد جلاوزة الشاه في مدينة قم في ٨/١٩٧٩ م، للمزيد يمكن مراجعة الهاشم السادس في نهاية الفصل.

(٢) كتاب (صحيفة الإمام) ج ٣ ص ٢٩٦.

من الأشخاص الفاسدين وقال: «عندما تقع الأسلحة بيد الفاسدين، فستقع حتماً مفاسد كبيرة»، بعدها أشار سماحته إلى جملة معروفة قالها المرحوم الشهيد السيد حسن مدرس لرضا خان، وهي: «إنني أخاف من الثور.. لأنه يمتلك السلاح ولكن يفتقد العقل»^(١)، وأردف قائلاً: «إن كل مشاكل الإنسانية انحصرت في هذا الأمر وهو أن الأسلحة وقعت بيدأشخاص غير صالحين، إن الأنبياء بُعثوا ليجردوا هؤلاء الفاسدين وفاقدى العقل والمنطق، أسلحتهم»^(٢).

وواصل سماحة الإمام خطابه التاريخي مشيراً لقضية العدالة وضرورتها في المجتمع قائلاً: «إن الله عادل، ورسوله الكريم (ص) عادل أيضاً، والأئمة المعصومين عادلون، كما إن القاضي والفقير ينبغي أن يكونا عادلين، بل وحتى الشاهد على الطلاق، وإمام الجماعة، وإمام الجمعة، يجب أن يكونوا عدلاً؛ وهذا يعني أن العدالة في الإسلام هي حقيقة مستمرة متعلقة بالحق المتعال، وكذلك ينبغي أن يتصرف بها جميع الحكماء والولاة الذين يرسلون إلى مختلف المدن، لذلك، لو أن السلطة وقعت بأيدي أشخاص فاسدين وغير صالحين، وتخلي الحكماء عن العدالة، لظهرت مفاسد نرى صوراً عنها في المجتمع»^(٣).

بعد المذبحة التي ارتكبت بحق المتظاهرين في مدينة قم أقيمت عدة مراسم تأبين للشهداء في عدد من المدن الإيرانية استمرت حتى ذكرى الأربعينيات، وقد أقيمت مراسم كبيرة في عدد من المدن، ومنها مدينة تبريز التي خرج خلالها الناس في مظاهرات حاشدة رفع فيها

(١) نفس المصدر ص ٢٩٧.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر ص ٣٠٤.

المتظاهرون هتفات «الموت للشاه». وردت الجماهير الغاضبة الشعار ذاته في المدن الأخرى وأعلنوا خلالها غضبهم وانزعاجهم من الحكومة المتجردة والنظام الظالم، ولم تتردد قوات الحرس الملكي بالطبع، من فتح نيرانها على المتظاهرين وسفكوا دماء الآلاف منهم.

وخلال تلك الأيام بادر سماحة الإمام إلى إصدار عدد من البيانات ورسائل الثورة والجهاد المليئة بالألم والأمل بالنصر الإلهي، وكان الناس ينتظرون صدور بيانات سماحته بعد كل حادثة أليمة تقع في أي مكان من البلاد، لينفذوا إرشاداته وتعليماته الحكيمية.

بعد المجازرة الدموية التي وقعت في مدينة تبريز طلب السيد أحمد من آية الله السيد محمد بجوردي أن يذهب إلى آية الله السيد الخوئي في النجف الأشرف - وكان من المقربين له - ويطلب منه تعطيل الدروس احتجاجاً على قتل الشعب الإيراني، وقد قبل السيد الخوئي بدءاً الفكرة بشرط أن يبادر باقي المراجع والعلماء إلى نفس الخطوة.. بعدها قام آية الله بجوردي بنقل رأي آية الله الخوئي لسماحة الإمام.. ولكن رأي السيد الخوئي تغير بعد فترة، وأوصل قراره الجديد لسماحة الإمام الذي لم يعطّل دروسه، أيضاً، احتراماً له، إلا أنه تحدث في بداية درسه، عن المجازرة التي ارتكبها النظام الجائر بحق أبناء تبريز، وحوّل الدرس إلى مجلس خطابة وإرشاد.. بعد انتهاء الخطاب أصيب سماحة الإمام بحمى شديدة بسبب شدة تأثره بالحادثة، إلا أنه أصدر بياناً بهذه المناسبة وهو على تلك الحالة من المرض.

بعد تلك الحوادث التي شهدتها المدن الإيرانية، ازدادت اتصالات الطلاب الإيرانيين المقيمين في الخارج، مع سماحة الإمام من خلال السيد أحمد، وهم، بدورهم، بذلوا جهوداً كبيرة في إيصال نداء الشعب الإيراني ومظلوميته، لأسماع العالم وتعرية النظام الجائر المجرم.

وفي بيان وجّهه سماحة الإمام للاتحادات الإسلامية الطلابية في أوروبا وأميركا آنذاك، شرح الخطوط العامة للجهاد ومعالم الخط الجهادي والثوري الذي ينتهجه سماحته بالشكل الآتي: «بكل تواضع أمدّ يدي إلى جميع التيارات والأجنحة التي تعمل في خدمة الإسلام، واستمد العون من الجميع، للسعى معاً، والتضامن الشامل من أجل نشر العدالة الإسلامية، وهي الطريق الوحيد الذي يحقق سعادة الشعب. وأطلب من الباقي أن يُعيدوا النظر في عملهم وتوجهاتهم. إن سلاح الشعب الإيراني هو الإسلام. وملجؤه القرآن. وشعاره كلمة التوحيد»^(١).

وفي هذا البيان قدم سماحة الإمام مجموعة من النصائح والإرشادات للطلاب المسلمين الإيرانيين في أوروبا وأميركا وهي كالتالي:

- «اجعلوا الإسلام وأحكامه العادلة على رأس أهدافكم، واهتموا بمبدئي التولي والتبرّي.
- ابتعدوا عن المجموعات التي تتعارض عقائدها وأعمالها مع الإسلام.
- من لا يعتقد بالتوحيد والمعاد لا يمكنه أن يتنازل عن مصالحه الخاصة أو أن يفكّر بمصالح الناس.
- اسعوا من أجل معرفة المبادئ الأساسية «التوحيد والعدل» وأنبياء الله العظام الذين أقاموا قواعد العدالة والحرية.
- التزموا بجميع أبعاد الإسلام وتورعوا عن إدخال آرائكم الشخصية في تفسير الآيات القرآنية وتأويل الأحكام الإسلامية؛ وكونوا على

(١) كتاب (صحيفة الإمام)، ج ٣ ص ٣٢٧، بيان الإمام الخميني للاتحادات الإسلامية الطلابية في أوروبا، ١٣/٢/١٩٧٨ م.

ثقة أن ما يصبّ في صلاح المجتمع الإنساني مثل نشر العدالة وإزالة الظلم وتوفير الاستقلال والحرية وتعديل الشروء وغيرها موجودة جميعها في الإسلام؛ لذا لاحاجة للتآويلات غير المنطقية^(١).

- لا بد من إيجاد مراكز وقواعد للتعريف بالإسلام ونشر حقائقه المبندة للبشرية في أي نقطة من العالم يمكنكم ذلك، حتى تتوفر الفرصة أمام الشباب المخدوعين للتعرف على النظام الإسلامي وكشف انحرافات المدارس المادية.
- كونوا واعين ويقططين وحدرين من تغلغل العناصر المشبوهة والمنحرفة إلى داخل صفوف اتحاداتكم الطلابية.
- إن التفرقة والاختلاف تعتبر بمثابة السرطان الذي يشل نشاطاتكم. إذن لا بدّ من الحذر من العناصر المفترقة؛ ولو أن مجموعة لم تنضم إلى صفوف اتحادكم الطلابي لأسباب معينة، إلا أنهم منشغلون بنشاطات إنسانية - إسلامية، فينبغي أن لا تقفوا أمامهم. لأن مثل هذا العداء والاختلاف، إن حدث، فسيتشر في كل شيء.
- لأن هدفكم هو الإسلام، فلا بدّ أن تبتعدوا عن أهوائكم النفسية، ولا تفضلوا أنفسكم على الآخرين، وأن تكونوا معاً أخوة متحابين يعين بعضكم الآخر.
- ينبغي على الجامعيين وعلماء الدين، أن يحترموا بعضهم الآخر.. وعلى الجامعيين أن يعلموا أن علماء الدين يمثلون قوة كبيرة إن تم

(١) إشارة إلى مبادرة عدد من أعضاء منظمة مجاهدي الشعب (خلق) إلى تفسير القرآن الكريم طبقاً لآرائهم الخاصة.

الاستغناء عنهم لا سمح الله، لأنها رأت قواعد الإسلام؛ ومن الممكن أن يكون بينهم عناصر لا يتمتعون بالصلاحية الالزمة إلا أن أكثرهم في خدمة الناس.

- ينبغي على علماء الدين احترام الشباب والمثقفين الذين يسعون في خدمة الإسلام - حيث يستهدفهم الاستكبار لهذا السبب -، لأن مقدرات البلاد ستكون في أيدي الشباب المثقفين، لذلك لا بد أن تتحذروا من الإعلام المسيء الذي يستهدفهم والذي يؤدي إلى التفرقة والانفصال»^(١).

كذلك أكد سماحة الإمام الخميني في بيانه، على أهمية العلوم الدينية قائلاً: «لو لم يكن متخصصون في العلوم الإسلامية لاندثر أي أثر للتدين، ولو أن الجامعات أفرغت بدورها من العلماء والمفكرين، لاستلم الانتهازيون زمام أمور الاقتصاد والإدارة العلمية للبلاد.. إذن، فإن إحدى الطرق المؤثرة أو أكثرها تأثيراً في سبيل الجهاد ومقارعة الظالمين، هو التسلح بعلوم الدين والدنيا. وإن إفراج هذا المعقل بمثابة الخيانة للإسلام والدولة الإسلامية»^(٢).

كما أن سماحة الإمام أوصى مرة الطلاب الجامعيين الإيرانيين المقيمين في الهند، أن يتلتحقوا باتحاد الجمعيات الإسلامية الطلابية في أوروبا وأميركا حتى تكون خطواتهم واحدة في طريق الحرية والاستقلال ويحذروا التفرقة^(٣).

بعد إصدار كل بيان أو نداء من قبل سماحة الإمام الخميني، أو

(١) كتاب (صحيفة الإمام) ج ٣ ص ٣٢٢ - ٣٢٦.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٣) نفس المصدر، ج ٣ ص ٣١٨.

انتشار خطاب له، فإن السيد أحمد وزملاءه، - رغم عدم توفر الإمكانيات المناسبة واللازمة - كانوا يسارعون لتنظيم واستنساخ وإرسال تلك الإصدارات إلى مختلف نقاط العالم بكل عشق واعتقاد بالهدف الذي يسعون من أجله، وبالتالي التعويض عن ضعف الإمكانيات المادية المتوفرة آنذاك.

أسلوب الحصول على الخبر

في أوائل السبعينيات لم يكن الاستماع إلى المذيع هو الأسلوب المتبع من قبل سماحة الإمام للحصول على الأخبار، حيث كان سماحته قد كلف آنذاك عدداً من الأشخاص في إيران و مختلف أنحاء العالم، لهذه المهمة دون أن يعرف أحدهم الآخر، وكانوا يجمعون الأخبار التي تبها وسائل الإعلام المختلفة وينظمونها قبل إرسالها لسماحته.

وكانت تحليلات الإمام عن الأخبار والأحداث التي تجري، مدهشة وملفتة للغاية بالنسبة لي، و كنت أندesh أحياناً من ذكاء سماحته وحنكته في تعامله مع الأخبار والأحداث، فقد كان يحدث أحياناً أن يُنقل خبر ما لسماحته، فيقول بشأنه: «أظن أن هذا الخبر ليس صحيحاً ومحاطاً بالمكائد».. وبعد فترة نصل إلى هذه النتيجة، وهي أن رأي الإمام كان صحيحاً، وأن راوي الخبر كان يسعى لإيجاد أجواء كاذبة ليستشرها لصالحه.

وفي أحد الأيام حيث كنا جالسين معاً، قال سماحة الإمام متاثراً بشدة: «لَمِنْ الْمُؤْسِفِ حَقّاً.. إِنَّ أَمَّةً تَمْتَلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَتَتَمَتَّعُ بِثَرَوَاتٍ عَظِيمَةً.. وَتَحْتَهَا آبَارُ النَّفْطِ الْغَزِيرَةِ وَالْمَنَاجِمُ الْمَعْدِنِيَّةُ الْوَاسِعَةُ، إِلَّا أَنَّ سُكَّانَ الْقُرَى وَالْأَرْيَافِ فِي هَذِهِ الدُّولَةِ يَفْتَقِدُونَ لِأَبْسَطِ مَقْوَمَاتِ الْحَيَاةِ، مُثْلِّيَّ الْمَاءِ وَالْكَهْرِبَاءِ وَالْطَّرَقِ وَالصَّحَّةِ وَالْمَدَارِسِ.. وَهُؤُلَاءِ،

المحرومون، يبنون لأنفسهم أكواخاً يسمونها بيوتاً وأطفالهم محرومون من أبسط الإمكانيات الحياتية».

وأشار سماحته إلى تقرير إحدى الصحف ذكرت فيه أن أطفال إحدى القرى في أطراف مدينة شوشتر يعانون من أمراض عديدة مثل التراخوما وغيرها. وقد رأيت أن سماحته كان متأثراً ومتالماً للغاية عندما كان يشير إلى هذا التقرير، بحيث لم أشاهد عليه مثل هذا التأثر حتى عند وفاة نجله السيد مصطفى.

وفي مرة أخرى جاء أحد الأشخاص وقال: «البعض يقول في إيران أننا في الواقع نطيع (أولي الأمر) وأن الشاه يمثل (أولي الأمر) وأن الله شاء أن يحكم الشاه في إيران، لذا، فإن طاعة من أراده الله حاكماً للبلاد، تصبح أمراً ضرورياً». فقال سماحة الإمام بكل تعجب وتأثر: «لا أعرف لماذا لا يراجع مثل هؤلاء الأشخاص التاريخ، فلو كان الأمر كما يقولون، إذن لماذا وقف سيدنا موسى (ع) بوجه فرعون وهو صاحب ملك وسلطان؟ وهل أن غير الله هو من نصب فرعون حاكماً على البلاد؟ أو لماذا قام أمير المؤمنين الإمام علي (ع) بوجه معاوية؟.. وبعد انتهاء حديث سماحة الإمام، قلت: «لقد سمعت كذلك إن البعض من الناس، في إيران، يعتبر الشاه (ظل الله) في الأرض، ويعتقدون أن الحاكم هو (ظل الله) في الأرض، لذا تجب طاعته»، فقال سماحته: «إن أولي الأمر الذين أوجب الله طاعتهم طبقاً للاية الشريفة ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولُو الْأَئْمَةِ مِنْكُمْ﴾^(١) هم في مستوى النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع). وإن معنى (الظل) هو أنه لا يتميز بحركة مستقلة لذاته، بل إن حركته وكل كلامه وكل تصرفه،تابع للإسلام كما كان عليه

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

رسول الله (ص) الذي كان حقاً (ظل الله). هل إن هؤلاء الناس يظنون أن كلام الشاه وسلوكيه وأحكامه هي مطابقة للقوانين والأحكام الإسلامية؟! فأي من القوانين الإسلامية تطبق في إيران؟! وهل إن إيران تسودها العدالة الإسلامية والاجتماعية؟».

رفض الجهاد أو القبول به

بعد وقوع الحوادث المختلفة في إيران، ووصول أخبارها إلينا في النجف الأشرف تغيرت الأجواء السائدة في البيت، وأصبح الموضوع الرئيس الذي يتم التباحث بشأنه والتحاور حوله، خلال جلساتنا ولقاءاتنا، هو الأخبار التي تصل من داخل إيران والأحداث التي تجري هناك وتتبعها التحليلات المختلفة والمتباعدة أحياناً، فالبعض بشكل عام، كان يتحدث عن إمكانية توسيع الثورة والحرراك الثوري داخل إيران أو إمكانية جئي ثمارها، بينما البعض الآخر كان يرى عدم جدواً مثل تلك التحركات، إلا أن حكمة السيدة أم أحمد وتدبرها وحنكتها، في إدارة مثل هذه الحوارات، كانت لا تسمح للأجواء السائدة آنذاك، أن تخرج من حالة الهدوء والصداقة والمودة المعتادة.

مهرجان شيراز الفني

في أحد الأيام وصلنا خبر مُر ومؤسف عن «مهرجان شيراز الفني»^(١)، وقد تأثر سماحة الإمام وانزعج كثيراً لذلك، وتحدث عما سمعه بهذا الشأن في الدرس أمام الحاضرين، حيث أعرب في البدء عن اندھاشه لصمت علماء إيران حيال ذلك، وقال: لا أعرف لماذا يسكت البعض من السادة حيال مثل هذه التصرفات الوقحة والسلوك البعيد عن

(١) للتعرف أكثر على هذا المهرجان يمكن مراجعة الهمش السابع في نهاية الفصل.

العفة والحياء والمخالف للشرع المقدس.. فلو أن جميع الناس احتجوا على مثل هذه التصرفات وأصرروا على إجراء الأحكام الإسلامية، لما حدثت أبداً مثل هذه الواقعة؛ لأن الشعب هو سند كل حكومة.. إن هذا الشعب هو شعب مسلم ويحب الإسلام وعلماء الدين، إذن، لا بد للفقيه والمهندس والطبيب والطالب والجامعي والمثقف، أن يتعاضدوا معاً ولا يسمحوا بحدوث مثل هذه الأمور^(١).

وعندما سمعنا أن اثنين من علماء الدين في شيراز، هما آية الله العظمى السيد عبد الحسين دستغيب والشيخ بهاء الدين محلاتي، قد أدانا بشدة (مهرجان شيراز الفني) واحتججا في خطاباتهما ضد انتهاك المقدسات الدينية في المهرجان، رأيت أن سماحة الإمام فرح كثيراً لذلك.

رغم حدوث مثل هذه الواقعة في إيران، إلا أن الأوضاع السائدة في النجف الأشرف كانت هادئة، بل إن بعض الأشخاص كانوا يرفضون حتى الاستماع للاخبار المرتبطة بإيران ويبعدون عنها، والبعض الآخر كان ينسب مثل هذه الأعمال إلى الشيوعيين والماركسيين؛ وأنذر أن السيد أحمد قد أظهر انزعاجه وتأسفه لمثل هؤلاء الأشخاص، وقال لي: «هل تعرفين ما هو الشيء الذي يشغل أذهان بعض طلاب العلوم الدينية وأنصار الإمام المهدي (عج) هنا، وما هو هاجسهم الرئيسي؟؛ إنهم لا يفكرون إلا بكيفية الحصول على حاجاتهم من السوق!!».

التسجيل في جامعة بيروت

في إحدى الأمسيات التي وفقت فيها بالاتصال هاتفياً مع أبي وأمي في إيران، أخبراني أنهما سيسافران إلى لبنان، وطلبا مني أن أسافر إلى

(١) كتاب (صحيفة الإمام) ج ٣ ص ٢٢٩ - ٢٣١.

هناك، إن أمكن، حتى التقى بهما في بيروت.. وافق السيد أحمد على فكرة سفري إلى لبنان وتتوفر فرصة التسجيل في جامعة بيروت.. سرعان ما تم إعداد مقدمات السفر وتقرر أن أسافر إلى هناك برفقة ولدي حسن واحد المقربين.

كان قد سبقنا إلى بيروت شقيقى السيد مرتضى وزوجته السيدة «فرشته»، حيث كانا يدرسان في جامعة بيروت، وقد استأجرا شقة في منطقة (الروشة) المطلة على البحر الأبيض المتوسط.. وهكذا وصل والدي أيضاً إلى بيروت، كما أن السيد أعرابي وصل من إيران، والستة «فريدة» جاءت أيضاً من العراق حيث استأجرتا شقة أخرى في البناء ذاتها.

وكان الأوضاع الداخلية في لبنان آنذاك، غير مستقرة حيث تتواتر الأوضاع الأمنية بين فترة وأخرى والجميع كانوا قد اعتادوا على مثل هذه الأوضاع.. وخلال وقت العصر كان الدكتور شمران يأتي غالباً برفقة صادق قطب زاده المتواجد آنذاك في بيروت، إلى بيت شقيقى مرتضى لزيارة والدي ويتبادلان الأحاديث والحوارات، حيث كان والدي يحب كثيراً الدكتور شمران وهو بدوره يبادله الحب والاحترام.. وأنذكر أن الدكتور شمران خاطبنا يوماً قائلاً: «أعتذر منكم لأنني أزعجكم كل يوم بسبب هذه الزيارات لكنني أغتنم كثيراً هذه اللحظات وال ساعات التي أقضيها معكم».

وكان الجميع يحب الدكتور شمران لأنه كان متميزاً بالإخلاص والصفاء في كلامه وسلوكه، على الرغم من أنه كان قليل التحدث إلا أنه كان حسن الخلق والسلوك. وعندما كان ينضم إليهم، أحياناً، عدد آخر من الرجال، تصبح الجلسة خاصة بالرجال، ولضيق المكان، كنا نغتنم نحن النساء مثل هذه الفرص ونخرج لنتمشى على الكورنيش البحري (الساحل البحري المطل على البحر الأبيض المتوسط).



مشهد من الساحل الجميل للبحر الأبيض المتوسط (بيروت)

كان هذا الشارع أشبه ما يكون بالسوق، حيث يعرض فيه البائعون المتجولون مختلف أنواع البضائع الثمينة والكمالية والمواد الغذائية والملابس وغيرها.. وكنا أحياناً نسمع أصوات الرصاص والانفجارات أو صافرات الإنذار ونعم الفوضى في الشارع، وخلال دقائق يجمع البائعون بضائعهم ويهرعون في شتى الاتجاهات، وتتحول السوق المزدحمة والمضيئة خلال لحظات إلى منطقة مظلمة وخالية، ويدورنا نسرع عبر الظلام إلى البيت بحثاً عن مكان آمن يقيناً الأخطار.

كذلك كنّا، أحياناً، نذهب للمحلات والمتأجر الكبيرة والحديثة في وسط بيروت.. حيث زرنا في إحدى المرات أحدها برفقة والدتي والستة «فرشته»، وكنت أبحث عن قميص أسود لم أجده هناك.. وبينما كنا نخرج من المحل، فاجأنا صاحب المحل وهو يسرع باتجاهنا ويقول: «أرجو أن تعودوا إلى المحل لأنني وجدت ماتبحثون عنه!!».



أحد شوارع بيروت

وبينما كنت أعود إلى المحل، فكرت مع نفسي بأنني لم أخبر صاحب المحل عما أبحث عنه، ولكن ارتأيت أن أعود حتى أعرف ماذا يريد بالضبط!!.. وعندما دخلنا إلى المحل، فجأة أغلقوا الباب بقوة وكان باقي الزبائن ينظرون إلينا بدهشة واستغراب، فسألتُ والدتي عن سبب هذا التصرف، فقالوا: «نرجو أن تعبروا من هذا الجهاز، فمررت والدتي والسيدة «فرشته» بلا مشاكل ولكن الجهاز أطلق صافرة التنبيه عندما مررت عبره، فقال البائع: «لقد أطلق الجهاز نفس الأصوات عندما خرجت في المرة السابقة ولا بد أن تخضعي للتفتيش البدني». اعترضت عليهم عندما أرادوا تفتيشي أمام الزبائن، فأخذوني إلى غرفة مجاورة، ففيین للسيدة التي فتشتني أنه لا يوجد أي شيء أحمله معي، عدا طفل في بطني، فسألتني: «أين تسكنون؟» فأجبتها السيدة «فرشته»: «إننا ضيوف المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، فاتصلوا مع المجلس واعتذرموا كثيراً بسبب هذا السلوك غير اللائق. إلا أنني قلت لهم بالعربية بعد أن أثاروا أعصابي: «عندما يسلم

الإنسان عقله وذهنه بشكل كامل للتكنولوجيا، فإنه يُرغم أحياناً على الاعتذار.. صحيح أنكم مضطرون للاستفادة من هذا الجهاز للتفتيش والمراقبة، ولكن كما ترون فإن احتمال الخطأ موجود دوماً مما يؤدي ذلك إلى اتهام الآخرين بتهم باطلة كما حدث!!.

عندما وصلنا إلى بيروت كانت السيدة «فريدة» نبهت الصغير حسن أن لا يعرف عن نفسه للآخرين خارج البيت، لأنها كانت قد سمعت أن أسرة إيرانية تسكن في إحدى شقق المبني، يعمل والدهم في مكتب وكالة أنباء «بارس» الإيرانية في بيروت.

إلا أن حسن صادق طفلهم شيئاً فشيئاً، وكانوا يستدرجونه أحياناً، ويأخذونه إلى بيتهم ليلعبه ويقضي معه بعض الوقت.. وفي أحد الأيام، عندما عاد إلى البيت، توجه إلى عمّته «فريدة» التي كانت قد نبهته سابقاً، وقال لها بصرامة الأطفال: «يا عمتي «فريدة»، لقد قلت كل شيء..» فسألته باندهاش: «ماذا تقول؟»، فكرر مرة أخرى بصوت مرتفع وثقة عالية بالنفس، وهو يحرك يديه، وقال: «أجل لقد قلت كل شيء..» فاجتمعنا حوله لنسأله ماذا قال بالضبط ولمن قال؟ فجلس حسن فرحاً وببدأ يقول: «أخذتني والدة صديقي إلى داخل بيتهم وسألتني عن الضيوف الذين يزوروننا عصر كل يوم وما هي علاقتهم معنا؟ وقالت: هل إنه عمك الحقيقي عندما تناديه بالعم مصطفى؟ فقلت لهم: كلا، لأن عمي الحقيقي مصطفى توفى في النجف الأشرف.. وهذا هو عمي مصطفى شمران، وأن أبي هو أحمد الخميني الموجود حالياً في النجف الأشرف بجانب جدي !!».

قلقنا كثيراً بعد سماعنا ما قاله حسن، حيث أن السيدة «فريدة» قلقت أكثر على السيدة «فرشته»، إلا أنها أشادت بصدق وشهامة حسن الصغير..



من اليمين: خالتي بتو، والدتي، المؤلفة والسيد حسن

في اليوم التالي زارتنا السيدة جارتنا ومعها هدية. وبينما كانت تفضل أن لا يعرف أي أحد عن هذه الزيارة، قابلتنا بكل محبة ومودة وقالت: «صحيح أننا موظفون رسميون للحكومة الشاهنشاهية، ولكن أرجو أن لا تقلقوا أبداً، واطمئنوا من جانبنا، لأننا لم ولن نبعث تقريراً للسلطات الإيرانية حول وجودكم هنا، ولكن سترافقكم على أية حال ونطمئن عليكم، لأننا من المحبين لآية الله الخميني».

وهكذا مرّت الأيام بسرعة، وبالتالي نجحت في التسجيل في جامعة بيروت، وانشغلت بكل فرح وسرور بمطالعة درسي.

زواج لن يُنسى

في أحد الأيام، وبينما كنا نستعد للعودة إلى النجف الأشرف، وصل الدكتور شمران إلى البيت للقاء والدي، وذكر لنا حادثة وقعت له خلال إحدى العمليات ضد إسرائيل، وقال: «حوصرنا مع مجموعة من

المقاتلين فوق إحدى التلال من قبل القوات الإسرائيلية.. وبقينا نقاوم ونتصدى لهم حتى أوشكت معداتنا وذخائرنا العسكرية والغذائية تنفد، إلا أن الضغط الإسرائيلي ازداد علينا مع مرور الوقت، ولم يكن أمامنا أي طريق للتراجع أو الصمود في موقعنا، وكانت لحظات صعبة للغاية.. وفجأة رأينا عدداً من الأشخاص يتسلقون التل بحذر ويتجهون نحونا، فحملت المنظار حتى أتعرف عليهم وأتأكد من هم القادمون لأسرنا، ولكنني اندھست عندما شاهدت اثنتين من النساء تقومان بهذه المهمة الصعبة، وتسعيان إلى تجنب نيران العدو الإسرائيلي والوصول إلينا، وأخيراً وصلتا بالقرب منا وسقطتا على الأرض من شدة التعب والإرهاق.. فاتجهت نحوهن، فرأيت أنهن يحملن كميات من العتاد والطعام، فاعتبرت عليهن وقلت: «لماذا قمن بهذا العمل الخطير، ألا تعرفن أن هذا الطريق تحت مرمى الأسلحة الإسرائيلية، ونحن محاصرون في هذا المكان؟!».. بعد أن استرحن قليلاً، قالتا: «بعد أن عرفنا أنكم

محاصرون في هذا المكان، وأن طعامكم وعتادكم قد نفد، قمنا بهذا العمل لإنقاذهنكم، وكانت إحداهن تدعى (غادة)، وبعدها استطعنا أن نتراجع ونزل إلى أسفل التل».



الدكتور مصطفى شمران

وبعد أن ذكر الدكتور شمران أموراً أخرى ترتبط بـ «غادة» والأعمال التي انجزتها معهم، قال: «إن السيد الصدر وعدد آخر من الأصدقاء، اقترحوا أن أتزوج من «غادة»، وأنا قلت إن حياتي مرتبطة

بالحرب والمعارك وأنا غير مستعد أن تشاركني أي امرأة في مثل هذه الحياة الصعبة.. لكنهم قالوا إنهم تحدثوا معها وهي موافقة على ذلك خلافاً لرأي أسرتها، ومستعدة للزواج معي، وهي مؤمنة بالطريق والهدف الذي أجاهد من أجله».

وخطاب الدكتور شمران والدي قائلاً: «أرغب كثيراً أن يتولى سماحتكم والسيد الصدر مهمة قراءة خطبة العقد». وكنا نعرف من قبل شيئاً عن هذه القصة، ومطلعين عليها من خلال أصدقاءنا المشتركين. وقد سررنا كثيراً بموافقة الدكتور شمران على ذلك وقلنا: «إننا ندعو أنفسنا للحضور في هذه المراسم!!.. طأطأ الدكتور شمران رأسه وقال: «يسيرفي ذلك كثيراً، ولكنها ستكون مراسيم بسيطة، وأنا و«غادة» سنأتي إليكم».

وهكذا حان اليوم الموعود، حيث شاركتنا في حفل بسيط أقيم في منزل «غادة» وعرفنا أن أسرتها لم تكن راضية بإقامة مثل هذا الحفل البسيط، وكانتا يرون إقامة حفل واسع بمشاركة الجميع، إلا أن تحول «غادة» الروحي، ورغبتها في الزواج من الدكتور شمران، أرغمهما على القبول بمثل هذا الحفل البسيط. ورأينا أن أسرة «غادة» كانت تكن احتراماً خاصاً وكبيراً، للدكتور شمران وضيوفه والمقربين منه، وكانتا يعبرون عن ذلك بأشكال مختلفة، ولكنني رأيت في عيونهما فلقاً كبيراً على مصير «غادة» ومستقبلها.

بعد انتهاء مراسيم العقد عدنا إلى بيت خالتى في مدينة صور، حيث سرعان ما وصل الدكتور شمران إلى هناك، فقلت له باندهاش: «كيف ترك عروسك وحدها في مثل هذا اليوم؟ وكان لابد أن تبقى هناك الآن». فقال الدكتور شمران: «لقد بدأت مع والدك حديثاً ظل ناقصاً، وجئت لأكمله، ولا بد أن أغتنم مثل هذه الفرصة».

العودة إلى العراق

عندما قررت العودة إلى العراق قال والدي: «سأكون أنا ووالدتك معك في هذه الرحلة للعراق لأداء الزيارة (مرقد الإمام علي (ع))، وكذلك تقديم العزاء لسماعة الإمام والسيد أحمد ووالدته، برحيل الحاج السيد مصطفى».. وكان الخبر ساراً بالنسبة لي لأنني كنت أعرف أن السيد أحمد سيفرح كثيراً لرؤية والدي في النجف الأشرف.

وهكذا انطلقنا إلى العراق برفقة والدي والصغرى حسن، وحال وصولنا مطار بغداد الدولي، منع رجال الأمن والدي من الدخول بداية (وقد أشرنا إلى ذلك آنفًا). وبعد جهود بذلها السيد محمود دعائى سُمح لوالدي بالدخول، وأنطلقنا معاً (برفقة السيد أحمد والسيد دعائى اللذين جاءا لاستقبالنا في مطار بغداد) إلى النجف الأشرف، وذهبنا إلى بيتنا الذي كنا قد استأجرناه هناك، وفي صباح اليوم التالي ذهبنا لزيارة سماحة الإمام وزوجته.



السيد أحمد في حرم الإمام علي (ع) -
النجف الأشرف

كان لقاء والدي مع سماحة الإمام وزوجته، بعد حادثة وفاة السيد مصطفى مؤثراً للغاية.. وكان الطقس آنذاك حاراً ورطباً جداً، وقضينا تقريباً عشرة أيام في قبو البيت، ولم نكن نخرج منه إلا للضرورة. وكان السيد أحمد يتردد بين بيت سماحة الإمام ومنزلنا، بسبب ضرورة العمل وإدارة شؤون البيت، كما إني كنت أخرج من

القبو أحياناً، لطهي الطعام. وقد استفدت كثيراً من حضور والدي في النجف الأشرف بحيث كنت أراجع دروسى الجامعية معه قدر الإمكان.

وكانت علاقة السيد أحمد وأبي مُلْفِتة للجميع، وكان كل منهما يأنس بالآخر، وقد فرح كثيراً لحضورهم معنا حيث أخرجونا من وحدتنا.. وأنذكر أنني كنت غالسة مع والدتي في البيت عصر أحد الأيام، وفجأة وصل السيد أحمد وسأل عن والدي، فقلت له: «إنه ذهب إلى حرم أمير المؤمنين (ع)». فلم يقل شيئاً، وخرج من البيت. وبعد عدة دقائق عادا معاً؛ فقال والدي: «كنت منشغلًا بالزيارة والدعاء في حرم الإمام علي (ع)»، وفجأة رأيت السيد أحمد يجلس بجانبي بهدوء وقال: «لقد اشتقت لك كثيراً، وضاق صدري، فجئت إلى البيت لأتبادل الحديث معك، فلم أجده هناك، فجئت إلى الحرم؛ فقلت له: «إن ترغب نذهب معاً إلى البيت»، وهكذا جئنا معاً الآن».

بعد فترة من بقائهما معنا في النجف الأشرف، ورغم أجواء المحبة والمودة التي سادت بين والدي والسيد أحمد، للتعويض قليلاً عن ألم رحيل السيد مصطفى، عاد والدي إلى إيران.. وبعد ذلك انشغلت بشكل جاد مع إحدى المعلمات في مراجعة دروسي، ولأنها لم تكن تتقن الفارسية اضطررت لتلقى دروسي بالعربية الممزوجة بالمصطلحات الإنجليزية، مما أدى إلى تقوية لغتي الإنجليزية. وكنا راضيتين عن بعضنا، ولكن لم تمض سوى فترة قصيرة حتى تعطل الدرس بسبب الأحداث التي توالت في النجف الأشرف وإيران.

محاصرة بيت الإمام في النجف الأشرف

تواتى وصول الأخبار المختلفة من إيران، لا سيما أخبار المظاهرات الجماهيرية في العديد من المدن ضد النظام البهلوi، ونصرة

للإمام الخميني.. كما أن لقاءات سماحة الإمام في النجف الأشرف، مع مختلف الطبقات الشعبية والجامعيين وطلبة العلوم الدينية والصحفيين تضاعفت، وازدادت كذلك البيانات والنداءات الصادرة من قبل السيد الإمام وإرسالها إلى داخل إيران، منها احتجاجه على الاحتفالات الضخمة والبادحة التي أقامها النظام بمناسبة مرور ٢٠٠٠ عاماً على النظام الملكي، حسب زعمه، وكذلك اعتراض سماحته على العلاقات الودية السائدة بين إيران وإسرائيل، وذكري تأسيس حزب رستاخيز (البعث الإيراني)^(١)، فضلاً عن اعتراض الإمام الخميني على استبدال التاريخ الهجري بالتاريخ الشاهنشاهي وغيرها.. كما أن الإذاعات الأجنبية لم تكن تعكس سوى جوانب من ثورة الشعب الإيراني المسلم، إلا أن الأخبار الدقيقة والصحيحة، كانت تصل إلى سماحة الإمام عبر الاتصالات الهاتفية والرسائل والبرقيات، أو من خلال المسافرين القادمين من إيران.

وكان الوقت يمر والأحداث المهمة تقع يومياً في إيران، والحكومة في طهران تواصل ارتكاب الأخطاء ولا تقر بها أو تتراجع عنها، وأحياناً، كانت الحكومة تنتهج سلوكاً خاطئاً وقبيحاً، وترتکب جرائم فاضحة تدل على تشبعهم بالسلطة مهما كان الثمن، حتى لو كان على حساب التضحية بالمصالح الوطنية وتدمير البلاد والعباد.. وفي المقابل

(١) تأسس حزب (رستاخيز ملت إيران) (بعث الشعب الإيراني) المعروف اختصاراً بحزب رستاخيز (البعث) بأمر مباشر من ملك إيران محمد رضا بهلوي عام ١٩٧٤ م، حيث تم إدغام جميع الأحزاب الناشطة آنذاك في إيران، وأصبح الانتفاء إلى هذا الحزب إجبارياً حيث أعلن الشاه في خطابه: إن الجميع يجب أن يكونوا أعضاء في هذا الحزب، ومن يرفض ذلك عليه أن يخرج من إيران أو يدخل السجن، بعدها أعلنت الحكومة أن كل مواطن إيراني لا يريد الانضمام للحزب، سيزود بجواز سفر ويُرسل إلى الخارج!.

تضاعفت لقاءات سماحة الإمام مع الإيرانيين القادمين من إيران والخارج، كما أن الزائرين الإيرانيين أصبحوا أكثر شجاعة من السنوات الماضية حيث كانوا يقفون في الحرم الشريف لأمير المؤمنين (ع) يحيون سماحة الإمام الخميني دون خوف، بل ويزورون بيت سماحته بعيداً عن أنظار رجال الأمن، العراقي والإيراني. كان هذا الوضع الجديد، غير مناسب للحكومتين العراقية والإيرانية.

وفي أحد الأيام وصل محافظ كربلاء محاطاً بعدد كبير من القوات والمسؤولين العراقيين، إلى بيت السيد الإمام في النجف الأشرف والتقي، سماحته، وقال له: «الدينا التزامات وتعهدات مع الحكومة الإيرانية، وطبقاً لهذه التعهدات ينبغي علينا أن نحول دون ممارستكم النشاطات السياسية.. ولم يتأثر سماحة الإمام بهذا الكلام، ولا بالهالة الظاهرية التي أحاطت بالمسؤول العراقي، بل أجابه بكل قوة وصلابة قائلاً: «أين ذهبت حميتكم العربية حينما أصبحتم عبيداً لشاه إيران؟ إنه ذاته عبد لأميركا؛ وأنتم تقولون إنكم قطعتم عهداً للحكومة الإيرانية^(١)، ولكنني لم أقطع لكم أي عهد، فلو أنكم لا تستطيعون أن تستضيفوني هنا، فإني سأخرج من بلدكم».

(١) إشارة لاتفاقية الجزائر الموقعة في العام ١٩٧٥ م بين شاه إيران محمد رضا بهلوي وصدام، وطبقاً لها تم تعين خط تالوك في مياه (شط العرب) بين البلدين، كذلك تعهد الجانبان بمكافحة المخلين بالأمن في المنطقة الحدودية بينهما ويحولان دون عبور حدوديهما. بعد مرور ستة أعوام على توقيع هذه الاتفاقية، اندلعت الحرب الإيرانية - العراقية (ثاني أطول حرب في القرن العشرين) حيث مزق الرئيس العراقي صدام حسين نص الاتفاقية أمام شاشة التلفاز العراقي بتاريخ ٩/١٧/١٩٨٠ وانتهكها من جانب واحد وشن حرباً شاملة على إيران بتاريخ ٩/٢٢/١٩٨٠ م.

بعد عدة أيام جاءنا مسؤول حكومي محلي آخر، من النجف الأشرف، وطلب أن يعطل الإمام الخميني دروسه؛ وهنا شعر سماحته أن هدف النظام العراقي من هذه المساعي، تجميد برامج الإمام ونشاطاته تدريجياً حتى لا تظهر للعيان آثار هذا التشديد، لذا، فإن سماحته امتنع عن الذهاب إلى المسجد وإقامة صلاة الجمعة وزيارة حرم الإمام علي (ع) وأعلن أنه ليس من أولئك الوعاظ الذين يحصرون الدين في زيارة الحرم والذهب إلى المسجد واعتلاء المنبر؛ «سأرحل من هنا متى ما شعرت أني لا أتمكن من القيام بواجبي الشرعي».

هذه التطورات والمضايقات التي تعرض لها سماحة الإمام، أوصلها السيد أحمد وزملاؤه، بسرعة، إلى أبناء الشعب الإيراني في داخل إيران وخارجها.. وقد أدى ذلك إلى توجيه ضربة قوية لسمعة الحكومة العراقية التي لم تكن تتوقع أن الإمام الخميني، الذي دأب على زيارة حرم الإمام أمير المؤمنين (ع) مساء كل يوم، صيفاً وشتاءً، في الحر والبرد، وفي أصعب الظروف، أو خلال المرض، أن يعلن، فجأة وبصراحة، أنه سيترك هذه السنة الحسنة ولن يذهب إلى المسجد، ولن يصعد المنبر من أجل صيانة الدين وبيان الأحكام الإسلامية.

إثر الإنذارات التي وصلت بيت السيد الإمام والتهديد الذي وجهه البعضون، وردّ الفعل القوي الذي أبداه سماحته، قاموا بتشديد الحصار على البيت في النجف الأشرف. وبالرغم من أن هذه الضغوط والإجراءات لم تnel رضى أحد، إلا أننا من ناحية أخرى، فرحنا عند سماعنا النباء. لأن عدم ذهاب سماحة الإمام إلى المسجد، وعدم إلقاء الدرس يعني أن سماحته سيقى أكثر داخل البيت، وبذلك سنحصل على فرصة أكبر للجلوس معه والاستماع إلى حديثه الشيق ومحاورته.

أدت الإجراءات التي فُرضت على تحركات سماحة الإمام ومحاصرة بيته، وقطع ارتباطه مع أنصاره وأعوانه في الدول الأخرى، إلى اندلاع احتجاجات واسعة ضد هذه الإجراءات العابثة التي نفذتها الحكومة العراقية، وكانت الشعارات التي رُفعت فيها، ضد صدام بذاته، الذي كان يشغل آنذاك منصب النائب الأول للرئيس العراقي أحمد حسن البكر.

خلال اتصال هاتفي أجراه شقيقه السيد صادق مع السيد أحمد، أخبره أنه تم إصدار بيان استنكاري من قبل اتحاد الجمعيات الإسلامية الطلابية الإيرانية في أوروبا وأميركا، وقدموا شكوى بهذا الشأن إلى



صورة عن المقال الذي نشر في صحيفة (لوموند) الفرنسية بقلم الإمام موسى الصدر حول الثورة الإسلامية في إيران

المنظمات الدولية، فضلاً عن تنظيم مظاهرات في شوارع بون ونيويورك وغيرها.. كذلك سمعنا أن الإمام موسى الصدر نشر مقالاً في صحيفة لوموند الفرنسية بعنوان (نداء الأنبياء) شرح فيه تاريخ الجهاد الإسلامي لأبناء الشعب الإيراني ضد الطغيان، واصفاً نداءات سماحة الإمام للشعب الإيراني بأنها صدىً لنداء الأنبياء (ع)، وأعلن احتجاجه الشديد على تصرف الحكومة العراقية،

كما دعا القادة العرب لتوجيهه دعوة لسماحة الإمام الخميني إلى بلدانهم تدعيمًا للجبهة المعادية للصهاينة. كذلك وصف الإمام موسى الصدر سماحة الإمام الخميني، في أحد خطاباته التي ألقاها في تلك الأيام في بيروت، بأنه (الإمام الأكبر).

أخبار مُرّة وأخرى سازة

ازدادت شيئاً فشيئاً القيود التي فرضتها الحكومة العراقية على نشاطات السيد الإمام، وفي المقابل تشددت مواقف سماحته وازدادت كذلك نداءاته إلى الشعب الإيراني.

في صباح أحد الأيام، وبينما كنا نائمين على سطح البيت، استيقظ السيد أحمد إثر طرق الباب بشدة، فنزل من السطح وفتح باب البيت وكانت أنظر من الأعلى، فرأيت خالي «فاطمة» وهي تتحدث مع السيد أحمد. قلقت بشدة بسبب مجئها في مثل هذا الوقت المبكر، فنزلت للأسف وسألت: «ما الخبر؟؟» فأجابت وعيناها مغورقتان بالدموع، تقول: «إن شخصاً دعي في ضيافة آخر، إلا أن الداعي احتفظ بالمدعو».. فقلت: «من هذا الشخص؟؟»؟ فقالت: «إنه الإمام موسى الصدر»^(١).

اندهشت عند سماعي الخبر، وقلقت في الوقت ذاته؛ ولم نكن نعرف بدقة عمق هذا الحادث المؤسف حينها، وكنا نظن أن ذلك لن يستمر أكثر من عدة أيام. وكانت الخالة «فاطمة» قد جاءت إلينا لتشاور مع السيد أحمد حول ما يريد زوجها (السيد محمد باقر الصدر) أن يفعله بهذا الشأن. كما أرادت أن تطلب من سماحة الإمام أن يقوم بعمل ما لتحريره من مُضييفه!!.

(١) وكان ذلك بتاريخ ٢٨/٨/١٩٧٨ م.

سارع السيد أحمد للذهاب إلى بيت سماحة الإمام وأبلغه بهذا الخبر، انزعج سماحة الإمام بشدة عند سماعه الخبر، واسترسل بتفكير عميق، ثم أرسل برقيات فورية للرئيس السوري حافظ الأسد، وزعيم منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات، وطلب منها أن يتابعا هذا الأمر ويطمنانه حول سلامة السيد الصدر، إلا أن جهود سماحة الإمام وبباقي المراجع ومسؤولي الدول الأخرى، لم تثمر للاسف، عن أية نتائج إيجابية.

وفي الوقت ذاته وصلنا خبر سار من إيران، وهو إطلاق سراح خال والدتي آية الله السيد حسن طباطبائي قمي من السجن والنفي، فبعث سماحة الإمام رسالة له جاء فيها: «لقد فرحت كثيراً لنبدأ تحريركم وإطلاق سراحكم بعد اثنى عشر عاماً من الاعتقال اللاقانوني وغير الانساني بجريمة قول الحق والدعوة إلى الحق^(١)».

هدية من مجھول

في أحد تلك الأيام التي كان فيها بيت الإمام محاصراً من قبل البعضين العراقيين، وكنا جالسين في الباحة، رأينا حسن يدخل البيت وبيه خمسة دنانير عراقية (الدينار العراقي كان يعادل عشرين توماناً إيرانياً)، فسألته: «من أعطاك إياها؟»، فقال: «بينما كنت في الخارج، مرّ من أمام البيت زائر إيراني برفة زوجته، فسألـا السيد مشهدـي حسين (عامل البيت) هل إن هذا الصغير هو حفيد الإمام؟ فأجابـهما: نعم، مما دعاهم إلى تقبيلـي وإعطـائي هذا المبلغ من المال، وقـلا: إنـها هدية، أعـطـها لأـمـك».

(١) وكان ذلك بتاريخ ٢١/٩/١٩٧٨ م.

بعدها تأكّدت من تفاصيل هذا الحادث من خلال السيد مشهدي حسين الذي أيد كلام الصغير حسن.

ورغم أن الظروف لم تكن مناسبة للرحلات، قررت السفر إلى مدينة كربلاء مع اثنين من صديقاتي ومكثنا هناك يومين وصرفنا ذلك المبلغ هناك، وقلت حينذاك، إن الإمام الحسين(ع) هو الذي دعانا لزيارته، ونحن في الواقع ضيوفه. وقد طلب مني السيد أحمد أن لا أتحدث مع أي أحد بشأن البرامج والأحداث التي تحصل أو القرارات التي تتخذ بتصدّها.

اجتازنا المسافة، بين مدینتي النجف وكربلاء، بحافلة نقل الركاب العامة خلال ساعة واحدة تقريباً^(١)، وكانت قلقة للغاية خلال هذه الزيارة. وعندما عدنا إلى النجف الأشرف قال السيد أحمد: «سنغادر العراق بعد يومين!!»، تفاجأت لهذا الخبر وتحيرت كثيراً، وتساءلت: «ما الذي حدث؟»، قال: «لقد ساءت الأوضاع خلال اليومين الأخيرين وشددوا الحصار المفروض علينا، حيث إن قوات الأمن العراقي لا تسمح بدخول أي شخص إلى بيت سماحة الإمام أو الالتقاء به، والبيت محاصر بالكامل^(٢)، وقد طلبوا من سماحته أن لا يلتقي مع الصحفيين

(١) كانت هذه الحافلات التي تسمى (أمانة) نظيفة جداً وأنيقة وتبلغ الأجرة ١٢٠ فلساً، حيث كان كل خمسين فلساً يعادل درهماً واحداً، وكل عشرين درهم يعادل ديناراً واحداً. كما كانت توجد سيارات صغيرة للأجرة من نوع مارسيدس وأجرتها ربع دينار لكل شخص، وعندما كنت نريد السفر إلى كربلاء بشكل عائلي مع سماحة الإمام، كنا نستأجر سيارتين، وكان سماحته يوصي دائماً أن لا يجلس السيدان مصطفى وأحمد في سيارة واحدة.

(٢) احتجاجاً على الحصار المفروض على بيت الإمام الخميني، أصدر علماء الدين في طهران بياناً استنكروا هذه الخطوة، كما أن حوزة قم العلمية أعلنت رفضها وغضبها الشديد لهذه الإجراءات التعسفية وعطلوا جميع الدروس وصلوات الجمعة في المساجد.

ورجال الإعلام، وأن يتتجنب إلقاء الخطابات وأن لا يصدر أي بيان!!.. وهكذا يكونوا قد سجنوا سماحة الإمام في بيته.. مع ذلك، فإن سماحة الإمام قلق أكثر على أنصاره وأعوانه، ويقول: «أخشى أن يوجدوا مشاكل لهؤلاء وأن يبادر البعثيون إلى اجراءات أسوأ وأشد، لذا، لا بد أن نغادر هذا المكان بسرعة، وقد ارتأى سماحته أن نغادر إلى الكويت بأسرع وقت ممكن».

إن سماع هذا الخبر كان صعباً للغاية علي، لا سيما أن السيد أحمد أردف قائلاً: «القد أعطينا جوازات سفرنا للسيد دعائي لانجاز خطوات المغادرة والحصول على تأشيرات الدخول إلى الكويت».

سألته مندهشة: «هل تظن أنهم سيوافقون على مغادرتكم العراق؟»، فقال: «لا أعرف ماذا سيحدث!! لربما سيرفضون المغادرة بسبب تعهداتهم مع الحكومة الإيرانية.. على أية حال، إنه قرار اتخذه سماحة الإمام، وقد وضعنا الخطط الالزمة والمناسبة لمواجهة كل الظروف، ولا بد أن ندقق ونحذر من أن لا يطلع أحد على هذا القرار. فلو سافرنا لا بد أن لا تبقى لوحذك في البيت، وأن تذهبي عند السيدة والدتي، فمسيرنا غير معروف، وإن رغبت يمكنك أن تعودي إلى إيران، وأن ولد ابني، فقولي له إن أباك يحبك كثيراً.. كذلك قلنا للسيدة الوالدة أن تتخذ القرار المناسب بعد مغادرتنا وتنفذ أي خطوة ترى صلاحها وصوابها».

كان صعب جداً علي سمع مثل هذا الكلام أو تحمله، وكانت لحظات صعبة ومؤلمة، وقد حاولت أن لا أنقل قلقي للسيد أحمد، إلا أن حقيقة الأوضاع كانت أسوأ من ظاهرها.. وببدأ السيد أحمد يشرح لنا مرة أخرى ظروف الجهاد ومصاعبه وعلاقته بحياته، قال: «القد وصلنا حالياً مرحلة حساسة للغاية في جهادنا، بالطبع هذه المشاكل كانت

موجودة منذ البداية، وكنتأشعر بالقلق عليكم دائمًا لعدم وضوح المصير الذي ينتظرنَا، واليوم، لأنني سأكون برفقة سماحة الإمام الذي ترك كل شيء خلفه (الجامعة والدروس والمرجعية والحياة العلمائية) واختار طريق الهجرة، فإن الأوضاع صعبة للغاية، والأخطار أوسع وأشد، لذا يجب أن تكوني أقوى وأكثر استقامة، من أي وقت مضى. بالطبع، فإن طريق الالتزام الديني والسعى من أجل الحقيقة مليء بالصعاب والأشواك، لأنه ليس من السهل أن يصبح الإنسان إنساناً، حيث إن اجتياز الأزمات يزيد من قوة الإنسان واستقامته وحكمته، لذا ينبغي أن لا ندع الخوف يدخل قلوبنا، وأن لا نتوكل إلا على الله.. أرجو أن لا تنسيني من الدعاء دائمًا، وأن تخبرني أبني القادم قريباً، إن أباك أحمد يحبك كثيراً. بعد ذلك احتضن الصغير حسن وقبله قائلاً له: «أرجو أن ترعى أمك في غيابي»!!.

غادرت بيتنا إلى بيت السيد الإمام، وأنا مندهشة وغير مصدقة ما يحدث، وقد ازدادت هدوءاً وسکينة عندما شاهدت هدوء وصلابة سماحته، ولم أعد أفكِر إلا بصعوبة فراقهم.

الليلة الأخيرة

بقينا تلك الليلة في بيت السيد الإمام، وباتت معنا هناك السيدة «معصومة» والأولاد والستة «فريدة» التي كانت قد وصلت من لبنان، وقد تركنا سماحته في الوقت المخصص لاستراحته كالعادة. حيث خاطبنا قائلاً: «أستودعكم الله جمِيعاً وأرجو أن ترضوا عنِّي، وتصبروا، لأن مغادرتي هذا البلد هو واجب إلهي، حيث لا أستطيع أن أسكُن والتزم الصمت خلافاً لهذا الواجب، ولا يمكنني السكوت طلباً للحياة المريحة، وإن كان الأمر كذلك، فكيف سأجيب الله سبحانه وتعالى؟!».

وكالعادة استيقظ سماحته، قبل ساعة ونصف من أذان الصبح لأداء صلاة الليل، وبعد أدائه صلاة الصبح، غادرنا سماحته مع مرافقيه، وعند التوديع أوصانا مرة أخرى بالصمود والاستقامة، وقال سماحته: «اسعوا لأن يكون قيامكم وعودكم من أجل الله، لأن (القيام لله) ليس فيه الضرر والخسران أبداً، كما أن مثل هذا القيام لا يحدده الزمان والمكان، لأن الإنسان في كل مكان وزمان، مخاطب من قبل الله الذي قال جلّ وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَحْدَةِ اللَّهِ مَتَّنِي وَفِرَادِي﴾^(١).

لا شك أن هذا التفسير والاستنتاج من هذه الآية المباركة، من قبل سماحته، يمكن أن يشكل دافعاً مناسباً لنشاطه وصبره واستقامته ورضاه، خلال اعتقاله ونفيه، والآن خلال هذه الرحلة المجهولة المصير التي بدأها.

بعد أن خرجوا من البيت، نظرت إلى الزقاق وشاهدت مجموعة من طلبة العلوم الدينية هناك، كما لفت انتباهي شخص آخر ليس من الطلبة، فسألت السيد أحمد: «من هذا الرجل؟»، فاجاب: «إنه الدكتور يزدي^(٢) .. لقد وصل من أمريكا للقاء سماحة الإمام، وسنأخذه معنا في هذه الرحلة^(٣).

(١) سورة سباء، الآية: ٤٦.

(٢) الدكتور إبراهيم يزدي المولود عام ١٩٣١ م في مدينة قزوين ومتخصص في علم الصيدلة وحاصل على الدكتوراه في الغدد من أمريكا.. عرف بنشاطه الداعم للجامعيين وتنظيم صفوفهم خلال دعم ثورة مصدق أوائل الخمسينات من القرن المنصرم كما دعا إلى النضال المسلح ضد النظام الملكي البائد بعد انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٤ م في إيران.

(٣) غادر سماحة الإمام النجف الأشرف للخروج من العراق يوم الاربعاء ١٠/٣/١٩٧٨ م.

بعد مغادرتهم البيت، لجأ كل منا إلى ركن من أركانه، وبعد فترة من الزمن نادتنا السيدة أم أحمد لتناول الفطور؛ وكل واحد منا كان يقول شيئاً ويفسر الأمور كما يحلو له، فإذاً الحاضرات قالت: «لقد ساءت الأمور كثيراً»، والأخرى قالت: «إن طريق الجهاد مليء دائماً بالمشاكل»؛ وثالثة سألت: «ولماذا الكويت؟»، فبأي الوجوب من أخرى: «بالتأكيد كانوا مرغمين على التوجه إلى الكويت»!.. واستمرت مثل هذه الأسئلة والأجوبة المملة حتى دخلت السيدة أم أحمد وقالت: «أظن إن تبادل الحديث حول القرار الذي اتخذ وتفصّل لا ينفع الآن، لذا أرجو أن لا تشغلو وقتكم بمثل هذه الحوارات المرة والعابثة وغير المجدية».

قلق عوائل مرافقي سماحة الإمام

قبل ساعتين من ظهر اليوم ذاته، طرقت إحدى السيدات الباب ودخلت، وهي قلقة ومنزعجة بشدة وسألت باكية: «أين السيد الإمام؟»، فأجبتها السيدة «مريم» بهدوء: «إنه في المكان الذي ينبغي أن يكون!»، فسألت ثانية: «هل أنت مطمئنة ومتأكدة؟»، فأجبتها: «نعم».. وطبقاً لتوصية السيد أحمد لم يكن مسموح لنا أن نتحدث مع أي أحد عن هذه الرحلة قبل وصول السيد الإمام إلى الكويت واستقراره هناك.

دخلت هذه السيدة باحة البيت ورأينا جميعاً جالسين هناك، فسألت عن أحوالنا وغادرت بسرعة.. بعد عدة دقائق طرق الباب مرة أخرى، فدخلت سيدة أخرى باكية، أيضاً، وسألت: «أين السيد الإمام؟»، فأجبناها: «إنه في المكان الذي ينبغي أن يكون»، فسألت مرة أخرى: «هل يمكنني أن أذهب إلى غرفه» فقلنا لها: «نعم ولكن بعد الاستئذان من السيدة زوجته»، وهكذا غادرت هذه السيدة أيضاً.

بعد عدة دقائق دخلت البيت زوجة أحد المرافقين الآخرين لسماحة الإمام، وسألت عن أحوالنا أولاً ثم قالت: «ما الخبر؟»، قلنا لها: «وأنت ما عندك من أخبار؟»، فقالت: «كنت في بيت إحدى صديقاتي وكانت متزعجة وقلقة جداً»، فسألناها: «لماذا؟»، قالت: «لا أعرف». وطلبت من السيدة أم أحمد أن تسمح لها أن تأتي إلى هنا لترتاح قليلاً وتهداً بفضل كلام السيدة المسّكّن للنفس.

غادرت هذه السيدة البيت وسرعان ما عادت برفقة صديقتها التي كانت أصغر منها في العمر.. وبعد السلام والتحية قالت: «إن زوجي لم يكن طبيعياً خلال الأسبوع الأخير وكانت تظهر منه تصرفات غير عادية، وكان حاد المزاج، ولم يجني على الأسئلة التي طرحتها عليه. وكان هادئاً حين ذهابه ومجيءه إلى البيت، وقد تحملت ذلك، إلا أنه جاءني مساء أمس يحمل عدداً من البيض، فسألته لمن اشتريتها؟ فلم يجني، ولكنه سلقها ووضعها في سلة، وعندما استيقظت منتصف الليل لم أجده في مكانه». وأكملت السيدة الأصغر الكلام بالقول: «وكذلك زوجي لم تكن تصرفاته طبيعية خلال الأيام الأخيرة وجاء مساء أمس إلى البيت ومعه مقداراً من الطماطم (البندورة)، فغسلها وأعدّها ووضعها في سلة، ولم يجني كذلك على أسئلتي، وغادر البيت بعد منتصف الليل». وتتابعت: «ذهبنا معاً إلى بيت صديقة أخرى لنا لنعرف ما الخبر هناك، فرأيناها أكثر قلقاً وانزعاجاً منا، حيث كان زوجها بنفس الحالة مساء أمس ولم يكن يجنبها على أسئلتها أيضاً، وعندما قالت له: إن لديها موعداً مع الطبيب، ولا بدّ أن تراجعه غداً في عيادته ببغداد، قال لها: «الأفضل أن تطليبي مساعدة صديقاتك.. ولا بدّ أن تصعي نفسك محل السيدات اللواتي استشهد أزواجهن في إيران أو اعتقلوا في سجون

بعد غسلها وإعدادها بشكل جيد».

وأردفت تلك السيدات بالقول: «ذهبنا إلى بيت صديقة أخرى، فرأينا نفس الحالة تكررت هناك، حيث أعد زوجها مقداراً من الخبر وغادر البيت بعد منتصف الليل».

وبذلك تأكينا أن عدداً من تلاميذ سماحة الإمام المقربين يرافقون سماحته، وقد غادروا النجف الأشرف معه بعد أن قسموا الأعمال ومهام التموين والإعداد للسفر، فيما بينهم^(١).

وهكذا عرفت زوجات المرافقين من تلاميذ سماحة الإمام، أن لديهن قضية مشتركة ويواجهن نفس الظروف الصعبة، ولا بدّ من التعاون والتعاضد لاجتياز مثل هذه الظروف، وكمن يتساءلن بتعجب: «لماذا سافروا بهذا الشكل هذه المرة ولم يخبرونا كالمرات السابقة عن مقصدتهم؟ وهل كنا نحول دون سفرهم إن أخبرونا؟»، والعديد من أمثل هذه الأسئلة.

ومع اقتراب وقت أذان الظهر، غادرت النساء البيت إلى منازلهن متآلمات ومنزعجات كونهن لم يحصلن على أجوبة لأسئلتهن، وبانتظار عودة أزواجهن.

حلّ المساء ولم يصلنا أي خبر عن المسافرين، فقلقنا أكثر. وكانت السيدة أم أحمد تقول: «لربما توقفوا في الطريق للاستراحة أو لتناول الطعام أو للصلة ولم يصلوا حتى الآن إلى الكويت»؛ فضلاً عن ذكرها

(١) رافق سماحة الإمام حتى الحدود الكويتية، بالإضافة إلى السيد أحمد، كل من الدكتور يزدي، والصادف أحمد مهري وفردوسي بور واملائي ودعائي.

لعدد آخر من الاحتمالات!! وذلك لكي تقلل من قلقنا وتهديء من روعنا، لكن بلا جدوى.. تضاعف قلقنا وازداد اضطرابنا أكثر إلى أن جاءنا أحد الاشخاص (ولا أذكر اسمه) وهو يحمل معه خبراً مفرحاً عن المسافرين، قال: «إن جميع المسافرين بخير ولله الحمد، وطلبوا مني أن أخبركم بذلك، وأن تعدوا وجبة طعام بسيطة لسماحة الإمام، وسأرجعكم بعد حوالي ساعتين لأنخذها إليهم».

وهكذا اطمئننا على سلامتهم، ولكن من ناحية أخرى، قلقنا أكثر بعد أن طلب ذلك الشخص أن نعد الطعام للسيد الإمام، حيث عرفنا أنهم لم يغادروا الأراضي العراقية ولم يدخلوا الكويت، ولم يكن أمامنا سوى أن نستفسر عن التفاصيل من ذلك الشخص حنما سيعود إلينا لاحقاً.. وعندما جاءنا سألناه: «أين هم الآن؟»، قال: «لا أعرف!!»، فقلنا له: «ولكن كيف عرفت بالخبر؟»، فقال: لقد اتصلوا بي عبر الهاتف»، وقلنا له: «إذن.. إلى أين تأخذ هذا الطعام الآن؟».. وتأكدنا أنه يحاول أن يحافظ على الأسرار ولا يرغب أن يعطينا التفاصيل، وبدأ بإعطاء الأجوبة المتناقضة نوعاً ما.. إلا أن قلقنا واضطرابنا، دفعانا للمزيد من الأسئلة، فسألناه مرة أخرى: «لقد أخبروك عبر الهاتف أن تراجعنا وتطلب منا أن نُعد هذه الوجبة من الطعام، وهذا يعني أنك تعرف حتماً إلى أين يجب أن تأخذه، ويعني أنك سوف تلتقي بهم، فنرجو أن تخبرنا عن ذلك؟!».. وبعد أن لمس إصرارنا على الأمر قال: «إن سماحة الإمام وصل مع مرافقه إلى الحدود المشتركة مع الكويت إلا أن المسؤولين الكويتيين حالوا دون دخولهم الأراضي الكويتية، مما اضطربهم للعودة إلى الأراضي العراقية، وهم الآن في طريق العودة إلى بغداد، وأنا حقاً لا أعرف أين هم الآن بالضبط.. ومن المقرر أن يتصلوا بي مرة أخرى ويحددوا لي موعد اللقاء والمكان بانفسهم».

بعد استماعنا لهذه التفاصيل ازداد قلقنا، وازداد سيل التساؤلات مع أنفسنا: ماذا سيحدث لو منعت الحكومة العراقية سماحة الإمام والسيد أحمد من العودة ثانية بعد أن ختمت مهر الخروج على جوازات سفرهم؟ وحتى لو سمحوا لهم بالعودة ثانية، ماذا سيحصل؟ وهل سيعود الإمام إلى النجف الأشرف بعد تحمل كل ذلك التعب والإرهاق، جراء الطقس الحار والظروف الصعبة؟ وكيف سيواجه سماحته الظروف الجديدة مع مكانته العلمية والسياسية والاجتماعية البارزة، لأن خبر خروج سماحته من النجف الأشرف قد انتشر رغم إحاطته بالسرية والكتمان، وبدأت الأقاويل والأحاديث تصل إلى أسماعنا، وباتت عودة سماحة الإمام إلى النجف الأشرف أمراً غير مستساغ، وسيحاط باللوم والعتاب فضلاً عن احتمال أن يشدد، المسؤولون العراقيون، من إجراءاتهم ومضايقاتهم لسماحته ولأنصاره وتلاميذه.

أصداء رحلة الإمام الخميني إلى باريس في النجف الأشرف

تحدث لنا عدد من الأشخاص الذين عادوا إلى النجف الأشرف بعد أن ودعوا السيد الإمام، عن الظروف التي أحاطت موكب سماحته حين مغادرته النجف الأشرف منذ يومين، حيث أكدوا أنه عندما رفضت الحكومة الكويتية دخول السيد الإمام ومرافقيه، عاد سماحته إلى مدينة البصرة وبات تلك الليلة في أحد فنادقها، وغادر صباحاً إلى مدينة بغداد واستقر في فندق (دار السلام)، ثم زار مرقد الإمامين الكاظمين (ع) في مدينة الكاظمية، وكان الحرم مزدحماً بالزائرين الذين اجتمعوا حول سماحته، معتبرين عن مشاعرهم نحوه، مما جعل المسؤولين العراقيين في حالٍ من الاضطراب والقلق، والإسراع في إعادة الإمام إلى بغداد، حيث غادرها وبالتالي إلى العاصمة الفرنسية باريس.

وقال هؤلاء الأشخاص: إن سماحة الإمام وجه بياناً إلى الشعب

الإيراني خلال مغادرته العراق، جاء فيه: «الآن وقد اضطررت لمعادرة جوار أمير المؤمنين (ع)، وبعد أن رأيت أن الأجواء في الدول الإسلامية لم تكن مفيدة لخدمتكم، حيث تواجهون حملات الإستكبار، لذا.. فإنني أغادر إلى فرنسا، إن المهم، بالنسبة لي، هو القيام بالتكليف الإلهي ولا بهم المكان»^(١).. وقد ارتحنا قليلاً بعد سمعانا هذا الخبر.

لقد ترك قرار سماحة الإمام السفر إلى باريس، أصداءً غير مشجعة في النجف الأشرف، نتيجة التباس فهمه من قبل أهالي النجف. فقد جاءتنا زوجات عدد من العلماء يستنكرون هذا القرار بالقول: «لماذا اتخذ الإمام هذا القرار؟، أليس من المؤسف أن يترك أجواء النجف وجوار أمير المؤمنين (ع) ويغادر إلى بلاد الكفر؟!.. فلا معنى للجهاد والنضال عند مثل هؤلاء الناس»، إلا أنهن استدركن بأن المرجعية هي الأمر المهم الذي ينبغي السعي من أجل المحافظة عليها بأي ثمن كان. وأن المكانة العلمائية (حسب تعريفهن الخاص)، هي التي ينبغي للإمام المحافظة عليها وصيانتها..

وفي مثل تلك الأجواء التي لم يرون وجود أي تناسب بين معرفة لغة أجنبية أو استماع عالم ديني للمذيع مع التزامه الديني ومعرفته الدينية وحفظه للتقاليد المتبعة لدى الأوساط العلمائية والمرجعية، أجل في مثل هذه الأجواء فإن سفر مرجع تقليل لفرنسا لا يمكن القبول به بأي شكل من الإشكال..

كان البعض يظن أن السيد الإمام أهمل مقام المرجعية من أجل إثبات رأيه وإصراره عليه فحسب.. كما كان البعض الآخر يقول: «... وهكذا تبين أن المرجعية لا مكانة لها بالنسبة للإمام، وإنما كيف يمكن

(١) كتاب (صحيفة الإمام) ج ٣ ص ٤٨١.

لعالم ديني أن يغادر النجف الأشرف إلى فرنسا، بينما يفضل نظاروه استنشاق هواء النجف الأشرف والموت في هذا المكان. وأخرون كانوا يقولون أن يدفن الإنسان في مقبرة (وادي السلام) أمر يستحق أن يسكت ويلتزم الصمت!!.

وفي اليوم ذاته زارتنا إحداهن والتقت السيدة أم أحمد، وبعد السؤال عن أحوالنا قالت لها: «ألم تقل لي للسيد الإمام أنه من المؤسف أن يغادر النجف؟! وأليس من الأفضل أن يقضى سنوات عمره الأخيرة في هذه المدينة؟! وأن القيام بزيارة الحرم العلوى والسلام على الإمام علي (ع) أفضل من كل أمور الدنيا».. وقالت أخرى: «واأسفاه، لقد كان له هنا مسجد يصلّي فيه ويدرس دروسه، ويمتلك فرصة لأداء الزيارة، ولكنه ترك كل ذلك وذهب إلى بلاد الكفر، وإن صلاة ركعتين في حرم الإمام علي (ع) أفضل من الدنيا وما فيها!!»..

مع استماعي لمثل هذا الكلام ورغم أنني سعيت أن أكون مستمعة فقط، ولم أكن أرغب في محاورة مثل هؤلاء الناس، إلا أنني قلت: «إن هذا كله يعتمد على فهمكم للدين والالتزام الديني».. فأجبت إحداهن: «إن هذا الكلام المتنور هو ما رسخه شريعتي والمتربون، في أذهانكم!!، إن أمثاله عندما يريدون سلبكم دينكم، فإنهم يقومون بذلك تدريجياً وبهدوء، ولا يقولون لكم بصراحة أن تخلوا عن دينكم».

وقد أثرن بمثل هذا الكلام، أعصابي، فقلت: «إن سماحة الإمام هو مرجع تقليد وصاحب فكر واجتهاد، وقد اتخذ قراره حسب رؤيته للأمور.. فلو كنا نفكّر مثلكم، كان لا بدّ أن نقول إن الإمام الحسين (ع) لم يتخذ قراراً صحيحاً عندما غادر مكة، والكعبة المكرمة، والروضة النبوية الشريفة، وتحرك إلى الكوفة.. وطبقاً لمنطقكن ورؤيتكن للأمور فإن الإمام الحسين (ع) كان عليه أن يفضل زيارة جده على الجهاد، وهل

أن الإمام الحسين (ع) تأثر أيضاً بكلام المثقفين والمتناورين كما تزعمن؟!!).

طالت مثل تلك الحوارات والمناقشات في تلك الأيام، وعندما رأت السيدة أم أحمد أن كلاماً متى لا يقبل رأي الآخر، والطرفان مصراً على رأيهما، قالت: «لا فائدة من مثل هذه الحوارات والمناقشات، وإنك تبذلين جهداً عابشاً، فلا داعي لأن تهدرني وقتك في مثل هذا النقاشه والجدال».

عودتي إلى إيران

بعد ما وصل سماحة الإمام والسيد أحمد إلى باريس واستقرا هناك، قمت بدوري بالاستعداد للمغادرة إلى إيران من أجل الولادة، ولكن كان لا بدّ أن أجمع الأثاث الذي أرسل إلينا قبل أقل من عام من مدينة قم، وإعادته إلى هناك.

وحينها تأسفت، لأنني لم أصح لنصيحة السيدة أم أحمد، حين ارتأت أن لا نأتي بالأثاث من قم في وقتها، وكانت المهمة صعبة للغاية بسبب حالي الصحية والمعنوية السيئة، والطقس الحار في النجف الأشرف.

كنا نذهب صباح كل يوم إلى بيتنا لإنجاز هذه المهمة برفقة السيدة «ننه بي بي» وهي عجوز أفريقية طيبة وودودة للغاية، وعندما نتعب نعود إلى بيت السيد الإمام.. كما أن السيد إملائي^(١)، كان قد أوصى برعاية

(١) حجة الإسلام الشيخ إملائي من تلاميذ سماحة الإمام، وكان قد تزوج حديثاً ولكنه اضطر لترك زوجته في النجف الأشرف ورافق سماحته إلى باريس.. للأسف توفي الشيخ إملائي في الأشهر الأولى بعد انتصار الثورة الإسلامية في حادث اصطدام في طريق قم - طهران.

في جمع أثاث بيتها لنسافر معاً.

في أحد الأيام وبينما كنّا قد عدنا لتوّنا إلى بيت سماحة الإمام، بعد قضاء وقت طويل في جمع الأثاث وكنت مرهقة للغاية، التقينا بإحدى صديقاتنا هناك، التي واجهتني بعتاب لا مبرر له دون أن تأخذ بنظر الاعتبار حالي الصحية والروحية السيئة، ودعّتني لأساعد زوجة السيد «املائي»، وأن لا نتركها وحيدة، لا سيما تجربتها الأولى في نقل الأثاث، وأنها حديثة الزواج، وهي حزينة لمقاطعة زوجها.. وقد التزمت الصمت ولم أجدها بأية كلمة لإرهافي الشديد، وكنت بحاجة لمن يساعدني، فصبرت.

شعرت بالضيق الشديد عندما أردت مغادرة النجف الأشرف، وقد وصلت خالي وقامت بتهئتها روعي ورفع معنوياتي.. استأجرنا سيارة صغيرة وغادرنا إلى مدينة الكاظمية وبيتنا تلك الليلة في منزل ابنة خالي السيدة «مراهم»، وساعدنا عدد من أصدقاء صهر خالي. واصطحبتنا هي صباح اليوم التالي إلى مطار بغداد.

في تلك الحالة، انتابني قلق آخر، وهو أن لا يُسمح لي بركوب الطائرة لكوني في الشهر الأخير من الحمل، أو أواجه مشاكل بسبب صحتي وقرب الولادة وغيرها.. على كل حال أنجزنا إجراءات الخروج وختم الجوازات. وغادرت الطائرة مطار بغداد إلى طهران، بينما كانت السيدة أم أحمد تستعد لإقامة مراسم الذكرى السنوية الأولى لوفاة الحاج السيد مصطفى.

الهوامش

١ - ولد آية الله السيد محمد موسوی بجعوردی في النجف الأشرف وتلقى العلوم الدينية في محضر علماء كبار أمثال آيات الله العظام الميرزا حسن بجعوردی (والده) والسيد الخوئي والسيد الحکیم، وحضر دروس سماحة الإمام الخمینی بعد نفیه إلى النجف لمدة أربعة عشر عاماً واعتبر من تلامذة البارزین والملازمین له؛ وكان سماحته يهتم به كثيراً وهو كذلك من الأصدقاء المقربین للحاج السيد مصطفی الخمینی.

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إیران، أصبح مسؤولاً عن قسم الاستفتاءات في مكتب سماحة الإمام في مدينة قُم، وأصبح عضواً في مجلس القضاء الأعلى خلال سنوات ١٩٨١ - ١٩٨٩ م، وأصبح منذ العام ١٩٩٢ م عضواً في الهيئة العلمية، ورئيس قسم الشريعة والحقوق والعلوم السياسية في جامعة التربية وإعداد المدرسين (الخوارزمي) وكذلك رئيس قسم الفقه والأصول الحقوقية في مركز أبحاث الإمام الخمینی والثورة الإسلامية.

في العام ١٩٩٦ تزوج نجلی الأکبر السيد حسن من الابنة الكبرى لآية الله بجعوردی السيدة «فاطمة» (ندا).

مؤلفاته:

- عقد الضمان.
- علم الأصول.
- الفقه المقارن.
- الفقه المقارن والقسم الجزائي (المجلد الثاني).
- القواعد الفقهية (المجلدان الأول والثاني).
- مجموعة المقالات الفقهية والحقوقية والفلسفية والاجتماعية (المجلدات ١ - ٩).
- مصادر التشريع.
- الأفكار الحقوقية (المجلدان الأول والثاني).
- الفقه المدني (١ و٢).
- المقالات الأصولية.
- الاستصحاب.
- شرح على كفاية الأصول.
- ٢ - ولد الشيخ علي تهراني عام ١٩٣٠ م وبعد تلقيه الدروس التمهيدية في العلوم الدينية حضر في دروس الإمام الخميني (رض) وكان معروفاً بحبه وتعلقه الشديد بسماعته ويعتبر من المناضلين الذين تحملوا السجون والتعذيب في هذه الطريق.

بعد انتصار الثورة الإسلامية، عُين رئيساً لمحاكم الثورة الإسلامية في مدينة مشهد، ومن أعضاء مجلس خبراء الدستور الإسلامي.. ما لبث أن أصبح من مناوئي النظام الإسلامي. وبعد هروببني صدر خارج البلاد، هرب بدوره إلى العراق واستقر هناك. وكان طوال سنوات الدفاع

المقدس وال الحرب العراقية - الإيرانية، ببث برنامجاً من إذاعة بغداد ضد الإمام الراحل والحكومة الإيرانية، وكان سماحة الإمام يستمع إليه أحياناً عبر المذيع.. كما أن الشيخ تهراني هو زوج شقيقة آية الله السيد الخامنئي، وقد سلم نفسه للقوات الإسلامية الإيرانية على الحدود الإيرانية - العراقية في العام ١٩٩٥ م وحكم عليه في المحكمة بالسجن والإقامة الجبرية في بيته.

٣ - كانت هذه الحمّامات العامة تتفاوت في مساحتها ونظافتها ويوجد فيها غالباً حوضاً ماء صغيراً وعميقاً، أحدهما حار والآخر دافئ، يتم الدخول إليهما من خلال سلالم صغيرة. يقوم رواد هذه الحمّامات بغسل رؤوسهم وأجسامهم بسبك الماء الذي يُحمل في أواني صغيرة من النحاس أو القصدير، وقوفاً أو جلوساً. والبعض يطلب من عمال متخصصين غسل أجسامهم، والحمامات تتفاوت من حيث براعة هؤلاء العمال وكفاءاتهم.

وهناك مجموعة من الأساطير تُسرد حول هذه الحمّامات، منها أن الجن يتواجدون فيها قبل أذان الصبح، وتخصص الحمّامات للرجال خلال الفترة الزمنية المحصورة بين ساعتين قبل أذان الصبح وحتى قرب الظهر، وبعدها تخصص للنساء.. هذا وقد شيدت تدريجياً حمّامات صغيرة خاصة إلى جانب الحمّامات العامة سميت بـ (حمام النمرة الخصوصي).

٤ - كان صادق قطب زاده (١٩٣٦ - ١٩٨٢ م) قبل انتصار الثورة الإسلامية من المقربين للإمام الخميني (رض) في باريس، وأصبح، بعد الانتصار، وزيراً للخارجية ومدير مؤسسة الإذاعة والتلفزة للجمهورية الإسلامية الإيرانية وعضوًا في مجلس قيادة الثورة الإسلامية.

وكان قد اعتقل ودخل السجن مراراً خلال العهد البهلوi البائد، وبعد أن خرج من إيران درس في جامعة جورج تاون الأمريكية. وخلال حفل ضيافة أقامته السفارة الإيرانية، قام بصفع السفير الإيراني في أميركا أردشير زاهدي، وتم إخراجه بعدها من هذه البلاد ليستقر في كندا وينشط في صفوف أنصار سماحة الإمام في إيران والإمام موسى الصدر في لبنان. وكان قطب زاده ضمن الأشخاص الذين رافقوا سماحة الإمام في الطائرة التي نقلتهم من باريس إلى طهران، وشارك في أول انتخابات لرئاسة الجمهورية الإسلامية أوائل عام ١٩٨٠ ولم يربح تلك الانتخابات، واختلف مع عدد من مسؤولي الجمهورية الإسلامية.

هذا وقد اتهم قطب زاده بمشاركته في إحدى المحاولات الإنقلابية العسكرية أوائل الثورة الإسلامية وتم اعتقاله وإعدامه في أيلول عام ١٩٨٢ م بعد محاكمته.

٥ - ولد آية الله الميرزا جواد ملكي تبريزي أواخر القرن الثالث عشر الهجري القمري في أسرة الحاج الميرزا شفيع في مدينة تبريز. وأمضى سنوات شبابه في النجف الأشرف وحضر دروس كبار العلماء هناك؛ ثم عاد إلى إيران حوالي عام ١٣٢١ هـ. ق وانشغل في نشر المفاهيم الدينية وتهذيب النفس في مسقط رأسه تبريز.

هاجر في العام ١٣٢٩ هـ. ق أوائل سنوات الثورة الدستورية إلى مدينة قم بسبب توتر الأوضاع في تبريز، ومكث في هذه المدينة. وعرف آية الله ملكي ببراعته الفقهية وشهرته ضمن العرفاء الكبار في حوزة قم العلمية، وكان، أيضاً، من أساتذة الإمام الخميني.

كان يدرس الفقه في الحوزة العلمية، فضلاً عن إلقاء دروس عامة في الأخلاق في المدرسة الفيضية، وخاصة داخل بيته، وكان سماحة

الإمام يشارك في هذه الدروس الأخلاقية ويحضر باستمرار في صلاة الجماعة التي يقيمها في المسجد الرئيسي داخل حرم السيدة «فاطمة» بنت الإمام موسى الكاظم (ع) بمدينة قم.

توفي سماحة آية الله ملكي تبرizi في العام ١٣٤٣ الهجري القمري ووري الثرى في مقبرة (شیخان) بمدينة قم.

٦ - انتفاضة أبناء قم في ٨/١/١٩٧٨ م: شكل حادث وفاة آية الله السيد مصطفى الخميني في ٢١/١١/١٩٧٧ م منعطفاً في تاريخ النهضة الإسلامية لأبناء الشعب الإيراني المسلم؛ حيث أقيمت مجالس عزاء كثيرة في مختلف المدن الإيرانية تزامنت مع اندلاع مظاهرات حاشدة ضد النظام المستبد الحاكم آنذاك.. بعدها قرر النظام البائد القيام بعمل استفزازي يُوجه من خلاله الإهانة لسماحة الإمام الخميني (رض) ليحاول المس بمكانة المرجعية الرشيدة المتمثلة بسماعته؛ لذلك أوعز إلى أذنابه في صحيفة (إطلاعات) لنشر مقال أوائل كانون الثاني عام ١٩٧٨ بالاسم المستعار (أحمد رشیدي مطلق) تم فيه اعتبار التبرج والتخلّي عن الحجاب فضيلة، وأن الحجاب عودة إلى الوراء وتقليل قديم ورجعية، فضلاً عن توجيه الإهانة للإمام الخميني (رض) واعتبار انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٣ م مؤامرة استعمارية وغيرها.

أثار انتشار هذا المقال ردود فعل غاضبة ومستنكرة بدأت من مدينة قم، حيث عطل أساتذة حوزة قم العلمية دروسهم في يوم ٧/١/١٩٧٨ م واندلعت مظاهرات حاشدة نظمها طلبة الحوزة العلمية، سرعان ما أنظم إليهم تجار السوق والكسبة من خلال إغلاق محلاتهم في ٨/١/١٩٧٨ م، وتضاعف عدد المتظاهرين الغاضبين، مما دعا جلاوة الشاه المقبور

والسافاك، لمهاجمة الناس العزل وفتح النار عليهم، مما أدى إلى استشهاد أعداد كبيرة من الأبرياء.. وأصبحت هذه الانتفاضة في تاريخ النهضة الإسلامية، منطلقاً لثورة الشعب الإيراني المسلم حيث تبعتها إقامة مراسم الأربعينية الشهداء في مختلف المدن. واستمر ذلك حتى انتشرت المظاهرات المليونية في كل مكان، والتي انتهت بسقوط النظام البهلوi.

٧ - المهرجان الفني في شيراز: تم تشكيل لجنة عليا لإقامة هذا المهرجان ضمت رئيس الوزراء وعددًا من الوزراء والمحافظين ورؤساء البلديات.. حيث افتتح أول مهرجان في ١٩٦٧/٩/١١ واستمر عشرة أيام، وكان الهدف منه القضاء على الثقافة الإسلامية وفتح الطريق أمام تغلغل الثقافة الغربية في المجتمع الإيراني المسلم؛ وكانت بعض البرامج الفنية، التي قدمت في هذا المهرجان في دورته لعام ١٩٧٦ م، متعارضة مع الأخلاق العامة في المجتمع، إلا أن أوج الميوعة والرذيلة اللا اخلاقية، تمت في مهرجان عام ١٩٧٧ م، تزامناً مع شهر رمضان المبارك، حيث كشف النظام البهلوi من خلال السماح للعروض الفنية المخالفة للدين والثقافة الدينية، عن وجهه الحقيقي المنادى للدين.. هذا وقد وصف السفير البريطاني في طهران (انطونи بارسونز) في مذكراته التي نشرها بعنوان (الغرور والسقوط)، تلك العروض الفنية ومنها العرض التمثيلي (الختir، الطفل والنار)، بأنها سببت في اندلاع أول شرارة للثورة في إيران. وشرح تفاصيل ذلك العرض كالتالي: «تجاوز مهرجان شيراز الفني للعام ١٩٧٧ م مهرجان العام المنصرم من حيث كثرة المشاهد والعروض التي وجهت من خلالها إهانة للقيم الأخلاقية للإيرانيين والمس بها».

«وقد تم استئجار أحد المحلات التجارية في أحد الشوارع المركزية في مدينة شيراز والمزدحمة بالناس ، وتم هناك تقديم عرض فني وتمثيلي حي ، نقل لنا أحد الشهود العيان الذي رأى مشاهد ذلك العرض بالشكل الآتي : «تم تقديم نصف العرض داخل المحل التجاري ونصفه الآخر على الرصيف ، وقد كان أحد المشاهد الذي قدم على الرصيف وأمام الناس ، نوعاً من الاغتصاب بعنف وبالشكل الطبيعي وال حقيقي ، وليس بالشكل الإيمائي أو الرمزي .. وأمام أعين الناس».

ويضيف السفير : «خلال لقائي الشاه قلت له: لو أن هذا العرض قدم في مدينة مانشستر البريطانية لما تمكن المخرج والممثلون من إنقاذ أنفسهم من غضب الناس وانزعاجهم. فضحك الشاه لفترة من الزمن».

الفصل السابع

“صرخة الغضب”

قُم وأيام الثورة

عندما وصلنا طهران، ذهبت السيدة «املائي» إلى بيت أقربائها وذهبنا نحن إلى مدينة قُم، لقد تغيرت الأوضاع في المدينة كثيراً مقارنة مع الوضع الذي كان سائداً عندما غادرناها قبل عام تقريباً، فالدبابات الآن تنتشر بكثافة في شوارعها، وأثار الإضراب العام سائدة في كل مكان، مما أدى إلى إغلاق الأسواق وال محلات التجارية و تعطيل المدارس وأكثر الدوائر والمؤسسات.

كذلك رأينا الأطفال يلعبون لعبة جديدة يهتفون خلالها بكل قوة بشعار (قل: الموت للشاه.. الموت للشاه) بينما كان الناس لا يجرأون في السابق على توجيه أي نقد أو اعتراض للمدراء والموظفين فضلاً عن رجال الحكومة.

و قبل عودتنا، ومع بدء العام الدراسي في النجف الأشرف كنت قد سجلت ولدي حسن في مدرسة (علوي) الإيرانية، إلا أنني اضطررت للانتقال إلى مدينة قُم وتسجيله في مدرسة داريوش بالقرب من بيت أبي، ولكن المدارس كانت معطلة بسبب الإضراب العام.

و كان علي أن أستعد للولادة، لذا ذهبت برفقة خالي «بتول» التي كانت عوناً لي دوماً، إلى (مشفى ايزدي)، وهناك تعجبت من الوضع السيء الذي رأيته، حيث يرقد المرضى في الممرات وعلى الأرض ولا وجود لأي طبيب أو ممرضة، مما جعلني أبكي بسبب ذلك. ففضلت

حالتي أن تعيني معها إلى البيت وتطمئنني أنها ستأخذني إلى مشفى أفضل ولا داعي للقلق.

بعد أن عدنا إلى البيت وشرحنا الوضع السائد في المشفى، أقترح والدي أن نذهب إلى طهران، وكانت الأوضاع آنذاك غير طبيعية في كل مكان، والجميع منشغلون في حوادث الثورة والمشاكل الناتجة عنها، كما أن شقيقات السيد أحمد كن قد وصلن إلى مدينة قم لإحياء الذكرى الأولى لوفاة الحاج السيد مصطفى.

في مثل تلك الظروف والفوضى السائدة في كل مكان وصلتني رسالة من سماحة الإمام هذا نصها:

«بسمه تعالى»

١٧ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ ق

السيدة فاطي (فاطمة)

إن شاء الله يكون مزاجك الشريف سليماً.. فمكانك هنا حالياً^١
والطبيعة رائعة وخلابة، ولكن لا يُعرف إلى متى سنبقى هنا. أدعو دوماً
لعزيزي حسن، أرجو أن تسلمي على سماحة حجة الإسلام السيد
والدك، وتطلعينا عن سلامتك، لا سيما سلامتك بعد الولادة إن شاء الله
تعالى والسلام.

روح الله الموسوي الخميني^(١)

(١) تاريخ هذه الرسالة يعود للتاسع من تشرين الأول ١٩٧٨ م، كتاب (صحيفة الإمام/ ج ٣ ص ٥٠٠).

زركندة



من اليمين، السيدة «قدسی فیروزان»
والسيد اسکندر فیروزان

وأخيراً قررنا
الذهاب إلى طهران،
فقد طلبت من السيد
مشهدی رضا العامل
القديم والوفي لبيت
سماحة الإمام،
استئجار سيارة وأن
يرافقنا في هذه الرحلة.

لذا سافرت برفقته ونجلي حسن إلى طهران، وبكيت في السيارة حتى وصلنا إلى هناك. وصلنا إلى منزل خالي في محلة «زركندة»^(١)، حيث الطقس في هذه المنطقة أبرد بعدة درجات عن باقي مناطق طهران، وحينها تذكرت أنه قبل عدة سنوات وصلنا طهران صيفاً برفقة السيد أحمد وشقيقه مرتضى، وعندما وصلنا ساحة «شوش» (جنوب طهران) كان الطقس حاراً جداً هناك، فقررنا الذهاب إلى بيت الخالة «زهراء» حيث كان الطقس هناك بارداً لوقعها في مسیر الرياح الباردة القادمة من قمة «توجال»^(٢)، وتميز هذه المنطقة ببرودتها حتى في الصيف، مما يستلزم ارتداء ملابس إضافية.. وقد اخترنا بيت الخالة «زهراء» ذاته بعد عدة سنوات للإقامة، وكان أصحاب البيت طيبين وذوي تعامل حسن

(١) تقع محلة زركندة بالقرب من ساحة تجریش (شمال طهران) وفي المنطقة البلدية الثالثة، ويقول البعض أن سبب تسميتها يعود إلى اكتشاف مسکوكات وجرار في التلال المحيطة بهذه المحلة.

(٢) تقع قمة جبال توجال في شمال طهران ويبلغ ارتفاعها حوالي ٤٠٠٠ مترأ.

للغاية، وسعوا كثيراً لإضفاء أجواء رائعة ومحببة خلال وجودنا هناك لإزالة أي نوع من القلق والاضطراب من وجودنا.

رسالة من بلاد الغربة

وصلتني آنذاك رسالة من باريس، فتحتها بكل شوق وكانت من السيد أحمد، بدأها بجمل مفعمة بالسؤال عن أحوالنا، والباقي حول الأوضاع في باريس وحالة سماحة الإمام والأحداث التي تجري هناك، وهذا نصها:

«نحن جميعاً بخير وأحوالنا جيدة، أرجو أن لا تصغي لما تنشره الصحف أو يقوله زيد أو عمرو وأعرف أنك لن تصدقهم.. السيد الإمام بصحة جيدة ولله الحمد وهو مشغول دوماً، فأعماله كثيرة إلا أنه مستعد لذلك.

«يا له من كهل ضاقت عليه الأرض بما رحب، كما أن وضعنا هنا غير واضح المعالم، فدائماً يزورنا أشخاص من قصر الأليزيه ويقولون أنكم خدعتمونا ودخلتم بلادنا التي يتلازم اسمها مع الحرية وذاع صيتها في كل مكان، ولكننا تربطنا مع إيران وبالتالي اتفاقيات اقتصادية؛ وبباقي الدول تمثل فرنسا بهذا التوجه والكل أصبح يخشنان.. حيث لم يكتفوا بغلق الحدود أمام هذا الشيخ الكبير، بل إنهم فرضوا علينا رقابة صارمة.. يوم أمس اجتمع حوالي ألفي شاب وشابة قدموا من أنحاء أوروبا في صالة، ليستمعوا إلى كلام إمامهم، وقد دخل مندوب جيسكار دستان^(١) فجأة وكانت يدها ترتجفان، وكان يظن أنه سيدخل

(١) فاليري جيسكار دستان (المتولد عام ١٩٢٦م) كان رئيساً للجمهورية الفرنسية خلال الفترة ١٩٧٤ - ١٩٨١، وهو الرئيس العشرون للجمهورية الفرنسية.

بلاطًا فخماً، إلّا أنه اندهش من بساطة المكان، وقد حالوا بكل احترام دون مغادرته.

انظري.. هذا هو الغرب الذي تلاعب بنا باسم الحرية منذ سنوات طويلة، حيث هناك اختلاف واحد بين الغرب والشرق، ففي الغرب يذبحون الإنسان تدريجاً دون أن يشعر، وفي الشرق يضربون عنقه بالسيف! إلّا أن النتيجة واحدة لا غير.

إن هذا الرجل الذي نزع رداء المرجعية في النجف الأشرف من أجل إنقاذ أمته، واتخذ فجأة قراراً محيراً للعقل - كما يقول علماء الدين - متحرراً من كل قيود الدنيا وملتزماً بالإسلام، ولكنه وجد نفسه في أجواء يزعم حرّاسه أنهم يحملون راية الحرية.. كما أنه كتب في مطار بغداد نداءً بيديه المرتعشتين موجّهاً إلى أبناء شعبه الصامدين بوجه رصاصات الغرب والشرق (وقد ازدادت يداه ارتعاشاً أكثر من السابق)، ولا زال يصرخ في بياناته الثورية بكل قوة أنه لن يتخلّى عن العمل الذي بدأه حتى لو قطع إرباً إرباً.

إننا غرباء في الغرب، لأننا كنا نظن أننا سنجد هنا شيئاً يفتقده الشرق وهو الحرية. لقد أحاط أكثر من ثلاثة صحفى ومراسل ومصور بهذا الشيخ الكهل وجميعهم تقريباً كتبوا أن كل شيء مخبأ تحت هذا الهيكل العميم، كما يقف أمامهم صف متشكل من أكثر من ١٥٠ رجل شرطة فرنسي يفرضون طوقاً أمنياً شديداً، بذراعه الحراسة والمحافظة، تماماً كما كان عليه الوضع في النجف الأشرف.. ياله من عالم عجيب، وهذا الشيخ الكهل يسخر من كل هذا الوضع السائد، ويعتقد أن كل ذلك لا شيء ولا جدوى منه أبداً، وأنا بدوري أعتقد بكل لاهما رغم تضادهما معاً.

أخبرنا السيد محمود^(١) هذه الليلة أنك وصلت طهران بينما الجميع غادروا إلى قُم، ولم يقل أكثر من ذلك^(٢).. ولا أفهم لماذا جئت وحدك إلى طهران؟ هل حدث شيء ما لحسن؟ أو أصابك شيء لا سمح الله؟ وهل أن السيدة الوالدة منزعجة وقلقة بسبب بقائها وحيدة؟!.. رغم أن وضعنا هنا غير مستقر ومستقبلنا مجهول ولربما نغادر هذا المكان، ولكن نريد أن ننقل هذه السيدة إلى هنا لنواجهه معًا نفس المصير، هذه السيدة التي تميزت حياتها بالحوادث العديدة وكأنها كتب عليها أن تعيش دائمًا في الاغتراب^(٣).

أما أوضاعنا فهي كالتالي: النماذج والأصناف والاعتقادات المتناقضة، الكلام المترافق، والمضمون والمفهوم الواحد في حالة وجود الترافق في الكلام، الأوضاع المتخذة المشتركة، والشكاوى المتناقضة (الدين) نعم الدين، الدين الأحادي البعد الذي يعتبر حركات الرکوع بمثابة الموج الذي سيزيل الشاه بالتالي!!.

إن قال أحدهنا، يالها من زهرة جميلة، صرخ البعض معتبرًا: الناس يتعرضون للتعذيب!!.. الجميع هنا يحلم قبل النوم بأن يكونوا وزراء ونواب في الدولة القادمة!!.. تذكرت الآن كلام (جلال آل أحمد) الذي قال إن هناك رئيس جمهورية واحد يخرج من بين كل أربعة مثقفين إيرانيين يجتمعون حول طاولة! وإنها حقًا عين الحقيقة.. أجل لقد جاءنا

(١) يقصد الدكتور محمود بروجردي صهر سماحة الإمام (رض).

(٢) يشير إلى اجتماع أفراد الأسرة في منزل السيد إشرافي (صهر سماحة الإمام) بمدينة قُم لإحياء الذكرى الأولى لرحيل الحاج السيد مصطفى.

(٣) بعد فترة من وصولنا إلى إيران غادرت السيدة أم أحمد النجف الأشرف برفقة حفيدها السيد حسين (نجل السيد مصطفى) ووصلت إلى باريس، كما أن السيد حسين عاد بعد فترة إلى النجف الأشرف ليكون إلى جانب والدته تنفيذًا لأمر سماحة الإمام (رض).

تواً أحد ممثلي السيد أبو عماد^(١) الذي نقل عنه قوله: إن هذا الرجل الذي يصرح بأنه سينتقل من مطار إلى آخر حتى يقول كلمته، لا بد أن يأتي إلينا ليعلم العرب الشجاعة.. أظن أنهم يتصورون أن السيد الإمام ينبغي أن يستشهد هناك، وأنا لست هناك!!.

أرجو إبلاغ سلامي للسيد والدك العزيز، أظن أنني تحدثت كثيراً، ما العمل وقد اشتقت إليكم.. أرجو أن تقبلوني حسن العزيز وتشمّيه.. سأتصل هاتفياً بكم غداً إن شاء الله».

أحمد - ١٤ تشرين الأول ١٩٧٨ م

قصر الألزيه

بعد يوم واحد من وصولي طهران، اتصل السيد أحمد هاتفياً وسرد لي تفاصيل دخول السيد الإمام لباريس ولقاءات المسؤولين الفرنسيين مع سماحته قائلاً: «ما أن وصلنا باريس، زارنا عدد من الأشخاص قدموا من قصر الألزيه^(٢)، وأعلنوا انهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن وصول الإمام إلى فرنسا، وطلبو من سماحته أن لا يجري أية مقابلة صحفية وأن لا يقوم بأي نشاط سياسي ضد النظام الإيراني، إلا أن سماحة الإمام أجابهم قائلاً: كنا نظن أن حرية التعبير عن الرأي موجودة في بلدكم!، فالوضع هنا يشبه العراق! فسأعلن عن رأيي في أي مكان كان، وسأنتقل من مطارآخر حتى أوصل صوت الشعب الإيراني البطل والمظلوم إلى أسماع العالم، وسأقول لأنبناء العالم ماذا يحدث في إيران».

(١) أبو عماد هي كنية القائد الفلسطيني ياسر عرفات (١٩٢٩ - ٢٠٠٤ م)، حيث قضى أكثر سنوات حياته في النضال ضد إسرائيل.

(٢) قصر الألزيه في باريس هو المقر الرسمي لرئيس الجمهورية الفرنسية، حيث تعقد داخله اجتماعات مجلس الوزراء.

وفي ردّه على مسؤولي الجهاز الأمني الفرنسي، قال سماحة الإمام: «لا أريد القيام بأي عمل محرك أو يؤدي إلى الفوضى ولا أعمل إلا بالواجب الشرعي».

وأضاف السيد أحمد: «أمضى السيد الإمام الأيام الأولى صامتاً، حتى نظم صادق قطب زاده مقابلة صحفية لسماحته مع إحدى الصحف الفرنسية المهمة وهي صحيفة الفيغارو اليمينية التي تربط رئيس تحريرها علاقات جيدة مع الرئيس الفرنسي جيسكار ديتان. وقد أدى انتشار هذه المقابلة، لإجراء مقابلة مفصلة مع سماحته حيث أدى نشرها بشكل واسع، إلى كسر حالة الصمت وانطلاق الحوارات الإعلامية والمؤتمرات الصحفية العديدة خلال الأسبوع الأول من وصولنا باريس».

مع انتشار تفاصيل هذه المقابلات الصحفية والحوارات الإعلامية كان البعض من الأصدقاء يقول: «هكذا شاءت إرادة الله أن يصبح العدو سبباً للخير، حيث دفعت المضايقات التي أوجدتها الحكومة العراقية، سماحة الإمام إلى مغادرة العراق والهجرة إلى باريس. وقد توفرت هنا فرصة جيدة لإيصال نداءات سماحته وخطاباته أسرع وأفضل إلى أبناء شعبنا، بل وكل شعوب العالم».

ولادة ياسر:

غادرنا يوم السابع عشر من تشرين الأول ١٩٧٨م بيت الخالة «زهراء» إلى (مشفى طهران)، ومكثت تلك الليلة هناك، وولد ابني ياسر في اليوم التالي (١٨ تشرين الاول ١٩٧٨م)، وبعد الولادة خرجت من المشفى إلى بيت الخالة «زهراء» حيث أحاطتنا الجميع هناك بمحبته، حتى لا نشعر بأي نقص أو إزعاج، كما سعوا حثيثاً من أجل التغلب على بروادة البيت وتدفعته رغم أزمة الوقود التي سادت البلاد في تلك السنة.



السيدة فخر الملوك فيروزان (مادر جان) مع ياسر

وكانت والدة زوج خالتi التي كنا نسميهها «مادر جان» (أمنا العزيزة) تعمد إلى ملاعبة حسن ومداعبته حتى لا يشعر بالملل.. ومن تلك الألعاب أن حسن كان قد سمع أن الجنود في معسكراتهم يقولون للضباط: (بله قربان) (نعم سيدي) وكان حسن تعلم أن يردد هذه الجملة مخاطباً (مادر جان)

بالقول: نعم سيدي؛ وكان أبناء الخالة يشاركون، أيضاً، في هذه اللعبة، بل ويستقبلون برحابة صدر الضيوف الذين زارونا بكثرة في بيتهم.

قام زوج خالتi السيد اسكندر فيروزان (الذى يسمى في البيت بمصطفى) بتصميم ساعات ثبت عليها صورة الإمام الخميني (رض) بأشكال وأحجام متنوعة بعد أن استورد محركاتها من سويسرا وأدخلها للسوق باسم (نازوريF) (القراءة المعاكسة لاسم فirozan).

وكانت بعض الساعات يدوية والأخرى بشكل قلادة وذات سوارات بلاستيكية جميلة، وكانت صور سماحة الإمام تظهر بتدوير الوجه الأصلي للساعة، وكان يعتقد أن ارتداء الممرضات في المشفيات لهذه الساعات، يسبب لهم ولمرضاهem الهدوء والسكون وهو مناسب لهم جداً، كما صمم نموذجاً آخر لساعات جدارية، تم تثبيت صورة لسماحة الإمام في حالة تفکر على وجهها الرئيس، وكتب تحتها هذا الحديث

الشريف (تَفْكِّر ساعة أفضل من عبادة ستين سنة) مع الترجمة باللغتين الفارسية والإنجليزية.

لقاء المهندس بازركان مع الإمام الخميني

تزامناً مع ولادة نجلي ياسر وما صاحبها من مشاعر جياشة داخل الأسرة، كان المجتمع تسوده أجواء ساخنة من النقاشات والحوارات الاجتماعية والسياسية حول مختلف شؤون الدولة والثورة. وفي أحد تلك الأيام اتصل السيد أحمد هاتفيأ ليخبر عن حدوث لقاء بين المهندس مهدي بازركان وسماحة الإمام في باريس^(١).

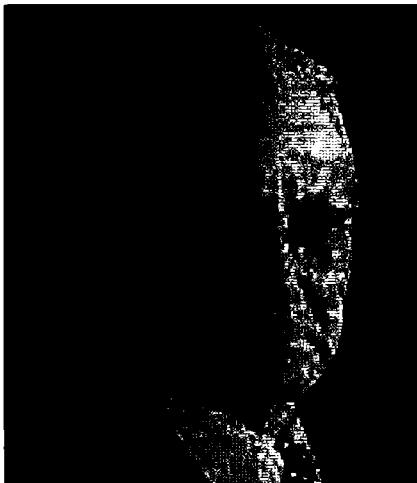
لقد تركت تلك اللقاءات - أي لقاء زعماء «حركة تحرير إيران»^(٢) و«الجبهة الوطنية»^(٣) مثل الدكتور كريم سنجابي^(٤) مع سماحة الإمام -

(١) أجرى المهندس مهدي بازركان في أواخر تشرين الأول ١٩٧٨ م، عدة لقاءات مع سماحة الإمام في باريس وتباحث معه حول مختلف شؤون الثورة والبلاد.

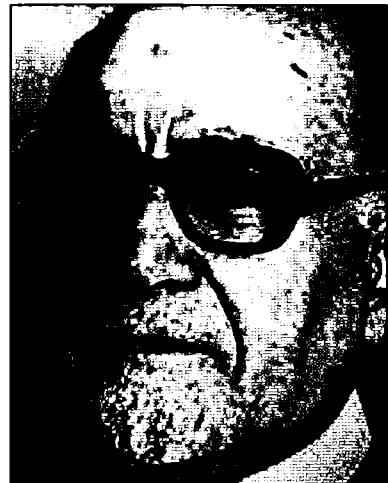
(٢) تأسست (حركة تحرير إيران) في عام ١٩٦١م، بعد انفصال عدد من العناصر الوطنية ذات التوجه الديني عن (الجبهة الوطنية) وتأكيدهم على الهوية الإيرانية والإسلامية. وكانت الحركة تهدف إلى النضال ضد الاستبداد ونيل الحرية المستندة إلى القيم الأخلاقية والإسلامية، وكان من أعضائها المؤسسين كل من المهندس بازركان والدكتور يد الله سحابي وأية الله طالقاني، وكان المهندس بازركان أول أمين عام للحركة. ومن أعضائها الناشطين في خارج إيران نذكر الدكتور علي شريعتي والدكتور مصطفى شمران والدكتور إبراهيم يزدي وصادق قطب زاده وغيرهم.

(٣) عرفت «الجبهة الوطنية في إيران» بأنها منظمة سياسية وطنية ناشطة في إيران وكان أول ظهور فاعل لها تجسد من خلال احتجاج عدد من أعضائها على نتائج انتخابات الدورة السادسة عشرة لمجلس الشورى الوطني، وكان من مؤسيها الدكتور محمد مصدق والدكتور كريم سنجابي والدكتور حسين فاطمي، وكانت هذه المنظمة أنشط من غيرها خلال حادثة تأميم النفط الإيراني.

(٤) الدكتور كريم سنجابي (١٩٠٤ - ١٩٩٦م) سياسي وحقوقي ومن مؤسسي الجبهة الوطنية، للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهاشم الأول في نهاية الفصل.



الدكتور كريم سنجابي



المهندس مهدي بازركان

أصداء متباعدة في الداخل والخارج، حيث أن مثل هذه اللقاءات، كانت تهز أركان حكومة الشاه وتشير الخوف والرعب في قلوب مسؤولي الدولة آنذاك؛ ولكنها في المقابل كانت تقلق بشدة بعض القوى والتيارات الدينية المتشددة، بسبب إمكانية تأثير مثل هذه اللقاءات على حركة الثورة والشعب الإيراني الثائر، لأنه أشيع آنذاك أن بعض هذه العناصر ومنهم المهندس بازركان، أعربوا عن قلقهم من تشدد السيد الإمام في مواقفه، وكانوا يقولون إن الناس لا يمكنهم أن يتحركوا بنفس وتيرة حركة الإمام، وكان هؤلاء يعتقدون بسياسة الخطوة خطوة.

وكان البعض الآخر يقول إن بازركان يعتقد أنه ينبغي القبول أولاً بأن يبقى الشاه على رأس الدولة ولكن دون مزاولة سلطاته، أي أن نجرده أولاً من صلاحياته الملكية وبعدها نقوم بتوعية الجيش والقوات المسلحة حتى يقوموا، فيما بعد، بمنع الشاه من التدخل في شؤون الدولة، وبالتالي تقوم بتحديد التدخل الأميركي في شؤون البلاد.

وكان البعض الآخر يضيف على ذلك بالقول: «إن الأوضاع الاقتصادية في البلاد مسلولة تقريراً بسبب الإضرابات، وأن النشاط

الاقتصادي والتجاري سيء للغاية، والأسواق معطلة، لذا لا بد من المهادنة قليلاً حتى تتحسن الأوضاع الاقتصادية والتجارية نوعاً ما ومن ثم تتبع النضال والإضرابات.. لذلك، فإن عدداً كبيراً من أنصار الإمام الخميني وأعوانه من الثوريين الذين لم يقبلوا بمثل هذه السياسة، كانوا قلقين بشدة بسبب هذه اللقاءات، حتى سمعنا أن سماحة الإمام تحدث حول هذه اللقاءات قائلاً: «لقد قلت لبعض هؤلاء السادة الذين زاروني وعرضوا فكرة (سياسة الخطوة خطوة) أي نخطو الآن خطوة، وبعد فترة نخطو الخطوة الثانية، وأكدت لهم لو إنكم ضعفتم في تحرككم، فإنهم سيكسرموا أقدامكم في الخطوات القادمة! أي أنهم لن يصبروا حتى تنفذوا الخطوة الثانية»^(١) .. إن هذا المنطق ليس صحيحاً، لأنكم إن توافقتم قليلاً ل تستجمعوا قواكم، فإن العدو ستتضاعف قوته في المقابل مئات المرات، وحينها كيف تضمنوا أنكم ستتمكنون من إعادة حالة الثورة والاعتراض لأبناء الشعب المنتفضين ضد الطاغوت، فلو أن الشعب تراجع عن موقفه وبردت جذوة الثورة لديه، فكيف يمكنكم أن تعيدوه ثانية إلى الساحة؟!.

وكان المهندس بازركان يقول: «ينبغي أولاً أن نجري انتخابات لنواب الشعب في مجلس المؤسسين، ثم نغير النظام الملكي بشكل قانوني».. لكن مثل هذا الاقتراح مستحيل التحقق بنظر البعض، لأنهم كانوا يعتقدون بعدم إمكانية انتخاب نواب حقيقيين للشعب من خلال انتخابات سليمة في ظل سيطرة جلاوزة الشاه على الأمور واستهدافهم للناس بالرصاص وارتكابهم المجازر الدموية.

(١) مقتطفات من خطاب سماحة الإمام بتاريخ ١٩٧٨/١١/١٩، أمام جمع من الطلبة والجامعيين الإيرانيين المقيمين في الخارج؛ كتاب (صحيفة الإمام، ج ٥ ص ٥٨).

اتصلت هاتفيًا بالسيد أحمد وأخبرته بما يدور في الداخل من تحليل حول الأمور الجارية في البلاد. وقد قال إن سماحة الإمام لا زال يصر على أن الشاه يجب أن يرحل، «ولا بُد للنظام الشاهنشاهي أن يسقط ويتم تأسيس الجمهورية الإسلامية على أنقاض النظام الملكي». وأكد سماحته «لا بُد أن تكرر هذه الأمور على أسماع الناس حتى لا تنحرف الثورة عن مسارها الصحيح ولا تبرد جذوتها».

وأضاف السيد أحمد قائلاً: «بالطبع، فإن السيد بازركان أصر على موقفه في مقابل تأكيد سماحة الإمام على نظرته للأمور واعتقاده الراسخ».

الملفت للنظر أن المهندس بازركان كان قد أعرب عن دهشته من ثقة سماحة الإمام العالية بنفسه وسكتيته المحبيرة وأمله بالنصر القريب. وأضاف يقول: «إن السيد الإمام في رده على اقتراحي بتأسيس مجلس المؤسسين، كان قد قال: «إن الشاه عندما سيرحل عن إيران سأعود أنا إلى البلاد، وأعين الحكومة، وأبناء الشعب سينتخبون نوابهم في المجلس».. وأكد بازركان أن سماحة الإمام طلب منه أن يعرف إليه العناصر الملزمة إسلامياً والواعية من مختلف المجموعات السياسية للتشاور معهم، والاستعانة بهم لمعرفة الأشخاص ذوي الصلاحية، لتمثيل الشعب في المجلس وتعريفهم للناس ليتم انتخابهم بشكل حر ومستقل».

وكان المهندس بازركان قد صرّح بعد لقاء سماحة الإمام قائلاً: إن السيد الإمام يمتلك ثقة تامة بأسلوب النضال الذي ينتهجه، ومؤمن بمحمية انتصار الثورة بشكل كامل، بحيث أنه تحدث معنا حول مرحلة ما بعد الانتصار، وينوي أن يسمع لنا بالمشاركة في إدارة البلاد وليس في النضال ضد النظام الحاكم الآن.

ولأن السيد بازركان لم يكن يمتلك الثقة التي تميز بها سماحة

الإمام، فإنه اقترح عليه مرة أخرى أن يتدخل هؤلاء المستشارون المنتخبون، بإدارة أمور الثورة، ولكن الملفت أن سماحته أصر على موقفه السابق، ولم يرفض أو قبل اقتراح بازركان!!.

ظهور العشق والمحبة

عدت مرة أخرى إلى مدينة قُم بعد أن استرحت عدة أيام في بيت الحالة «زهراء»، حيث زارنا الكثير من الأصدقاء والأقرباء مهنيين بقدوم المولود الجديد، وقد سميت به (ياسر) ولم أتردد في ذلك، لأنني كنت أعرف أن السيد أحمد يحب هذا الاسم، وأخبرته هاتفياً.

بعد انتهاء الزيارات واللقاءات، فكرت في وضع برنامج لي. وبالرغم من الإضرابات العامة وإغلاق أكثر المرافق والمؤسسات والمراكز، إلا أن بعض دروس المعارف الإسلامية الحرة كانت مفتوحة، واغتنمت هذه الفرصة وشاركت فيها بعد تخصيص ممرضة لرعاية الصغير ياسر، واستعنت كذلك بالسيدة الوالدة لرعاية (حسن وياسر) عند غيابي عن البيت.

كانت الحصص الدراسية تشهد، بالإضافة للنقاشات الدراسية، حوارات جادة حول الأوضاع والمستقبل المجهول الذي ينتظر البلاد، حيث أن أكثر الحاضرين في الدروس كانوا يرغبون بتأسيس نظام يقطع أيادي الأجانب والظالمين عن البلد، ويتفاعلون بتحقيق طموحاتهم وأمالهم القلبية، ولكن البعض الآخر كان يعتقد أن هذه الآمال والطموحات لا تتحقق إلا بظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) وذلك بعد أن يملأ الظلم والجور كل مكان^(١)، لذا، فإنهم كانوا يعتبرون

(١) تم تأسيس جمعية الحججية في عام ١٩٥٣م، من قبل أحد علماء الدين الشيعة، للتعرف أكثر على الجمعية يمكن مراجعة الهامش الثاني في نهاية الفصل.

أن حدوث أي إصلاح أو تغيير في المجتمع، يعني العمل على تأخير ظهور صاحب الزمان (عج)؛ وكانت دائماً تجري حوارات ساخنة وجادة، بين الفريق الذي يؤمن بالانتظار الحقيقي والصحيح الذي يؤدي إلى رفع الفتنة والظلم من العالم، والفريق الآخر الذي يقف في الصف المقابل لمثل هذه الفكرة^(١).

صور رائعة عن تعاضد الناس

مع استمرار إضراب موظفي وعمال شركة النفط الوطنية تضاعفت أزمة الوقود والمنتجات النفطية في البلاد، وكان الشباب الثوري يبذلون جهوداً كبيرة، ويتطوعون بكل شوق ولهفة، لإيصال النفط للأسر الإيرانية.

كما أن الأزقة والشوارع الفرعية كانت تشهد عصر كل يوم، تشكيل الصنوف الطويلة من البراميل الفارغة التي تنتهي عند محل توزيع النفط، وعندما يفتح المحل يقف الناس إلى جانب براميلهم للحصول على كمية النفط اللازمة للتدافئة.. وفي أحد الأيام وبعد انتظار الناس لعدة ساعات، فتح بائع النفط محله وأعلن أن كميات النفط المخصصة للتوزيع، قليلة ولن تكفي الجميع، مما تسبب في انتشار الفوضى والضجيج بين الناس..

(١) خلال السنوات ١٩٧٣ - ١٩٧٤، جرى حوار في منزل أحد الأقرباء حول جمعية الحجتية، حيث أشاد أحد الحاضرين بشخص كان قد نجح في إقناع عدد من البهائيين باعتناق الإسلام، فرد عليه شخص آخر معروف بشجاعته وصراحته قائلاً: «حتى لو أن هذا الشخص نجح في إقناع عدد من البهائيين في اعتناق الإسلام كما ترمعون، فلا بد أن تصدقوا أن هذا الشخص سبب في ابتعاد المئات من المسلمين عن الإسلام بسبب سوء تعريفه للدين وعرضه أمام الناس بشكل خاطيء».

وخلال ذلك صرخ أحد الواقفين في الطابور قائلاً: «أيها الأخوة! أناشدكم بحق الإمام الخميني أن تتعاونوا فيما بينكم، بحيث يترك الطابور من عنده ما يكفيه من نفط للتتدفئة هذه الليلة، ويعطي دوره للآخرين حتى لا يتعرض للأذى أي أحد منّا بسبب البرد».

وفجأة سادت في صفوف الناس الواقفين في الطابور، حالة رائعة من النشاط والإيثار جعلتني أذرف دموعي وأنا أنظر لذلك المشهد؛ فقد رأيت عدداً من الناس يخرجون من الطابور ويرفعون صوتهم بالصلوات على الرسول الأكرم محمد (ص) تحية للإمام الخميني ، وهم يدعون لسلامته. وسمعت أحدهم يقول: «روحـي فداء لـسماحةـ الإمام، إـنـي لا أـمـلـكـ أـيـ شـيءـ مـنـ النـفـطـ فـيـ الـبـيـتـ إـلـاـ أـنـيـ خـرـجـتـ مـنـ طـابـورـ الـمـنـتـظـرـينـ اـحـترـاماـ وـتـكـريـماـ لـاسـمـ السـيـدـ الـإـمـامـ».

وفي يوم آخر وبينما كنت أنتظر سيارة أجراة في الشارع اصطدمت سياراتان أمامي ، ونزل السائقان من السيارات ودخلوا في جدال حاد يريد كل واحد منها أن يثبت أن الخطأ على الآخر وأنه المقصر في حادث الاصطدام. ومع توقف السيارات حدث ازدحام مروري شديد وامتلاء أجواء الشارع بضجيج الأصوات المنبعثة من مزامير السيارات والدراجات البخارية المتوقفة بسبب هذا الاصطدام.. وفجأة خرج أحد أصحاب المحلات المحيطة بالمنطقة من محله وناشد الناس بحق سماحة الإمام الخميني أن يتفرقوا ويفتحوا الطريق أمام السيارات المتوقفة، فرفع الناس أصواتهم بالصلوات على محمد (ص) والله الأطهار ما أن سمعوا اسم السيد الإمام، ثم طلب من السائقين اللذين كانوا يتجادلان أن يتصالحا ويفتحا الطريق أمام الناس؛ بعدها رأيت السائق الذي تضررت سيارته أكثر يقول: «روحـي فداء لـسماحةـ الإمامـ، وـسـأـتـازـلـ عـنـ حـقـيـ وـلنـ

أخذ أي شيء مقابل الأضرار التي لحقت بسيارتي احتراماً وتكريماً لاسم سماحته».

إن مشاهدة هذه المناظر كانت مدهشة ومحببة للغاية بالنسبة لي، حيث لم أكن أتخيل أن هذه المدينة وهؤلاء الناس، هم أنفسهم الذين كنت أراهم قبل عدة سنوات، لأن مشاعرهم وتصرفاتهم وسلوكهم الحسن والجميل والصادق كانت رائعة بالنسبة لي، وقد رأيت الإيثار والقناعة وحب الإمام، وفي المقابل كره الشاه، واضح على الجميع.

وذات مرة فتحت باب الحوار والحديث مع سيدة كانت مثلي تنتظر قدوم سيارة الأجرا في الشارع وسألتها: «ماذا حدث للناس بحيث نراهم اليوم متهددين ومتآلفين معًا؟ وما هو سر اجتماعهم بكل محبة وبلا رباء ويقنعون بالقليل، رغم الإضراب السائد في كل مكان وأزمة المواد الغذائية والوقود، إلا أنها لا نشاهد أحداً يشكو من هذه الأزمات»؟! فقالت: «إن كل ذلك بسبب عشق الناس للإمام الخميني.. ألم تسمع أن المنازعات والاختلافات تنتهي دائماً ببركة الصلوات على النبي الأكرم (ص) بعد ذكر اسم سماحته». قلت: «أجل، شاهدت نماذج حية لذلك، ولكنني لم أكتشف سر ورمز كل هذا الحب والإخلاص لسماحة الإمام؟.. ففي السنوات المنصرمة كان هناك عدد من الأشخاص المحبين لسماحة الإمام والمناصرين بكل إخلاص له، وقبلوا بقيادته، وكانوا ينفذون أوامره بشكل تام وحاسم، إلا أن هذه المحبة والتعلق بسماحته الآن، انتشر بين الجميع شباباً وكهولاً وطلبة وطلاب علوم دين وكسبة موظفين على حد سواء، حتى أن هؤلاء جميعاً يذكرون اسمه دون خوف أو خشية من السفاك، بل يجاهرون بمحبته وتعلقهم به».. فأجابتنى تقول: «إن هؤلاء الناس شعروا جيداً أن الإمام الخميني تحمل السجن

والنفي وكل الصعوبات والمشاكل، في سبيل إنقاذ بلده وتحرير أبناء شعبه من الظالمين والمتجبرين، وبالتالي من أجل تطبيق العدالة والأحكام الإسلامية في المجتمع، كما أن الناس باتوا يؤمنون بصدق وإخلاص وشجاعة سماحة الإمام. لذلك، فإنهم يعشقونه، وأن مؤامرات السافاك ضده ونفيه عن بلده وإبعاده عن شعبه، لم تؤد إلى نسيانه، بل جعلت الناس يحبونه أكثر ويتعلقون به بشكل أعمق من السابق»^(١).

أجل، عندما كان بيان الإمام يصل إلى إيران، فإن الناس كانوا يتناقلونه بينهم سرًّا بكل شوق ونشاط، دون أن ترهبهم ضغوط الحكومة وتبعات مثل هذا العمل الثوري.

في تلك الأيام اشتعلت النيران في عدد من المصارف، وكان أغلب الناس يقولون إن جلاوزة الشاه هم الذين أحرقوا تلك المصارف، وأن السافاك ينفذ مثل هذه الأعمال ليشوه سمعة الشباب الثوري، ولكن كان هناك أعداداً قليلة من الناس في المقابل، يصدقون ما تبَثَّه وسائل الإعلام الحكومية، وبالتالي يوجهون سهامهم للثوريين ويقولون: «لماذا يبادر هؤلاء إلى مثل هذه الأعمال»؟! وعندما نقول لهم إن تلك الأعمال لا علاقة لها بالثوريين أبداً، كانوا يقولون بكل بساطة ودهشة: «هل أن

(١) تذكرت في تلك اللحظة الصحفي الفرنسي فرانسوا لوسين جورج الذي أجرى مقابلة صحافية مع سماحة الإمام في النجف الأشرف في أيار ١٩٧٨؛ حيث أشار في تقريره إلى الموقع الجغرافي لمدينة النجف الأشرف وتميزها بشحة المياه وحرارة الطقس ووصفها بأنها من أسوأ المناطق الصحراوية في العراق وكتب يقول: «لو أن آية الله الخميني يتميز بقدرته على تحريك الشعب الإيراني وإثارتهم، فإن ذلك يعود لسلطه وسيطرته على أفكار وأذهان الناس، هذه القدرة على التأثير التي تضاعفت عشرات المرات بعد نفيه عن إيران عما كانت عليه في السابق».

الشاه والسافاك مجانيين إلى هذه الدرجة، بحيث يعمدوه بأنفسهم إلى إحراق المصارف والحافلات و...؟!»

كانت تلك المرحلة عجيبة للغاية، فالحوارات والنقاشات بين الناس موافقين ومناوئين، كانت مستعرة في كل المجالس والاجتماعات واللقاءات في جميع شوارع وأزقة المدينة، ويتباحثون في مختلف الشؤون بكل شجاعة وشفافية.. وفي مثل هذه الأجواء الملائمة بالحيوية، كانت بيانات الإمام الخميني تصل تباعاً لفتح الطريق أمام المؤمنين والمناصرين لسماعته، لأن وسائل الإعلام الحكومية كانت لا تزال تحجب عن الناس أخبار سماحة الإمام ومظاهرات الناس الغاضبة والحاشدة، وتمتنع نشرها أو بثها مما يجعلهم يضطرون لمتابعة تلك الأخبار عبر الإذاعات الأجنبية التي كانت تبث برامجها الإذاعية من خارج إيران.

ذكرى مولد الشاه، وإعلان الحداد العام

مع حلول يوم الرابع والعشرين من تشرين الأول في تلك السنة ١٩٧٨م، ذكرى مولد الشاه وإقامة مراسيم الاحتفاء من قبل المؤسسات الحكومية وانتشار أنوار الاحتفال والبهجة على مبني هذه المؤسسات، انزعجت جماهير الشعب من ذلك بشدة، وأظهروا غضبهم ورفضهم لتلك الاحتفالات من خلال رفع شعارات ثورية منها: (أن يوم مولد الشاه هو يوم عزائنا وحدادنا الوطني)، وفي المقابل أرسل الرئيس الأميركي كارتر^(١)، برقية تهنئة للشاه بهذه المناسبة، أعلن خلالها تأييد دولته

(١) جيمس إبريل كارتر المعروف بجمي كارتر هو الرئيس الأميركي خلال أحداث الثورة الإسلامية في إيران، للتعرف أكثر يمكن مراجعة الهاشم الثالث في نهاية الفصل.



الشاه وكارتر

للشاه، وأن العلاقات بين البلدين ستبقى قوية ومتينة، مما أدى إلى زيارة غضب الناس وانزعاجهم، وراحوا يرددون في مظاهراتهم هذا الشعار (إن علاقة الشاه وكارتر الحميمة أشبه بالعلاقة بين اللص والقاتل).

كما أعلن سماحة الإمام من باريس، أن هذا اليوم هو يوم حداد عام في البلاد، وقال: «إن هذا اليوم هو في الواقع مبدأ كل ما أصاب الشعب الإيراني المظلوم من آلام ومصائب».

وقد سمعت أن عدداً من علماء الحوزة العلمية، طلبوا من الناس أن يرتدوا الملابس السوداء، وأن يرفعوا الرايات السوداء في هذا اليوم خلال تظاهرهم في الشوارع، حيث أربع هذا الحضور الجماهيري الغاضب و موقف علماء الدين التاريخي، بشدة، نظام الشاه آنذاك.

تغيير الحكومة

أُعلن آنذاك عن تشكيل حكومة جديدة سميت بحكومة (المصالحة الوطنية) برئاسة (جعفر شريف امامي)^(١)، وكان الشاه يسعى من خلال ذلك إلى أن تنجح الحكومة الجديدة في إخراج النظام الملكي من الطريق المسدود الذي وصل إليه؛ إلا أن (شريف امامي) فشل في ذلك، حيث أعلنت خلال ذلك الأحكام العرفية، وارتكتبت مجزرة السابع من أيلول عام ١٩٧٨ في ساحة الشهداء (جالة).. وقد استقال شريف امامي في الرابع من تشرين الثاني ١٩٧٨م وعيّن الشاه محله الجنرال ازهاري^(٢) رئيس الأركان المشتركة للقوات المسلحة، رئيساً للحكومة الجديدة بتاريخ الخامس من تشرين الثاني ١٩٧٨م، ولم يعجب الشعب التائز هذا التعين، لأنه كان ينبيء عن قمع شديد لأبنائه وارتكاب مجازر جديدة، إلا أن الجماهير رغم كل ذلك، حافظت على نشاطها الثوري وحضورها في الساحة، حيث كانوا يشعرون أن بإمكانهم بفضل قيادة سماحة الإمام، تغيير مستقبل بلد़هم وتعيين مصيره، لذلك أظهروا رد فعل سريع وغاضب ضد الحكومة الجديدة ونزلوا بقوة إلى الشوارع معلنين عن رأيهم الصريح بالجنرال ازهاري وحكومته من خلال رفع هذا الشعار «الكلب الأصفر شقيق الثعلب، ومستحيل أن تتشكل حكومة ازهاري».

(١) جعفر شريف امامي (١٩١٠ - ١٩٩٩م) كان رئيساً لمجلس الأعيان لخمس عشرة سنة واستمرت حكومته من ٢٦/٨/١٩٧٨ وحتى ٤/١١/٨، وخلال هذه الأشهر من حكومة شريف امامي تم حل حزب (رستاخيز) (البعث الإيراني) وتغيير التقويم الشاهنشاهي إلى التقويم الشمسي، وقد حذر سماحة الإمام الناس من مغبة الانخداع بهذه التغييرات الظاهرية وحرّم استخدام هذا التقويم.

(٢) الجنرال غلام رضا ازهاري (١٩٠٩ - ٢٠٠١م)؛ لم تنجح هذه الحكومة العسكرية في قمع الثورة أيضاً؛ وأعلن فيما بعد أنه تعرض لنوبة قلبية واستقال من رئاسة الوزراء وسافر إلى أميركا.



جعفر شريف أمامي



غلام رضا أزهاري

وهكذا، فإن الجماهير الإيرانية الشائرة واصلت رفع شعاراتها الثورية في المظاهرات اليومية نهاراً، وكذلك مساءً من على سطوح المنازل حيث كانت تردد شعارات عديدة مثل: الله أكبر؛ الموت للشاه، لا حزب إلا حزب الله، ولا قائد إلا روح الله. وفي نفس الوقت توجه أشد انتقاداتها لنظام الشاه، وكانوا يرددون، أيضاً: (إننا نقول لا نريد الشاه فيغيرون رئيس الوزراء، نحن نقول لا نزيد الحمار فيغيرون لجامه).

وفي المدن، اعتاد شباب كل محلية الاجتماع مساء كل يوم وإشعال النار وترديد شعارات مستوحاة من أحداث ذلك اليوم، بل وكان البعض منهم يقوم بتنظيم وترديد شعارات ثورية باللهجات المحلية لكل مدينة^(١).

(١) بالإضافة إلى الشعارات الرئيسية التي اعتاد الجميع ترديدها في كافة المدن والمناطق الإيرانية، اعتاد الناس في بعض المدن ومنها مدينة قم، على تنظيم وترديد شعارات باللهجة المحلية ومستوحاة من ثقافة وتقاليد وأعراف كل مدينة ومنطقة وكانت غالباً تردد بشكل جميل وملفت.. فمثلاً كان أبناء مدينة قم يرددون =

لم نكن نملك آنذاك جهاز تلفاز، ولكنني سمعت أن الشاه ظهر على الشاشة وخطاب الناس قائلاً: «لقد سمعت صوت ثورتكم^(١)؛ تعالوا لنتكاتف معاً ونتعاضد لنفكِّر في مستقبل إيران ونوعض عن الماضي».

إن تغيير الحكومة وتعيين حكومة عسكرية وتطبيق الأحكام العرفية في إيران للحفاظ على أركان الاستبداد الهزيلة لم تنجح في إحداث أي تغيير في حركة المجتمع الإيراني، فالأجواء التي كانت سائدة في المدينة تميزت بالفوضى والضجيج وكانت مليئة بالحوادث؛ كما أن الشعارات والمظاهرات الشعبية الحاشدة أدت شيئاً فشيئاً، إلى إحباط أيأمل كان يراود السياسيين الذين كانوا يأملون بإجراء إصلاحات معبقاء الشاه على رأس الدولة.

بعد تشكيل حكومة ازهاري اتصلتُ بالسيد أحمد الذي قال: «إن كل شخص هنا يقول ما يشاء ويحلل الأمور طبقاً لرأيه، إلا أن سماحة الإمام لا زال قوياً ومصمماً على رأيه ويقف بكل صلابة واستقامة ويقول: «يجب الصمود بكل قوة أمام الإستكبار وظلم الظالمين؛ ويوصي الجميع أن لا يضعفوا أو يهينوا أمام الأعداء، لأن هذه الحكومة لن تستمر أكثر من عدة أيام». وأضاف السيد أحمد: حقاً إن شخصاً مقاوِماً بعمر الإمام وبهذه القوة يستحق التقدير والاحترام».

صدرت الأوامر في إحدى الليالي، ولأسباب مجهولة، من قبل جلاوزة النظام المستبد لعناصر الجيش والأمن أن يغادروا بباباً لهم مدينة

= هذا الشعار باللهجة القُمِّية الجميلة: «تحذرك يا ابن رضا (الشاه محمد رضا بهلووي)، نعطيك وقتاً للفرار حتى عاشوراء، فعليك أن تأخذ معك فرح (زوجة الشاه) وأولادك وتهربوا معاً... وغيرها...»

(١) كان ذلك بتاريخ ٦/١١/١٩٧٨ م.

قُم، وبعدها خرج الناس إلى الشوراع فرحين احتفاءً بهذه المناسبة وبادروا إلى تنظيف شوارع المدينة، لأن جميع المؤسسات والمرافق الحكومية ومنها عمال البلدية، كانوا مضربي عن العمل آنذاك؛ وقد ذرفت الدموع عندما شاهدت مناظر رائعة لتعاون وتعاضد أبناء مدينة قُم في خدمة بعضهم الآخر.

ولم تتأخر النساء عن هذه المهمة حيث شاهدت نساء قُم ينظفن الشوارع والأزقة والأرصفة، وهن يرتدين الشادر جنباً إلى جنب الرجال الذين كانوا يجمعون الأنقاض والأترية والحجارة وينظفون قنوات المياه في المدينة.. وبعد فترة زمنية قصيرة تنظفت المدينة ورفعوا صور الإمام الخميني وزوّوها على الأشجار والجدران، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً حيث عاد الجنود والعساكر ثانية إلى المدينة وانتشرت الدبابات والمصفحات مرة أخرى في شوارعها.

وهكذا كان أبناء الشعب يقضون أيامهم في تلك المرحلة التاريخية الحساسة، وقد اعتادوا فيها على المشاركة الفاعلة في المظاهرات اليومية، وكانوا يرددون الشعارات الثورية عندما يمرون أمام قوات الحرس الملكي المدججين بالسلاح والمتشرين في الشوارع. وكانت هذه الشعارات والمظاهرات تشير أحياناً، أعصاب بعض هؤلاء الحرس، فيطلقون الرصاص في الهواء لإرعب الناس الذين كانوا يرفعون أصواتهم وهنفاتهم أكثر رداً على ذلك، ويصرخون بقوة: «الثورة مستمرة حتى موت الشاه، وستتواصل حتى لو أمطرونا بالرصاص مساءً ونهاراً». والبعض الآخر كان يهتف: «لا تأثير بعد اليوم لقذائف المدفع ورصاص البنادق حتى لو انهالوا علينا ضرباً بالرصاص في الليل والنهار».

وكانت بعض الشعارات الجماهيرية تحذر الجنود من مغبة

استهداف أبناء الشعب بالرصاص الذي تم شراؤه من أموال النفط وهو ثروة وطنية تعود للشعب الإيراني، وتدعوهم للامتناع عن ذلك.

وفي أحد الأيام خطب ازهاري قائلاً: «إن أصوات (الله أكبر) التي ترتفع مساءً من على سطوح المنازل، ليست سوى أصوات تُبث من مكبرات الصوت لأشرطة مسجلة ويتم بثها في أوقات معينة من الليل».. وعندما سمع الناس هذا الكلام انزعجوا بشدة ونزلوا إلى الشوارع بشكل أوسع وردوا عليه مستهزئين بكلامه من خلال ترديد هذا الهتاف: «أيها المسكين ازهاري، هل هذا الصراخ الذي تسمعه هو تسجيل أيضاً؟!» ويصفونه بأقبح الصفات.

وأصبحت المشاركة في المظاهرات من قبل بعض الناس كأداء الصلاة الواجبة، وكانوا يقولون: سنبقى في الشوارع طوال اليوم ولن نعود إلى بيوتنا إلا في المساء ولا يهمنا تناول الطعام أبداً، كما كانت أكثر المحلات مغلقة ويقوم أصحابها بفتحها أحياناً ويوذعون بضائعهم على المتظاهرين، ويقوم البعض الآخر بإعداد وجبات طعام بسيطة ويوذعونها بين المتظاهرين.

كذلك كانت المشافي تستقبل المصابين بسبب إطلاق النار عليهم في المظاهرات، وكان الناس يهرعون لتقديم أي نوع من المساعدات والمواد الطبية والأقمصة النظيفة ووسائل التضميد التي يحتفظون بها في منازلهم.

ومن الأعمال الثورية الأخرى التي كان الشعب الإيراني يقدم عليها في تلك الأيام، إعداد (قذائف المولوتوف) الحارقة أو ملء أنابيب معدنية ثلاثة الأضلاع بالمتفجرات ورميها على الدبابات المستقرة في المدن لتخربيها ومنعها من تصويب مدافعها نحو الجماهير العزلاء.

كذلك، فإن الكهرباء كانت تقطع في المدن بسبب إضراب الموظفين والعمال المتضامنين مع الثورة الإسلامية، وكانت الكهرباء تقطع غالباً مع بث نشرة الأخبار المسائية التي لا تغطي حركة الجماهير وثورتهم ضد النظام الملكي، ولا تذكر شيئاً عن الإمام، في المقابل كان البعض لا يزال يصدق الأخبار التي تبثها الإذاعة والتلفزة الحكومية، وكانوا يتساءلون: «ما فائدة هذه الإضرابات؟ ولماذا ينزل أبناء الشعب إلى الشوارع ليعطّلوا حركة المرور؟» وكان البعض الآخر يقول بكل صراحة: «إن الإمام الخميني لا يرضى حتماً على مثل هذه الإضرابات التي يقوم بها موظفو الحكومة»!!.

ومع إضراب موظفي الحكومة، لا سيما موظفي وزارة البريد والهاتف، فإن مهمة إيصال نداءات سماحة الإمام إلى الشعب أصبحت صعبة، لذا اتصل عدد من موظفي مؤسسة الاتصالات مع سماحته وسألوه عن واجبهم في مثل هذه الظروف، فقدم السيد الإمام شكره لهم لشعورهم بمسؤوليتهم حيال الشعب والدولة، وقال سماحته: «ينبغي الحضور بشكل متناوب إلى المراكز الحكومية المعنية بهذه المهمة مع رعاية الاحتياطات الأمنية، حتى لا ينقطع الاتصال بين طهران وباريس، وفي الوقت ذاته لا يؤثر ذلك سلباً على حركة الإضرابات في البلاد».

في الوقت الذي كان المستشارون الأميركيون يسعون فيه من أجل إنقاذ الشاه وحكومته من غضب الجماهير، وفي ذات الوقت التصدي للثوريين وإحباط نشاطاتهم، كان الجميع يخشى من حدوث انقلاب عسكري ينفذه الجيش الشاهنشاهي، ولكن استيقاً لمثل هكذا خطوة، عمد رجال الثورة إلى بث نداء الإمام الخميني للجيش عبر مكبرات المساجد، حيث حذرهم سماحته من مغبة الانخداع وتنفيذ أوامر الأجانب ويهاجموا أبناء الشعب، وفي المقابل دعا السيد الإمام الناس

إلى احتضان عناصر الجيش والتعامل الحسن معهم، فبادرت الجماهير إلى نشر الزهور على الجنود والهتاف بشعارات سلمية وجذابة لهم والتأثير الإيجابي على معنوياتهم.

وفي أحد الأيام أعلن وزير الخارجية الفرنسي أن السيد الخميني يمكنه البقاء في فرنسا دون الحاجة إلى تأشيرة الإقامة، مما دعا أبناء طهران حال سماعهم هذا النباء، إلى نشر الزهور على مبنى السفارة الفرنسية في طهران؛ وأصبح الفرنسيون يتجلوون في شوارع طهران بحرية دون خوف، خلافاً للأمريكيين والبريطانيين المقيمين في طهران.. وعندما كان السفير الفرنسي يشاهد بسيارته في شوارع طهران، كان يُستقبل بحفاوة من قبل الناس وهم يهتفون بالحياة للإمام الخميني، وكذلك للرئيس الفرنسي جيسكار ديستان ويعبرون عن فرّحهم بهذا الشكل.. كما طالب المراجع والأحزاب والجامعيون، الحكومة الفرنسية أن تستضيف سماحة الإمام بالشكل الذي يستحقه.

كذلك سمعت يوماً أن الإمام الخميني خطب في عدد من الطلاب الجامعيين في باريس، وقد اتصلت بشقيق السيد صادق وطلبت منه قراءة مقتطفات من ذلك الخطاب، فكان كالتالي: «إن إيران تسودها الآن حالة من الفوضى غير المسبوقة، حيث أن شيطاناً يستهدف أرواح الناس ويقتل الأبرياء إلا أن الشعب الإيراني يواصل صموده، وأن هذا النوع من الجهاد والنضال، لا سابق له أبداً.. إن الشعب الإيراني قد استيقظ، وأن هذه الصحوة كانت بفضل الله سبحانه وتعالى.. وعندما نصب البريطانيون في تلك الأيام «رضا خان» (والد الشاه الأخير) ملكاً على إيران، بدأت عملية قمع المثقفين والعلماء والمتزمنين دينياً، إلا أن رضا خان لم يُرأئي أبداً، بل ضرب بحرابه الشعب الإيراني.

«والليوم، فإن خيراتنا تصب في جيوب الأميركيان والبريطانيين، وهم ينهبون نفطنا ويزعمون أنهم يريدون إنتاج الطاقة الكهربائية من أشعة الشمس، بينما يعجزون عن إشعال مصباح زيتى.. لن نسمح أن تنهب أميركا نفطنا، ولا للاتحاد السوفيتى أن ينهب غازنا، ونحن لا حاجة لنا بأى قيم».

وأضاف السيد صادق يقول: «إن الأجواء السائدة هنا مدهشة حيث نعيش لحظات مثيرة ورائعة، كما أن السيد أحمد منشغل للغاية».

أجل، كان الناس آنذاك في أوج النشاط الثوري والتحرك الفاعل ولا يصغون إلا لإرشادات وأوامر قائدتهم الإمام الخميني (رض) وكانوا يشعرون مع كل نداء أو بيان يصلهم من سماحته، أن أيام سقوط النظام البهلوi تقترب. حيث أن الناس سمعوا من السيد الإمام مع بدء انطلاق نهضتهم، إن على الشاه أن لا يرتكب جرائم ويطبق القوانين الإسلامية، ولكن بعد إيقاعه في الجرائم الدموية وسفكه للدماء، قال سماحة الإمام: «على الشاه أن يرحل».. والآن يسمعون أن سماحته يوجه سهامه مباشرة إلى أميركا ويقول بوجوب اجتثاث جذور أميركا من إيران، والناس يفهمون الآن جيداً، إن الانقياد لزعامة الإمام الخميني تعني تحقيق النصر، وإن المذابح والمجازر الدموية التي يرتكبها جلاوزة الشاه، رسخت إيمانهم وضاعفت عزمهم على المضي في طريقهم، لأن أبناء الشعب يؤمنون بما يتحدث به الإمام الخميني ويثقون بسماحته بشكل تام.

وعندما أعلن سماحة الإمام في خطاباته أن الشعب الإيراني انتفض وقام بثورته ويطالب بحقه الآن، فإن أية قوة لا يمكنها أن تقف بوجهه. وهو يبشر أبناء شعبه أنهم سيتحققون أهدافهم إن شاء الله إن تعاضدوا معاً وتكاتفت أيديهم كما هم عليه الآن وستصبح البلاد لنا.

وبهذا، فإن أبناء الشعب فرحوا كثيراً، لأن سماحة الإمام وعد الناس بالنصر القريب، في الوقت الذي كان فيه البعض لا يصدق ذلك ويعتبره بعيد المنال.

سقوط الشاه والخطر الشيوعي

حضر الإمام الخميني في أحد خطاباته من أن السافاك يسعى من خلال دفع مبالغ طائلة لبعض الأشخاص، ليرفعوا شعارات شيوعية داخل الوسط الجامعي أو في أماكن أخرى، لينخدع أبناء الشعب المسلم والمؤمن بمفهولة أنه لو سقط الشاه، فإن النظام الشيوعي سيكون هو النظام البديل عنه. وأكد سماحته أن هؤلاء الأشخاص هم عملاء السافاك، وأن أبناء الشعب هم مسلمون ويسعون من أجل تطبيق الأحكام الإسلامية وشعاراتهم (الجمهورية الإسلامية)، فلماذا يصبحوا شيوعيين^{(١)؟!}.

مع اقتراب شهر محرم تضاعفت حركة الجماهير وازداد نشاط الناس، بهدف إسقاط النظام الطاغوتي كما ازداد الضغط في مقابل ذلك، وكان جلاوة حكومة ازهاري العسكرية، لا يتورعون عن استهداف الناس في الشوارع إلى أن أصدر سماحة الإمام بياناً موجهاً إلى الشعب الإيراني الشائر، تزامناً مع الأول من محرم^(٢)، جاء في جانب منه:

(١) كانت المهمة التي كلف بها الجنرال روبرت هايزر المستشار العسكري الأميركي، تتضمن السعي من أجل المحافظة على الهيكل التنظيمي للجيش الشاهنشاهي، فضلاً عن تشجيع الجيش على دعم حكومة بختيار.. حيث ذكر هايزر في مذكرةه أن الشيوعيين يقودون حركة الجماهير وينظمون صفوفهم خلال الثورة.

(٢) الأول من محرم ١٣٩٩ هـ. ق تزامن مع تاريخ الأول من كانون الأول عام ١٩٧٨ م.

«... لقد تأثرت كثيراً بالأخبار المؤلمة التي وصلتني من أنحاء إيران العزيزة ونحن في مطلع شهر محرم؛ حيث أن هذه الأخبار حول أحداث ليلة أمس واليوم، تشير إلى الأبعاد الواسعة لجرائم الشاه والحكومة الباغية، وفي المقابل تؤكد شجاعة وبطولة الشعب الإيراني الغور والذي لا نظير له أبداً»^(١).

كما جاء في جانب آخر من البيان:

«إن هذا الشعب هم شيعة لأعظم رجل في التاريخ، الذي فجر نهضة عاشوراء مع عدد ضئيل من أنصاره، والتي أدت إلى دفن الأسرة الأموية إلى الأبد في مذبحة التاريخ؛ حيث أن الشعب الإيراني العزيز والسائر في طريق الإمام الحسين (ع) سينجح إن شاء الله بدمائه السخية، في دفن الأسرة البهلوية الشيطانية في مذبحة التاريخ، ويرفع لواء الإسلام في أنحاء إيران.. بل وفي شتى الدول والمناطق»^(٢).

وفي هذا النداء طلب سماحة الإمام من الجنود أن يهربوا من معسكراتهم، وشكر المضربين عن العمل، ودعاهم إلى مواصلة الإضراب العام حتى إسقاط الخونة الbagien.

مع انتشار هذا النداء، هرب عدد من الجنود من معسكراتهم؛ وقد التقيت بأحد هؤلاء الجنود التي قالت إن ابنها هرب خارج إيران وأرسل لها رسالة أشار فيها إلى أنه اطلع على نداء سماحة الإمام في داخل المعسكر، ولم يتردد في الاستجابة لطلب سماحته وهرب من المعسكر.. وأعلن الناس تضامنهم مع الجنود الهاجرين من خلال رفع شعار: «أيها الجندي الهاوي، أنت حقاً (الحر) في هذا الزمن».

(١) كتاب (صحيفة الإمام)، ج ٥ ص ١٥٢.

(٢) نفس المصدر، ص ١٥٣.

النقطة المهمة الأخرى في النداء، هي مخاطبة سماحة الإمام المراجع وتذكيرهم بمسؤولياتهم حيث قال: «إننا مسؤولون جمِيعاً أمام الله سبحانه وتعالى وأن كل ضعف أو تساهل في هذه المسؤولية يعني مساعدة النظام الظالم والتفریط بدماء المظلومين»^(١).

بعد هذا النداء الهام، بادر عدد من علماء الدين المجاهدين في طهران، ومنهم آيات الله العظام السادة طالقاني ومطهري وبهشتی ومفتح، إلى إجراء الاستعدادات الالزمة، والبحث المؤكد، على إقامة المظاهرات الكبرى في تاسوعاء وعشوراء الإمام الحسين، ودعوة الناس للمشاركة فيها.. كما قام الصحفيون والمراسلون المجتمعون في نوفل لوشاتو، بإحياء مقابلات صحفية وإعلامية عديدة مع سماحة الإمام ركزوا فيها على حوادث إيران وسقوط الشاه، ومعالم الحكومة المستقبلية في إيران، وعدم مهادنة الشيعة وغيرها.

وهكذا عجز الشاه والحكومة العسكرية بزعامة ازهاري، عن مواجهة الأمواج البشرية الهدارة في الشوارع.

مظاهرات تاسوعاء وعشوراء

أخبرني السيد أحمد في اتصال هاتفي أجراه معي، أنه يحب أن يشارك أبناءه في المظاهرات التي ستنتطلق يومي تاسوعاء وعشوراء (التاسع والعشر من محرم ١٣٩٩ هـ. ق) في طهران؛ كذلك طلب من السيد لاهوتی أن يساعدنا في الانتقال من قم إلى طهران للاشتراك في مظاهرات العاصمة..

(١) نفس المصدر، ص ١٥٤.

ومن وحي اللحظة، مازح السيد لاهوتی السيد أحمد قائلًا: «هل تظن أنك تريد إرسال جنديين قويين ومؤثرين إلى ساحة المعركة»؟!.

وهكذا التحقنا (أنا وحسن البالغ من العمر سبع سنوات وياسر الذي بلغ عمره أربعين يوماً)، بصفوف المتظاهرين من أبناء الشعب الذين ملأوا الشوارع، وهم يرددون بلا خوف ولا وجع، هتافات (الموت للشاه)، ويدعون بكل قوة، إلى عودة الإمام إلى أرض الوطن، وكانت مشاعر الناس المتوقدة والمستمرة والغاضبة، ملفتة للنظر ومدهشة للغاية، حيث تمكنت حينذاك أن يكون سماحة الإمام والسيد أحمد معي ليشاهدَا عن كثب هذه الأمواج البشرية الثائرة في شوارع طهران.

وفجأة ظهرت طائرات مروحية تابعة للجيش الملكي فوق رؤوسنا في سماء ساحة شهيد (ساحة الحرية حالياً)، وكنا نظن أنهم سيقصفون المتظاهرين كما حدث في الأيام السابقة؛ والبعض قال: «لقد ركب الشاه إحدى هذه الطائرات ليشاهد بعينيه جموع المتظاهرين من الجو»^(١)؛ كما أن بعض المتظاهرين، الذين كانوا قد لجأوا للاحتماء تحت البرج الذي يتوسط الساحة، أعطوا أماكنهم للآخرين، وتم تبادل الأماكن بين الكهول والشباب وبالعكس، وهم يظنون أن الاحتماء تحت سقف البرج يحميهم من الرصاص إن أطلق من قبل الطائرات، وأصرروا

(١) أشار المشير فردوست في مذكراته أن الشاه كان يستقل إحدى تلك الطائرات المروحية برفقة ازهاري، وعندما شاهد الحشود الكبيرة من الجماهير في الشارع خطاب ازهاري مرتعباً: «ما دام المعارضون لي قد ملأوا جميع شوارع طهران، إذن أين المؤيدون لي»؟ فأجابه ازهاري: «إنهم في بيوتهم».. بعدها قال الشاه بإحباط: «إذن ما جدوى بقائي في هذا البلد»؟ أجابه ازهاري: «هذا يعود لرأيكم وقراركم».

عليّ أن احتمي بالبرج عندما شاهدوني برفقة الطفلين، ولكن لم أشعر لديهم أي خوف أو رهبة أبداً.

رأيت في ذلك اليوم امرأة عجوزاً وضعت قطعاً صغيرة من النقود المعدنية (ريالين) أمامها لتعطيها لمن يريد أن يستخدم الهاتف للاتصال بأهله وقالت: «هذا ما أستطيع أن أقدمه من عون». أجل، لقد كان حضور الناس الحاشد في ساحة الجهاد مفعماً بالعشق الشوري، يتجسد فيه الإخلاص والعشق والمحبة والوفاء، مستلهمين الشجاعة من أنصار الإمام الحسين (ع) الأوقياء في ليلة عاشوراء، فلم أشاهد أي شخص يشكو من برودة الطقس ولا من الجوع، بل عبر الجميع عن تعلقهم وعشاقهم الحالص، من خلال رفع شعارات رائعة مثل (تحية للخميني الإمام) و(نهضتنا حسينية، وقادتنا الخميني) وغيرها.

بعد انتهاء مظاهرات عاشوراء اتصلت بالسيد أحمد وأخبرته بتفاصيل الحضور العظيم لأبناء الشعب في تلك المظاهرات، فقال السيد أحمد: «لقد أجرى سماحة الإمام اليوم مقابلة مع مراسل أمريكي الذي قال لسماحته: «إن الآلاف تظاهروا اليوم في طهران وهم يرفعون صوركم ورددوا شعارات ضد حكم الشاه، هل أنتم توافقونهم؟»؟ أجابه الإمام: «بالطبع أنا أواافقهم بشكل تام، لأنهم أثبتوا لأميركا من خلال هذه المظاهرات، أن حكومة الشاه غير قانونية، ولا بد أن يرحل الشاه، ولا طريق أمامه سوى ذلك.. لأن الشاه لم يصبح ملكاً بفضل أصوات الناس له، ولا بد أن يت נהى عن الحكم وستقيم بعد رحيله، جمهورية إسلامية بالاستناد لأصوات الشعب والقوانين الإسلامية».

وأضاف السيد أحمد يقول: لقد أصدر سماحة الإمام بياناً بمناسبة مظاهرات تاسوعاء وعاشوراء حاولي أن تستمعي إليه.. وأكد

أن سماحته قال: «إن المظاهرات العظيمة للشعب الإيراني كانت في الواقع استفباءً شعبياً ضد الشاه ودليلًا على عدم امتلاكه أية قاعدة شعبية، وفي المقابل أشاد المتظاهرون بكل من يرفع راية التوحيد ويجدد البيعة مع سيد الشهداء (الإمام الحسين ع)).

وهكذا، فإن بيان سماحة الإمام الخميني حدد واجبات جميع أبناء الشعب في مثل هذه الظروف.. وأهم ما يميز خطابات وبيانات سماحة الإمام هو أن الجميع يفهمها، سواء كان متعلماً أو أمياً، لأن كلام الإمام الصريح والشفاف، لا يحتاج إلى تفسير أو تحليل، فكل من يسمعه يفهم مقصود سماحته من كل كلمة يقولها.

وفي البيان ذاته أعلن سماحة الإمام أن زعماء العالم عليهم أن يفهموا أن أية حكومة تساند الشاه بعد اليوم، فإنها ستحرم نفسها مستقبلاً من النفط الإيراني.

كما طلب من الحكومة والشعب الأميركي أن يستجوبوا كارتر. ودعا سماحته الضباط الشباب أن يلتحقوا بصفوف الشعب، وفي المقابل دعا أبناء الشعب أن يتحضنوه ويوفروا لهم الأمان.

كذلك دعا سماحته الشعب الإيراني أن لا يهتم في هذه المرحلة التاريخية الحساسة، بما ينادي البعض إليه من سكوت وصمت عن معرفة أو جهل حيال الأحداث الجارية في البلاد، وأن يواصل جهاده المقدس.

ودعا أبناء الشعب إلى التعاون فيما بينهم لإيصال أخبار الثورة والجهاد، بأي وسيلة ممكنة في ظل الظروف التي تمر بها البلاد من إضرابات عامة وصعوبة الاتصال بين المدن.

فبالرغم من العقبات التي كان يضعها النظام الحاكم للحؤول دون

وصول نداءات سماحة الإمام إلى أبناء الشعب، وبالرغم من قلة الإمكانيات آنذاك، إلا أن تلك النداءات كانت تصل بسرعة مذهلة إلى أسماع الناس، فكل فرد من أبناء الشعب تحول إلى وسيلة إعلام فاعلة وعلى أهبة الاستعداد لإيصال نداء الإمام إلى الآخرين وأداء تكليفه الشرعي بهذا الشأن.

بالطبع كان هناك بعض الأفراد الذين لم يقتنعوا بشكل تام، ويضعون علامات الاستفهام أمام التحرك الجماهيري، ويركزون على بعض المنخرطين في صفوف الثورة من غير الملتزمين دينياً، ويعربون عن قلقهم حول مصير الثورة بسبب وجود مثل هؤلاء الأشخاص بين المتظاهرين، وكانوا يقولون: «إن البعض من يرفع راية الثورة غير ملتزم دينياً».. أو يقولون: «إن قُطعت يد أمريكا من إيران، فإن اليد السوفيتية الشيوعية ستحل محلها، وبالطبع، فإن الاتحاد السوفيتي الشيوعي أسوأ وأخطر من أمريكا المسيحية».. وعندما كنا نقول لهم لماذا يجب أن نفترض أن يأتي أحد من الخارج؟ كانوا يقولون: «إنكم لا تملكون قدرة إخراج الشاه من البلاد إلا أن تطلبوه العون من الاتحاد السوفيتي، وبهذا يتغلغل داخل إيران».

بالطبع، من المؤكد أن جميع الأشخاص الذين كانوا ينزلون للشارع ويرفعون شعاراً واحداً هو (الموت للشاه)، لم يكونوا ذوي عقائد وأفكار واحدة، رغم أن مقارعتهم للشاه هي التي كانت تجمعهم.. وهذا يعني أن الجميع كانوا في جبهة واحدة رغم اختلافهم في العقائد والأفكار، وأن هذه الحالة من الاتحاد بين التيارات المختلفة، كانت تثير قلق بعض الملتزمين دينياً؛ وكنا نقول لهم: «إن هذا البعض الذي ترونوه غير ملتزم دينياً هو، أيضاً، يحب وطنه، وأن حب الوطن هذا يمكنه أن يشكل عامل تضامن معهم لخوض الضال ضد الشاه الظالم ومقارعته معاً.

وهكذا كانت الأيام تمضي وكانت الأوضاع السائدة في المدن وأنحاء البلاد ملفتة للأنظار، فالناس رغم حالة الإضراب العام المطبق في كل مكان، والنشاط الثوري السائد، إلا أنهم كانوا متشغلين في أداء أعمالهم اليومية.. فمثلاً، مجالس العقد والزواج كانت تقام في المدن، إلا أن أغلبها كان يقام بشكل بسيط ودون مظاهر البذخ والإسراف وبمهر بسيط للغاية.

كما أن لوازم الزواج الضرورية كانت تجهز بشكل بسيط وحسب الضرورة، وكان التغيير واضحاً على عادات الناس وأعرافهم في مثل هذه المناسبات، وقلما كان الحديث بين الناس يدور حول أزياء الملابس وغيرها من الأمور غير الضرورية.

وكانت أغلب النساء يحضرن إلى مجالس الأفراح بملابس بسيطة لا تثير الانتباه. وفي المقابل كانت حالة الإخلاص والصفاء سائدة بين الناس. وكانت الحوارات غالباً، حول القضايا المهمة التي تدور أحدها في البلاد، حتى الأشخاص من ذوي الثقافة والتعليم المحدود، كانوا يحللون الأمور بشكل صحيح ويتناقلون فيما بينهم خطابات سماحة الإمام ونداءاته، فضلاً عن خطابات وكلمات أبرز الشخصيات الثورية.

حرية النساء

سمعت يوماً أن سماحة الإمام تحدث في إحدى مقابلاته الصحفية عن حرية النساء، وقد أحببت كثيراً أن أستمع إلى أصل الخبر، لأن الإذاعة والتلفزة الرسمية الإيرانية لم تكن تبث أي شيء حول السيد الإمام والثورة.. لذلك لجأت لإذاعة (بي بي سي) البريطانية حيث ذكر مراسلها أن الإمام الخميني قال «إن النساء والرجال متساوون في الأعمال والنشاطات السياسية والاجتماعية، بالطبع فإن هناك أحكاماً

خاصة بالنساء وأخرى خاصة بالرجال، وهذا لا يعني أن الإسلام فرق بين النساء والرجال، فهم أحرار في الدراسة والتحصيل العلمي ودخول الجامعات والادلاء بأصواتهم أو ترشيح أنفسهم، إلا أنها نعارض ما قاله الشاه في أن منزلة المرأة تأتي من جمالها وصفاتها الأنثوية^(١)، ولكننا لا نعارض النشاط الاجتماعي للنساء».

السوق للأحبة

وهكذا كانت الأيام تمضي واستيقنا أنا وحسن لـ (بابا أحمد) يزداد يوماً بعد آخر، وبدوره كان السيد أحمد يفصح عن شوфе لنا، وبالأخص رغبته في رؤية ولدته الذي لم يشاهده، وفي الوقت ذاته كان يتحدث إلينا عن بيتهما الصغير ومصيرهم المجهول ومهامه الكثيرة والمتنوعة هناك، ولكنه رغم كل ذلك كان يرغب أن أسافر إليهم إن كنت مستعدة لتحمل وضعهم غير المستقر في باريس.. بالطبع مع وجود احتمال آخر، وهو أن يرغم سماحة الإمام على مغادرة فرنسا ما أن نصل هناك، وتأكد سماحته أنه قد يضطر ليركب سفينه لتجول به في البحار الحرة وهو يبلغ للإسلام ويدعوه له، وفي الوقت ذاته يواصل نهجه في مقارعة الكفر والاستكبار.. على أية حال كان لا بد من اتخاذ القرار.

عندما خولني السيد أحمد اتخاذ القرار المناسب في البقاء داخل إيران أو المغادرة إلى باريس، وبالرغم من جميع المشاكل، ومنها أن حسن كان قد سجل تواً في الصف الأول الابتدائي، وبرودة الطقس، وقلة الإمكانيات المتوفرة لحفظ الوليد الجديد، والمصير المجهول

(١) الإشارة هنا لمقابلة صحفية أجريت مع شاه إيران من قبل الصحفي الإيطالي أوريانا فالاجي في أيلول ١٩٧٣ م.

والمبهم الذي يتظر المقيمين حالياً في باريس، إلا أنني قررت السفر إلى فرنسا، لأنني بدوري اشتقت لرؤيه السيد أحمد وأحببت أن التحق بهم سريعاً. بالطبع، فإن والدي ساعدنـي في اتخاذ هذا القرار، وقال: «نحن أيضاً سنراونـك في هذه الرحلة لنرى ماذا سيحدث في المستقبل».

تزامن ذلك مع مجيء آية الله محمد حسن لاهوتـي إلى بيت والـدي ولقائي معه هناك، وبعد حوار متبادل، طلب منـي أن أكلـفـه بأـي عمل ينـجـزـه لي في غـيـابـ السيدـ أـحمدـ، وأـعـطـانـيـ مـبـلـغاًـ منـ المـالـ، وـقـالـ: «إـنـهـ لـمـسـاعـدـةـ الـأـشـخـاصـ الـذـينـ يـأـتـوـنـ إـلـيـكـ»ـ، ثـمـ خـاطـبـنـيـ قـائـلـاًـ: «إـنـكـ عـزـيزـةـ جـداًـ بـالـنـسـبـةـ لـيـ، لـأنـكـ اـبـنـهـ أـسـتـاذـيـ العـزيـزـ وـشـقـيقـةـ صـدـيقـيـ وـرـفـيقـ درـبـيـ، وـزـوـجـةـ أـفـضـلـ أـصـدـقـائـيـ وـكـنـةـ مـرـادـيـ»ـ.. قـاطـعـتـ كـلـامـهـ وـقـلـتـ لـهـ: «إـذـنـ مـحـبـتـكـ لـنـاـ هـيـ مـنـ أـجـلـ هـؤـلـاءـ، وـأـنـاـ أـلـاـ أـمـثـلـ شـيـئـاًـ بـالـنـسـبـةـ لـكـ؟ـ؟ـ!ـ!ـ»ـ

أـجـابـنـيـ بـدـهـشـةـ: «اـصـبـرـيـ يـاـ وـالـدـةـ عـالـمـ الدـيـنـ!ـ (ـكـانـ يـنـادـيـنـيـ بـهـذـهـ الصـفـةـ)، لـقـدـ اـسـتـعـجـلـتـ فـيـ حـكـمـكـ، لـأـنـكـ لـمـ تـسـمـحـ لـيـ بـإـتـامـ كـلـامـيـ.. أـرـدـتـ أـنـ أـقـولـ لـكـ: «إـلـىـ جـانـبـ كـلـ ذـلـكـ، فـإـنـ «ـفـاطـمـةـ هـيـ فـاطـمـةـ»ـ(١)ـ!ـ!ـ.ـ ثـمـ أـرـدـفـ قـائـلـاًـ أـنـ أـيـضاًـ يـرـيدـ السـفـرـ إـلـىـ بـارـيـسـ.ـ وـقـدـ قـرـرـنـاـ أـنـ نـسـافـرـ مـعـهـ إـلـىـ هـنـاكـ.

وـلـإـنـجـازـ إـجـرـاءـاتـ السـفـرـ، ذـهـبـنـاـ إـلـىـ طـهـرـانـ.ـ وـمـنـ ثـمـ اـنـتـقلـنـاـ إـلـىـ مـطـارـ مـهـرـابـادـ لـلـتـمـهـيدـ مـنـ أـجـلـ أـنـ نـلـتـحـقـ بـالـسـيـدـ أـحمدـ.

وـكـانـتـ الأـجـوـاءـ فـيـ المـطـارـ اـسـتـثـنـائـيـ، المـوـظـفـونـ وـالـعـمـالـ كـانـواـ مـضـرـبـيـنـ عـنـ الـعـمـلـ، وـالـفـوـضـيـ تـعـمـ الـمـكـانـ، وـالـنـظـامـ دـاخـلـ المـطـارـ مـفـقـودـ

(١) هنا السيد لاهوتـيـ يـشـيرـ إـلـىـ أـحـدـ مـؤـلـفـاتـ الـدـكـتـورـ عـلـيـ شـرـيعـتـيـ الرـائـعـةـ بـعـنـوانـ (ـفـاطـمـةـ، هـيـ فـاطـمـةـ)ـ حـولـ حـيـاةـ السـيـدـةـ فـاطـمـةـ الزـهـراءـ (ـعـ)ـ -ـ الـمـتـرـجـمـ.

تماماً، يعكس ما كان عليه سابقاً، ولم يكن هناك أي شخص على استعداد للرد على تساؤلات المسافرين.. دخلنا إلى قسم جوازات السفر، فأعطي السيد لاهوتى جواز سفره، فاجتاز الحاجز مع زوجته بسهولة، وكذلك والدي، ولكن عندما وصل الدور لي ألقى الشرطي نظرة على جواز سفري، وقال: «لا يمكنك أن تغادري المطار».. ظننت أنه عرفي وأن القضية سياسية، فسأل السيد لاهوتى: «ولماذا»؟ فأجاب: «لأن ابنك الصغير بحاجة إلى موافقة والده لسماعه له بالخروج».

فقال السيد لاهوتى: «إن والده ليس هنا ولا يمكن الحصول على موافقته الآن، وهولاء يريدون في الواقع الالتحاق به، فقال الشرطي: «لا يمكن ذلك، ويجب أن تجدوا حلّاً لهذه المشكلة».

اندهشت كثيراً عند سماعي لهذا الكلام وتحيرت ماذا أصنع؟ فقلت لوالدي والسيد لاهوتى: «لا بدّ أن تساوروا أنتم وأنا سأعود إلى البيت؛ فرفضوا المغادرة بدورهم. وبعد إصراري الشديد عليهم ذهب الجميع عدا والدي الذي فضل البقاء معي، فعدنا معه إلى بيت خالي «زهراء».

وبعدها اتصلت هاتفياً بالسيد أحمد وأخبرته بتفاصيل ما جرى في المطار، فأنزعج كثيراً وأكد أنه سيسعى حثيثاً لحل هذه المشكلة من خلال أصدقائه في إيران.

ذهبنا في اليوم التالي برفقة السيد سعيد لاهوتى^(١)، وأحد أصدقائه لحل هذه المشكلة، وأخذنا ياسر معنا، لأن هناك حاجة لوجوده معنا، وقد نجحنا في حل جزء من المشكلة، وفجأة احتشدت المظاهرات في

(١) الدكتور سعيد لاهوتى نجل آية الله لاهوتى، وهو طبيب أسنان وصهر آية الله هاشمى رفسنجاني.

الشارع الذي كنا فيه، وسرعان ما أغلق هذا الشارع من قبل الجنود وببدأوا بإطلاق النار على الناس، وحوضتنا وسط الجموع في أجواء خطيرة للغاية، فأوقفنا السيارة في أحد الأزقة ودخلنا أحد البيوت القريبة، وحضرتنا صاحبة البيت من مغبةأخذ الطفل إلى مثل هذه الأجواء الخطيرة! وقالت يمكنكم أن تؤمنوا الطفل عندي وتذهبوا أنتم إن كنتم مضطرين للذهاب لتمشية أموركم.. وفجأة اتخذت قراراً محيراً حيث وافقت على تسليمها الصغير ياسر، وغادرنا البيت وعبرنا عدة شوارع ووصلنا شارع آخر أغلق فجأة أمامنا وتأزم الوضع بشدة؛ اضطررنا للدخول إلى أحد المحلات المفتوحة مع عدد آخر من النساء، وأغلق صاحب المحل الباب، وكنا ننظر إلى ما يجري في الشارع من خلف الباب.. حيث رأيت إحدى السيارات العسكرية مليئة بالجنود المسلمين الذين بدأوا بإطلاق الرصاص في الهواء لتفريق المتظاهرين، ولكن الناس قابلوهم بتردد الشعارات الثورية والتوجه نحو الجنود ونشر الورود عليهم وضع الزهور على فوهات بنادقهم..

تحير الجنود ماذا يصنعون أمام مثل هذه التصرفات، ورأيت عدداً منهم يبكي بعد وضع يديه أمام عينيه، كما نزل عدد منهم من السيارة والتحقوا بصفوف الجماهير.. سمعت صاحب المحل يقول: «أجل.. قام الناس باصطحابهم إلى بيوتهم أو محلاتهم ليهربوا، بعد أن غيرة ملابسهم العسكرية، وكان هذا التصرف طبعاً محفوفاً بالأخطار بالنسبة لهم حيث سينكشف أمرهم في المعسكر وستواجه عوائلهم أخطاراً مؤكدة.

استمرت هذه الحالة عدة ساعات قبل أن تهدأ قليلاً، واصبح الوضع عادياً في الشارع تقرباً، فخرجت من المخبأ واتجهت يميناً

وশمـالاً حتى عثرت على السيد سعيد؛ وعندما أردنا العودة إلى البيت الذي وضعنا ياسر عند ساكنيه، أضعنـا الطريق ولم نوفق في العثور على الزقـاق المطلوب لأنـنا تـنقلـنا بين عـدة شـوارـع وأـزـقة المـحيـطة، وجـدـ السيد الشـوارـع جـيدـاً.. وبعد الـبحث بين الشـوارـع والأـزـقة المـحيـطة، وجـدـ السيد سعيد وصـديـقه أـخـيرـاً، ذلك الشـارـع والـزـقـاق المـقـصـود وـذهبـنا نحوـ الـبيـت، فـرأـيـنا تلكـ المرأةـ العـجوـزـ تقـفـ فيـ مـدخلـهـ وهيـ تحـمـلـ يـاسـرـ وـشـدـيدةـ القـلـقـ عـلـيـنـاـ، وـقدـ فـرـحـتـ كـثـيرـاًـ حـالـمـاـ رـأـيـناـ وـقـالتـ: «ـكـنـتـ أـحـدـ نـفـسـيـ ماـذـاـ سـأـصـنـعـ لـوـ أـصـابـكـمـ مـكـروـهـ أوـ قـتـلـتـمـ أوـ تمـ اـعـتـقـالـكـمـ، وـمـاـذـاـ سـيـكـونـ مـصـبـ هـذـاـ الطـفـلـ؟!.. لـقـدـ بـدـلـتـ مـلـابـسـ الطـفـلـ وـسـقـيـتـهـ الـحـلـيـبـ وـالـعـصـيرـ وـحاـولـتـ تـهـدـأـتـهـ حـتـىـ عـدـتـ وـلـهـ الـحـمـدـ».ـ

أخذـتـ يـاسـرـ مـنـهـ وـاحـضـنـتـهـ بشـدـةـ وـشـكـرـتـهاـ كـثـيرـاًـ وـعـدـنـاـ بـسـرـعـةـ إـلـىـ الـبـيـتـ، وـأـمـضـيـنـاـ طـرـيقـ وـنـحـنـ نـسـتـعـيـدـ الـأـحـدـاثـ الـمـفـاجـئـةـ وـالـخـطـيرـةـ التـيـ وـاجـهـتـنـاـ الـيـوـمـ وـأـشـدـنـاـ بـأـخـلـاقـ تـلـكـ الـمـرـأـةـ وـإـيـثـارـهـاـ وـمـحـبـتهاـ.

وـأـخـيرـاًـ أـنـجـزـنـاـ مـقـدـمـاتـ السـفـرـ وـأـعـدـنـاـ الجـواـزـ وـأـدـخـلـنـاـ اـسـمـ يـاسـرـ فـيـهـ وـتـوـجـهـنـاـ نحوـ الـمـطـارـ وـرـكـبـنـاـ الطـائـرـهـ هـذـهـ الـمـرـةـ دـوـنـ أـيـةـ مشـكـلـةـ..ـ وـأـقـلـعـتـ الطـائـرـهـ نحوـ بـارـيسـ^(١)ـ.ـ سـمـعـتـ فـيـمـاـ بـعـدـ أـنـ تـلـكـ الرـحـلـةـ كـانـتـ آخرـ رـحـلـةـ أـقـلـعـتـ مـنـ مـطـارـ مـهـرـابـادـ إـلـىـ خـارـجـ الـبـلـادـ بـسـبـبـ إـضـرـابـ موـظـفـيـ وـعـمـالـ الـمـطـارـ.

(١) كان ذلك بتاريخ ٢١/١٢/١٩٧٨ م.



والدي وياسر



ولدي حسن

الهوامش

١ - ولد الدكتور كريم سنجابي في مدينة كرمانشاه عام ١٩٠٤م، وكان والده رئيساً لعشيرة (سنجابي).. وبعد إنتهاء المرحلة الثانوية دخل مدرسة الحقوق بطهران قبل أن يسافر إلى باريس ليواصل تحصيله العلمي ومن ثم حصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس.. تقلد منصب وزير الثقافة في حكومة الدكتور محمد مصدق واستقال من منصبه الوزاري ليشارك في انتخابات الدورة السابعة عشرة لمجلس الشورى الوطني وتم انتخابه في المجلس وأصبح قاضياً خاصاً في محكمة العدل الدولية في لاهاي.

خلال أحداث الثورة الإسلامية، كان الدكتور كريم سنجابي رئيساً للجبهة الوطنية وهو في الأصل من مؤسسيها، وقد غادر إلى باريس أواخر الحكومة الشاهنشاهية وأصدر بياناً أدان فيه هذه الحكومة معلناً بيته مع الإمام الخميني.

بعد لقائه سماحة الإمام في باريس، عاد الدكتور سنجابي إلى إيران حيث تم اعتقاله حال وصوله طهران.

تقلد الدكتور سنجابي منصب وزير الخارجية في حكومة المهندس مهدي بازركان بعد انتصار الثورة الإسلامية ولم يستمر في هذا المنصب أكثر من خمسة وخمسين يوماً حيث قدم استقالته بعد حدوث بعض المشاكل. غادر الدكتور سنجابي إيران أواخر عمره إلى أميركا ومكث هناك حتى توفي عام ١٩٩٦م.

٢ - عرفت جمعية الحججية بمعارضتها لتأسيس الحكومة الإسلامية

وتدخل علماء الدين في السياسة. وعندما حرم سماحة الإمام إقامة الاحتفالات بمناسبة الثالث والخامس عشر من شعبان (ذكرى مولدي الإمام الحسين والإمام المهدي (ع)), احتجاجاً على جرائم نظام الشاه, حاول أنصار هذه الجمعية مخالفة هذه الأوامر وإقامة الاحتفالات.

إن اعتقاد أتباع هذه الجمعية بمسألة انتظار الفرج وظهور الإمام المهدي (ع) كانت إلى درجة بحيث خالفوا أي نوع من النضال السياسي والسعى بهدف إقامة حكومة الصالحين في البلاد، وعارضوا ذلك لأن مثل هذا العمل حسب زعمهم يؤدي إلى التأخير في ظهور صاحب الزمان (ع).. بالطبع، فإن إشاعة مثل هذا الاعتقاد بين الناس يؤدي إلى انتشار منطق القبول بالظلم، واستنكار ورفض أي سعي وجهد يبذل ضد الظالمين كما حدث في انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٣م. تم حل هذه الجمعية وتفرقها في عام ١٩٨٣م بعد أن وصفهم الإمام الخميني (رض) بالخيانة والرجعية.

٣ - تقلد جيمس ايسل كارتر المعروف بجيمي كارتر، منصب رئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال أعوام ١٩٧٧ - ١٩٨١م)، وقد سعى كثيراً للمحافظة على حكومة بهلوية في إيران من خلال متابعة أحداث الانتفاضة الجماهيرية والثورة الإسلامية من خلال السفير الأميركي بطهران، والسفير الإيراني في واشنطن الجنرال أردشير ازهاري، وأعلن دعمه التام والمتواصل للشاه. ولإثبات ذلك سافر إلى طهران بتاريخ ٣٠/١٢/١٩٧٧م، وأعلن دعم أميركا الكامل لمحمد رضا شاه.. وخلال مأدبة العشاء التي أقامها الشاه لضيفه، خاطب كارتر شاه إيران قائلاً: «فضل قيادة الشاه العظيمة أصبحت إيران جزيرة الثبات والاستقرار في أكثر مناطق العالم فوضى وعدم استقرار».

الفصل الثامن

”نوفل لوشاتو“

باريس

جلست على كرسي الطائرة؛ كانت فرصة مناسبة لأغلق عيني وأزيل التعب الذي عانيته خلال الأيام المنصرمة، ولكنني لم أتمكن من ذلك.. فاستعدت في ذهني الحوادث التي مرت علينا خلال السنوات والأشهر الأخيرة، وكانت تبدو كأحداث جرت بشكل متسلسل ومدهش للغاية.. بدءاً من حادثة استشهاد الحاج السيد مصطفى الخميني، وبعدها انتشار اسم سماحة الإمام الخميني بشكل واسع في أنحاء العالم، لا سيما في المجتمعات الغربية، ومن ثم هجرة الإمام من النجف الأشرف إلى باريس، واهتمام الناس الأكثر والأعمق، بحقيقة تلازم السياسة والدين، واندلاع المظاهرات والتحركات الثورية في أنحاء إيران، والمشاكل والصعوبات التي تحملها أبناء الشعب بسبب الإضرابات، وما تبع ذلك من اعتقال واستشهاد أعداد من المجاهدين والمناضلين، والأهم من كل ذلك حدوث التحول الكبير واتحاد أبناء الشعب وترافق صفوف الناس.

وكنت أفكر في الوقت ذاته في المستقبل، في باريس، نوفل لوشاًتو والصورة التي تشكلت في ذهني عن هناك، وأخذتني أفكارِي إلى تخيل لحظة اللقاء مع أعزائي، مما جعلتني أغرق في بحر من النشاط والفرح. وحينها أخبرتنا المضيفة أننا نقترب من المطار، وكان حسن لا

زال نائماً، وأبى ينظر إلى خارج الطائرة وشفتاه ترددان أذكاراً مقدسة، ويعبر ياسر عن جوعه من خلال البكاء.. حاولت أن أنظر إلى الأسفل ولكن بلا جدوى، حيث إن الغيوم الكثيفة حالت دون رؤية جمال الأرض من فوق ونحن على وشك الهبوط عليها بعد دقائق.

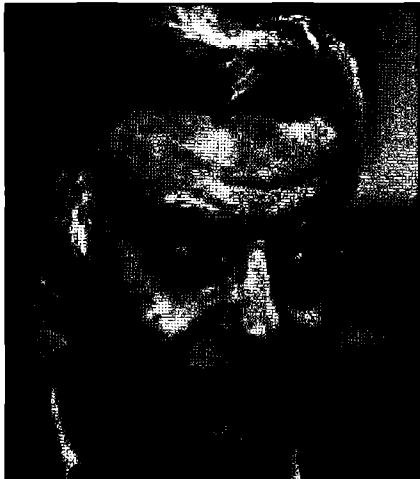
توقفت عجلات الطائرة عن الحركة، وبدأت أنفاسي تتسارع بشدة من شوق اللقاء، واحتضن والدي ياسر، وأخذت بيد حسن ونزلنا من الطائرة وكنت أتحدث مع حسن عن لقائنا مع (بابا أحمد) بعد عدة لحظات.. وبدأنا نتمشى داخل صالة واسعة وكبيرة في المطار وكان شوق لقاء (بابا أحمد) واضحاً في عيني حسن إلى درجة تلفت أنظار الجميع إليه؛ وحالما وصلنا إلى قسم التدقيق في جوازات السفر، ردد الشرطي الذي كان موجوداً هناك، اسم آية الله الخميني عندما وقع نظره علينا، حيث كانوا يرجون بأي قادم إلى باريس لزيارة سماحة الإمام، ويعاملونه معاملة حسنة للغاية.

كنا متلهفين لرؤيه السيد أحمد، لأنها كانت المرة الأولى التي يطول فراقنا إلى هذا الحد، وكنت أفك في تلك اللحظة التي سيرى فيها السيد أحمد ولديه ياسر ذي الثلاث وستين يوماً.

وأخيراً وقع نظري على السيد أحمد عن بعد، وحاولت أن أجعل حسن يراه، أيضاً، ورأيت كذلك شقيقه صادق والسيد صدوقى وقطب زاده، الذين جاؤوا لاستقبالنا برفقة السيد أحمد.

وكان مشهد لقائنا مع السيد أحمد واحتضانه لياسر ملفتاً للانتظار؛ وبعد تبادل السلام والتحية اتجهنا نحو السيارة التي كانت تنتظرنا خارج المطار.

وقد رافقنا في الرحلة عدد من الشخصيات التي جاءت إلى باريس للقاء سماحة الإمام، منهم المهندس عزت الله سحابي^(١).



المهندس عزت الله سحابي

بعد استقرارنا في السيارة بدأ الحوار بين الحاضرين حول مختلف حوادث الثورة الإسلامية وتطوراتها، فقد تحدث المهندس سحابي عن صرخات التكبير التي تنطلق من حناجر الناس مساءً من على سطوح المنازل، وقدم تحليلًا ملفتًا جاء فيه: «المعروف أن الانتصار في الحروب يسجل غالباً لمن يهاجم الأعداء مساءً. والآن، فإن النصر هو للناس الذين يهاجمون النظام مساءً بنداءات التكبير، وفي المقابل، فإن قوات النظام عاجزة عن القيام بأي رد فعل حيال ذلك». وقد استنتجت من ذلك التحليل أن النصر قريب، حيث سرت بسبب ذلك، لأن المعروف أن السياسيين نادراً ما يرون النصر قريباً خلال مراحل تطور التحركات الثورية؛ وواصل كلامه قائلاً: «بالطبع ينبغي أن لا تفأله كثيراً».

وبينما كانت أذناي تصغيان للحوارات التي كانت تدور في السيارة، فإن عيني كانت تراقب المشاهد التي كنا نراها خلال اجتيازنا

(١) اعتاد السيد صدوقى أن يكون في طليعة مستقبلى القادمين من طهران لزيارة سماحة الإمام لا سيما الشخصيات المهمة حيث كان يتعهد بهذا الأمر ويوصلهم إلى مقر السيد الإمام برحابة صدر.



المؤلقة في فرساي

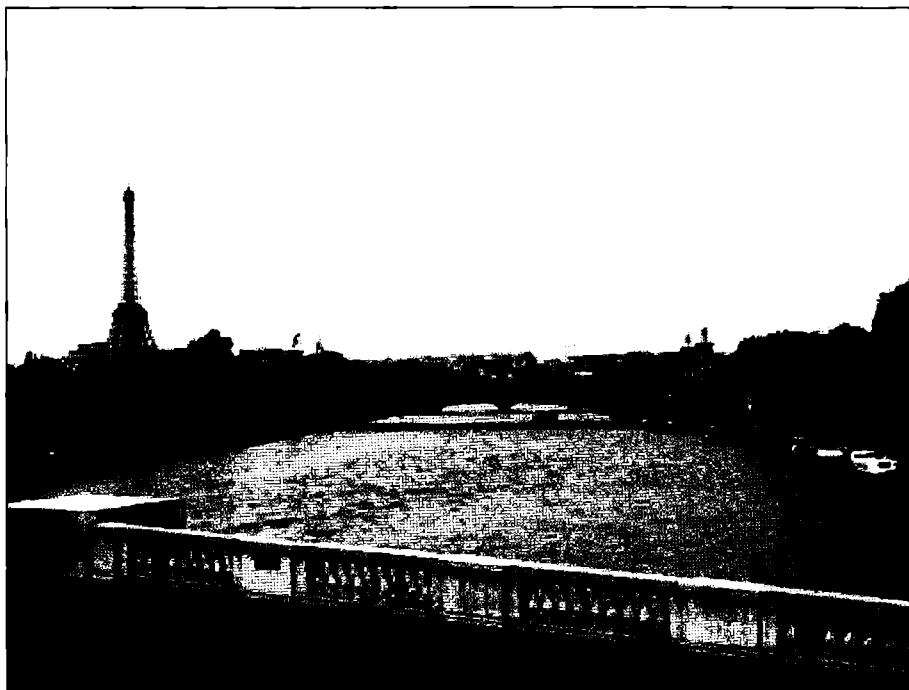
شوارع مدينة عرفت بعروس أوروبا ، ورغم أن الشتاء كان قد بدأ في باريس ولم يبق أي ورق على الأشجار ، إلا أن منظر المدينة بشكل عام وبيوتها وشوارعها ، كانت ملفتة للنظر .

وصلنا إلى شقة صغيرة لصادق قطب زاده على ضفاف نهر (السين)^(١) ، حيث استقبلتنا سيدة بملابس طويلة وعريضة وعرفت نفسها أنها «جيلا كتيبائي»^(٢) طالبة جامعية في قسم علم النفس .

بعد استراحة قصيرة وتناول طعام الغداء ، تحركنا برفقة والدي والسيد أحمد وشقيقتي صادق وقطب زاده ، نحو منطقة نوفل لوشاتو .

(١) نهر غزير المياه يمر في وسط باريس .

(٢) الدكتورة «جيلا كتيبائي» زوجة الدكتور كريم خدابنادي من الطلبة الإيرانيين أعضاء الاتحاد الإسلامي الطلابي في أوروبا . الدكتورة «كتيبائي» متخصصة في علم النفس . وأصبح الدكتور خدابنادي بعد الثورة مساعدًا لصادق قطب زاده في مؤسسة الإذاعة والتلفزة الإيرانية .



مشهد لبرج إيفل ونهر السين (باريس)

نوفل لوشاتو

بعد أن اجتاز سائق السيارة عدة شوارع رئيسية وأخرى ضيقة وعدها آخر من المنعطفات، توقف أمام أحد البيوت ونزلنا من السيارة.. نظرت إلى ما حولي وظننت أنها أخطأنا في العنوان وجئنا إلى مكان آخر بعيداً عن باريس، لأن المكان لا يشبه ما رأيناه من مناظر منذ مغادرتنا المطار وحتى وصولنا إلى هنا، كما أن الناس هنا لا يشبهون أولئك الذين رأيناهم في الطريق، حيث أن أغلب الرجال هنا ملتحون والنساء يرتدين المعطف والمانتو وغطاء الرأس.. كذلك، فإن هطول الأمطار الشتائية أدى إلى البلل والوحش في كل مكان.

انفصل والدي وشقيقتي صادق وقطب زاده عنا وأخذوا إلى أحد البيوت، وذهبنا برفقة حسن والسيد أحمد الذي كان يحتضن ياسر، إلى

بيت صغير حيث دخلنا غرفة صغيرة بعد أن اجترنا ممراً ضيقاً، وقد تمت تغطية باب الغرفة بستار من القماش البسيط المثبت بمسامير على الحائط.

أزحنا الستار جانباً ودخلنا الغرفة، حيث رأيت سماحة الإمام غالساً في إحدى زواياها إلى جانبه السيدة زوجته وكريمته السيدة «صديقة» وابنتيها زهراء ونعميمة إشرافي. كذلك فإن السيدة «انيس الملوك» (ابنة شقيقة الإمام) والسيدة «مهين» (ابنة شقيق الإمام)، كانتا قد جاءتا من إيران لزيارة سماحته وقد تم إسكانهما في مكان آخر من البيت.

سلمنا على سماحة الإمام وبقي الموجودين وتبادلنا كلمات التحية والترحيب، وقد رأيت سماحته فرحاً للغاية ونشطاً جداً، بل أفضل بكثير مما رأيته آخر مرة في النجف الأشرف حيث كان جسمه ضعيفاً وقليل الشهية، لا سيما في الأشهر الأخيرة من إقامته هناك.

وحينما دخلنا الغرفة هرع حسن إلى أحضان جده وجدته بكل شوق وبهجة ومحبة مقبلاً رأسيهما ووجهيهما، وفي المقابل كان سماحته والسيدة حرمه يبادلانه نفس الشعور والمحبة والفرح.

بعد أن جلس حسن إلى جانب السيد أحمد، أخذ سماحة الإمام ياسر مني واحتضنه بشدة وقرأ الدعاء في أذنيه وأهداني قطعة من الذهب كان قد أعدها مسبقاً احتفاءً بولادة ياسر^(١).. ثم خاطبني سماحته مبتسمًا بالقول: «إن لم تكن لك بنتاً، فلا أبناء لك»!! فقلت لسماحته مبتسمة:

(١) عودنا سماحة الإمام على تقديم الهدايا في بعض المناسبات وكان سماحته يبادر إلى تقديم الهدايا أيضاً، لمن يقدم أية هدية لسماحته في المناسبات المختلفة.

كيف يقول سماحتكم مثل هذا الكلام وعنكم ابناً مثل السيد أحمد؟!
فهز سماحة الإمام رأسه وقال: «إن أحمد مستثنى من هذه القاعدة».

أخبر السيد أحمد سماحة الإمام عن وصول والدي إلى نوفل
لوشاتو فأعرب سماحته عن شوقه ورغبته الشديدة أن يراه الآن، مما
دعا السيد أحمد أن يغادر الغرفة ويعود بسرعة برفة والدي وشقيقه
صادق..

وبعد أن تصالحا وتعانقا، شكر سماحة الإمام والدي لما بذله
من جهد وتحمله من التعب ومرافقته لي وولدي حتى وصولنا باريس..
حينها رأيت عيني والدي تمليئاً بدمع الفرح والشوق، وقابل أحاسيس
سماحة الإمام بمشاعر فياضة بالمحبة والاحترام والتقدير، بعد ذلك عاد
السيد أحمد برفقتهم إلى المكان المخصص لأنصار سماحة الإمام
وضيوفه.

بدأ سماحة الإمام يسألني عن الأوضاع السائدة في إيران
ومشاهداتي الميدانية، فشرحت لسماحته تفاصيل ما رأيت، وأنا غارقة
في أجواء مدهشة ومليئة بالشوق والمحبة لسماحته، فتحدثت له عن
عظمة المظاهرات الجماهيرية في الشوارع ونداءات التكبير مساء كل يوم
على سطوح المنازل وتضحيات الشباب والكهول والنساء والرجال وعدم
خوفهم من أي شيء.

ورأيت سماحة الإمام يصغي لكلامي بدقة وشوق، كذلك تحدثت
لسماحته عن تضحيات وشجاعة أبناء مدينة قم ووفائهم للثورة الإسلامية
وقائهم الإمام. فقال سماحته: «إن هذه الثورة ستنتصر حتماً إن شاء الله
لأنها أصبحت شاملة وجماهيرية، وأن الحكومة الحالية في إيران، فقدت
مكانتها بين الناس.

محل إقامة الإمام الخميني

البيت الذي خصص لإقامة سماحة الإمام في نوفل لوشاتو كان بأربع غرف متغيرة وكان سماحته يستخدم إحداها لإجراء اللقاءات الخاصة فضلاً عن كونها غرفة نومه مع أسرته في المساء، كما كان السيد إشرافي (صهر الإمام) يستخدم الغرفة الثانية مع أسرته، والغرفة الثالثة كانت في الواقع مخزنًا لحقائب الضيوف ولوازفهم، والغرفة الرابعة كانت مخصصة لباقي الضيوف من النساء.

كما كانت الغرف تمتليء بالناس من الصباح حتى المساء، وكانت أعداد كبيرة منهم تنتظر موعد لقائها مع سماحة الإمام، وكان الوقت المخصص للقاءات العامة محدوداً، وكل مجموعة من القادمين تستفيد منه لعدة دقائق وتناوיב المجموعات الأخرى على ذلك.

وكنا نستفيد من فرصة مجيء سماحة الإمام عند أسرته لتناول طعام الغداء لنتلقى به ونتحاور معه، وكان الوقت المخصص لذلك محدوداً بالطبع.

وهكذا، فإن البيت بسبب صغره وبرودته، لم يكن مناسباً للإقامة، ورغم أن جهاز التدفئة المركزية كان وسيلة التدفئة فيه، إلا أنه لم يكن كافياً بسبب فتح وغلق أبواب الغرف بشكل مستمر، وكنا أحياناً نضع موقفاً في وسط الغرفة للتدافئة مع ارتداء الملابس المناسبة مثل المعاطف والكتنزات؛ وكان البعض من الضيوف عندما يزوروننا يظنون أننا نواسي الناس داخل إيران الذين كانوا يعانون من أزمة الوقود آنذاك من خلال عدم استخدام جهاز التدفئة المركزية!!.

الأعمال اليومية لسماحة الإمام

تغيرت الأعمال التي كان سماحة الإمام يقوم بها في نوفل لوشاتو مقارنة مع النجف الأشرف كماً ونوعاً، فهو لا يدرس الفقه ولا يبحث نظرياً في مباحث الفقه ولا نظرياته، بل يركز على كيفية استخدام العملي للأحكام الفقهية، لا سيما السياسية منها.. وكان سماحته يقضي أكثر وقته في إجراء المقابلات الصحفية وإلقاء الكلمات ولقاء مختلف المجموعات والفصائل السياسية والاجتماعية ليوضح أمامها رأي سماحته بشأن نوع الحكومة التي يريد تأسيسها في إيران.. وكان الدكتور إبراهيم يزدي مسؤولاً عن تنظيم البرامج واللقاءات مع السيد الإمام، وكان سماحته يحبه ويحترمه.

وبسبب الحشود الكبيرة المتجمعة في المنطقة، فإن الكثير من الأفراد كانوا يتذمرون لساعات بل أحياناً لأيام حتى يحين موعد اللقاء. وخلال هذه اللقاءات، يقوم غالباً السيدان قطب زاده وبني صدر^(١) بالترجمة إلى اللغة الفرنسية والدكتور يزدي وشقيقه السيد صادق إلى اللغتين الإنجليزية والألمانية.

كذلك، فإن الأخبار والرسائل التي كانت تصل من شتى أنحاء العالم، فضلاً عن التقارير والمقالات المطبوعة في مختلف الصحف والمجلات العالمية يتم ترجمتها من قبل مجموعة من الشباب والطلاب، وتقدم لسماحة الإمام مرفقة بالأصول ليطالعها سماحته ويدرسها بإتقان.. ويحدث أحياناً اختلاف بين المתרגمين حول معاني بعض المصطلحات الواردة في تلك المقالات، وتتأزم الأوضاع بينهم، ويتم البعض منهم

(١) الدكتور أبو الحسن بنى صدر (المولود عام ١٩٣٣م): شخصية سياسية واقتصادية. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهاشم الأول في نهاية الفصل.



السيد أحمد ويني صدر

الآخر بالخيانة في الأمانة أحياناً، وحينها كان السيد أحمد يتدخل ليتأكد من المعنى الحقيقي للمصطلحات وبالتالي يفضي النزاع بينهم بشكل مناسب.

هذا وقد اعتاد سماحة الإمام الخروج إلى الباحة الأمامية لغرفته قبل الظهر، لإقامة صلاتي الظهر والعصر جماعة، وبعدها يجلس أحياناً تحت شجرة التفاح التي كانت تحمل ثماراً كثيرة، ويتحدث حول مختلف الأحداث والمناسبات، قبل أن يعود إلى محل استراحته.. كما اعتاد سماحته أن يتناول وجبة الغداء مع أفراد أسرته. وبعد استراحة قصيرة، يعود مرة أخرى إلى مكتبه لإنجاز أعماله ومهامه حتى يحين وقت صلاتي المغرب والعشاء، فيؤديهما جماعة أيضاً، هناك.. وبعد أداء الصلاة يلتقي سماحته الشخصيات القادمة ويطالع الأخبار والتقارير والتحليلات المعدة من قبل مختلف الشخصيات، ويحجب على الرسائل الوائلة، ويتابع مثل هذه الأعمال حتى يحين وقت النوم والاستراحة.



الإمام الخميني في نوفل لوشاتو



صلاة الجمعة تحت شجرة التفاح (نوفل لوشاتو)

وكان سماحة الإمام يبدو أكثر نشاطاً وفاعلية، وأفضل حالاً مما كان عليه في النجف الأشرف، رغم الحجم الكبير لأعماله وانشغاله في مختلف المهام والأعمال لحوالي ست عشرة ساعة في اليوم، لأنه كان يشعر بالحرية في التعبير عن آرائه وقيامه بأداء رسالته الدينية والشرعية، ولم يكن سماحته يُظهر تعبه وإرهاقه أبداً، بل إن آثار التعب لم تكن تظهر أبداً على محياه، ولون بشرة وجهه كان يبدو أكثر إشراقاً وتوهجاً، وكان كل من يلتقيه في باريس بعد فراق عدة أشهر، يؤكّد هذه الحقيقة.

البرنامج اليومي للسيدة أم أحمد

اعتادت بعض السيدات اللواتي كن يصلن نوفل لوشاتو للقاء سماحة الإمام، أن يكون لهنّ، أيضاً، لقاء مع السيدة حرم الإمام. وخلال اللقاء يتم عرض الأسئلة الشرعية والسياسية، وكذلك بعض المسائل العائلية والخاصة، وتقوم السيدة أم أحمد بالإجابة عليها. وكانت تعبر أحياناً عن انزعاجها وتعيها من بعض الأسئلة المكررة والخاصة.

لم تكن السيدة أم أحمد ترغب بإجراء مقابلات صحفية رسمية، وفي أحد الأيام نشرت صحيفة (إطلاعات) الرسمية الحكومية، تقريراً حول حديث السيدة مع طبع صورة لها، وقد انزعجت كثيراً من ذلك، وبعدها كانت ترفض التحدث مع أي سيدة إن شعرت أنها تريد أن تستغلها وتنشرها في الصحفة، وكانت تقول لهنّ: «سوف لن أتحدث بأي شيء إن كانت لكنّ رغبة في نشر حديثي في الإعلام، وكانت تتحدث معهن بعد أن تطمئن من ذلك. ويتحول اللقاء غالباً إلى لقاء تسوده أجواء الصداقة والمودة.

كذلك اعتادت أكثر السيدات الجامعيات اللواتي يأتين لزيارة السيدة أم أحمد، أن يقلن أنهن طالبات في علم الاجتماع، مما جعلها تعجب من ذلك وتقول لهن: «هل هذا الفرع العلمي سهل إلى هذه الدرجة بحيث تنتخبه جميع النساء»؟! بالطبع يبدو أن السبب في ذلك يعود إلى تعلق الطالبات وتأثيرهن بشخصية الدكتور علي شريعتي الذي كان متخصصاً في نفس الفرع.

وكان التزام السيدة أم أحمد بآداب الاستقبال والاستضافة وتأكيدها على ضرورة الترحيب الحار بالضيف، ملفتاً للانتظار؛ فهي لم تنس ذلك حتى في نوفل لوشاتو وفي أوج حوادث الثورة وتطوراتها، وكانت تؤكد على ضرورة استقبال كل الضيوف بنفس الطريقة والاحترام والتكريم.. وعندما كان الضيوف يدخلون الغرفة، تتوسط السيدة أم أحمد الحضور ويوضع أمام كل ضيف صحن فيه قطع الحلويات والمن والسلوى والسوهان، أو أي حلوي أخرى جيء بها من قبل الضيوف القادمين من إيران.

أذكر أن عدداً من الشابات الإيرانيات اعترضن على السيدة أم أحمد على مثل هذه الاستضافة وقلن: «لماذا لا يتناسب السلوك المتبعة هنا مع منزلة الإمام وموقعه القيادي الديني»؟ فسألتهن السيدة: «لماذا وكيف»؟ فأجبن: «من يأتي إلى هنا يتصور أنه دخل حفلًا بمناسبة حلول العيد لأنه يقدم له أنواع الحلويات الإيرانية، بينما يكفي كوب من الشاي وقطعة من البسكوت، حيث لا نرى آثاراً للثورة والتحرك الثوري هنا»!! فأجابت السيدة: «بناتي العزيزات.. إن كل ما يقدم لكـنـ من حلويـنـ، هي هدايا وصلـتـ من إـیرـانـ، وأن هـذـهـ الخـزانـةـ أـمـامـکـمـ مـلـيـئـةـ منهاـ، أـلـيـسـ منـ الأـفـضـلـ أنـ نـسـتـفـیدـ منـ تـلـكـ الـحـلوـيـاتـ لـتـقـدـیـمـهاـ أـمـامـکـنـ لـتـتـذـوقـنـ منهاـ»

وأنت ضيوفنا وقد جئن من أماكن بعيدة، أو أن نترك هذه السنة الحسنة وننتظر بالبساطة؟! لماذا لا تفصلن بين مثل هذه الأمور وتصدرن الأحكام بسرعة؟ أليس من النفاق أن نتناول نحن في أسرتنا هذه الحلويات ونحرمكُنّ منها وانت ضيوفنا العزيزات، حتى تبدو الأمور أمامكُن بكمال البساطة والثورية كما تقولون»؟!!.

لقد كان الالتزام بمثل هذه الأعراف والتقاليد والأداب، صعباً علينا في مثل تلك الأجواء والمكان الضيق والإمكانات القليلة، لا سيما عندما كنا نواجه مثل هذه الاعتراضات من قبل البعض، فيزداد تعينا بسبب ذلك.

إلا أن السيدة أم أحمد لم تكن تهتم بمثل هذا الكلام وتواصل استضافة القادمات إليها بكل احترام وتكريم وتقول: «إن احترام الضيف وتكريمه واجب؛ إن هؤلاء الضيوف قدموا إلى هنا من أماكن بعيدة من مختلف أنحاء العالم بعد تحملهم مصاعب كثيرة، والبعض منهم انتظرن لفترة زمنية طويلة حتى حدث اللقاء معنا، وليس من الصحيح أن لا نستضيفهن بالشكل اللائق والمطلوب. لذا، أرجو أن لا تأخذوا كلامهن بشكل جاد ولا تنزعجوا من ذلك أبداً؛ وواصلوا القيام بالواجب حسب الأدب والأعراف المناسبة.

بالطبع في مقابل ذلك كان عدد من الضيوف يحملون تصوراً آخر حول منزل قائد الثورة ومقر إقامته، ويظن أنه سيدخل في صالة استقبال كبيرة وفخمة وسيستقبلهم عدد من المضيفات المحترفات وغير ذلك من مظاهر الرفاه، وكن يعبرن عن ذلك بكل تعجب واندهاش.

إن أكثر الطالبات الجامعيات اللواتي كن يصلن إلى نوفل لوشاتو يتوقعن أن تدور حوارات سياسية معهن إلا أنها كانتا نفضل أن لا نفتح

مثل هذه الحوارات ولا ندخلها إن فُتحت أمامنا، لأننا كنا نحذر أن تفسر الحوارات والأراء التي تطرح فيها بشكل آخر أو تنسب إلى سماحة الإمام، فكل واحد له رأيه الخاص وتحليله حول ما يجري في إيران. كان أحدهم يقول إن سماحة الإمام فرح عندما سمع الخبر الفلاني، إذن فهو راض عن ذلك. والآخر يقول عكس ذلك، إذن فهو غير راض عنه. أو أنه عبر عن قلقه عندما سمع الخبر الآخر أو انزعج منه، وهكذا. لذا كنا نسعى لتجنب مثل هذه الأمور حتى لا تنسب الاستنباطات والاستنتاجات لسماحة الإمام (رض).

الحالة المعنوية والروحية للسيدة أم أحمد في باريس، كانت أفضل بكثير مما كانت عليه في النجف الأشرف، وكان السيد أحمد يمازحها أحياناً ويقول: «سيدي الوالدة، أعتقد أن دعاءك هناك استجيب، حيث انتقل سماحة الإمام من الأجواء المملة ذات النسق الواحد في النجف الأشرف إلى أجواء جديدة في فرنسا».

وعرف عن السيدة أم أحمد إجادتها اللغة الفرنسية، تقول السيدة «نسرين حكيمي»^(١) التي رافقت السيدة أم أحمد من المطار إلى نوفل لوشاتو حين وصولها من العراق، بهذا الشأن: «كنت أحمل صورة مغایرة عن السيدة قبل لقائها، باعتبارها سيدة قضاً أكثر عمرها في قُم والنّجف الأشرف، لذا فهي لا تعرف كثيراً عن مظاهر الحياة الجديدة أو أنها أصبحت أكثر كآبة وحزناً بعد وفاة نجلها الحاج السيد مصطفى، ولكن ما أن رأيتها وتعاملت معها تغيرت تصوراتي عنها، فقد رأيتها

(١) الدكتورة «نسرين حكيمي» متخصصة في علم الاجتماع من باريس وأستاذة جامعية وقد ترجمت عدة مقالات ودراسات تحليلية وكذلك ترجمت كتاب (الظاهرة القرآنية) للمفكر الجزائري الراحل مالك بن نبي وأصبحت بعد الثورة الإسلامية كتّة الإمام موسى الصدر.

سيدة ذات شخصية قوية ومتزنة ووقورة وذات ظاهر أنيق، وملتزمة بالآداب والأخلاق والحجاب الكامل».

وأضافت تقول: «عندما كانت السيارة تقطع الشوارع والطرق رأيت السيدة تقرأ اللوحات والكتابات التي يقع بصرها عليها بشكل جيد وتسألني أسئلة دقيقة ومناسبة، فسألتها: «سيدي هل تجيدين اللغة الفرنسية؟ فقالت: «نعم، لأنني كنت أدرس اللغة الفرنسية قبل الزواج».

دور السيد أحمد في نوفل لوشا تو

في تلك الأيام المليئة بالنشاط والحركة والفعالية في نوفل لوشا تو كنا نشهد حضور أعداد غفيرة من مراسلي وسائل الإعلام العامة العالمية، وشخصيات كبيرة قادمة إلى هناك باهداف متباعدة ومتعددة، بالإضافة إلى استضافة عدد كبير من أنصار ومحبي سماحة الإمام.. وكان السيد أحمد يتبعه بمسؤولية إدارة هذا الكم الهائل من اللقاءات والزيارات والحوارات، مع تنوع الثقافات واللغات وتفاوت الأهداف المعلنة والخفية، وبإمكانات بسيطة وضئيلة لا تذكر؛ حيث أدى تلك المهمة الصعبة بشكل جيد.

عندما وصلت نوفل لوشا تو رأيت السيد أحمد مرهقاً للغاية، فهو بالإضافة لمسؤولية إدارة المجتمعات واللقاءات، كان يتنقل باستمرار بين المكتب والبيت وينقل آراء الناشطين في المكتب لسماعة الإمام، وفي المقابل ينقل أوامر وتعليمات وقرارات سماحته اليهم.

وكانت أحياناً تحدث اختلافات في الرأي بين الناشطين من أنصار الثورة، وكان السيد أحمد يشعر بمسؤولية كبيرة في مثل هذه الأجواء المتميزة بوجود شخصيات ومجموعات سياسية بأفكار واعتقادات متفاوتة

ومتنوعة، فالبعض من هؤلاء كانوا يقبلون بقيادة الإمام الخميني حتى مرحلة إسقاط الشاه في إيران إلا أنهم لم يكونوا يوافقوا سماحته في نوع الحكومة التي ينبغي قيامها بعد السقوط. من ناحية أخرى، فإن علماء وطلبة العلوم الدينية لم يكونوا يثرون كثيراً بالناشطين المقيمين في أوروبا وأميركا، الذين هم بدورهم لم يكونوا يتحملون أفكار وعقائد العلماء والطلبة.

وهكذا، فإن السيد أحمد كان يلعب دوراً حساساً وأساسياً في مثل هذه الأجواء والظروف، ويحاور الجميع وينقل خلاصة آرائهم لسماعة الإمام.



السيد أحمد مع السيد إشرافي أمام مقر إقامة الإمام الخميني (نوفل لوشاتو)

تفاصيل الرحلة التاريخية لسماحة الإمام من العراق إلى فرنسا

طلبت من السيد أحمد يوماً أن يشرح لي تفاصيل رحلتهم التاريخية، أو حسب تعبيرهم، هجرتهم من العراق إلى فرنسا.. وتذكرت أنني كنت قد طلبت من سماحة الإمام في النجف الأشرف أن يشرح لي تفاصيل رحلته من إيران إلى تركية ومن هناك إلى النجف الأشرف؛ ولم أكن حينها أتصور أنني سأطلب فيما بعد من السيد أحمد أن يشرح لي تفاصيل هجرته برفقة سماحة الإمام من النجف الأشرف إلى باريس هذه المرة.

فقال السيد أحمد: «بعد أن جلسنا في أماكننا وأقلعت الطائرة نحو باريس، حدث أمر ما أقلقنا بشدة، حيث عرفنا أن المسؤولين العراقيين كانوا قد قالوا للسيد دعائي في مطار بغداد قبل ركوبنا الطائرة، أن يخبر السيد الخميني بأن عليه أن لا يعود إلى العراق. ورد عليهم السيد دعائي قائلاً: «هل إن هذه الرسالة هي باقة الورد التي تريدون تقديمها لضيفكم قبل أن يغادر بلدكم»؟!.. وبعد أن دخلنا الطائرة أخبرني السيد دعائي بذلك.

«رغم أننا لم نكن نفكر أبداً في العودة إلى العراق، إلا أنني تفاجأت بما سمعت، وحينها عرفت السبب الذي دعاهم لتأخير موعد إقلاع الطائرة لساعتين تقريباً حتى نصل إلى المطار ونلحق بها رغم أنها كانت مليئة بالمسافرين.

على أية حال، بعد أن دخلنا الطائرة طلبوا منا الجلوس في الطابق العلوي^(١) وشاهدنا هناك ثلاثة أشخاص اعتقدها في البدء أنهم مسافرون مثلنا، ولكن تأكدنا فيما بعد أنهم ليسوا سوى سوى رجال أمن مكلفين بمرافقتنا خلال هذه الرحلة، حيث ساورنا الشك أولاً بذلك، وللتتأكد

(١) رافق سماحة الإمام خلال رحلته إلى باريس كل من السيد أحمد والدكتور إبراهيم يزدي والسيدين إملائي وفردوسي بور.

من الأمر طلبنا من السيد املائي أن يحاول تغيير مكانه وينتقل إلى الطابق السفلي من الطائرة إلا أنهم منعوه من ذلك !!.

وبعدها سغلت أذهاننا أفكار مقلقة زادت في عدم ثقتنا بما يجري حولنا ، فقررنا أن نقوم بخطوات وقائية لمواجهة الأخطار المحتملة.. حيث كان من المقرر أن تهبط الطائرة في مدينة جنيف أولاً طبقاً ل برنامـج الرحلة المعلن قبل أن تتجه إلى باريس ؛ لذلك قررنا أن ينزل من الطائرة في جنيف الدكتور إبراهيم يزدي والسيد املائي وإن منعهم رجال الأمن من ذلك ، فيعني أن هناك مخططـاً خبيثـاً ولا بدـ من مواجهة هذه الحالة.

«بعد أن هبطت الطائرة في مطار جنيف أخبر السيد املائي مسؤوليـة الطائرة أنه والدكتور يزدي يرغـبان في النـزول من الطائـرة هناـك ، وبعد عـدة دقـائق أـعلنـ من خـلال الإـذاعـة المـركـزـية في الطـائـرة أنه لا يـسمـحـ لهـماـ بالـنزـولـ فيـ جـنيـفـ ، مما دـعاـ السـيدـ اـمـلـائـيـ إـلـىـ دـفعـ رـجـلـ الـأـمـنـ جـانـبـاـ وـخـروـجـهـ منـ الطـائـرةـ ، كـماـ قـامـ الدـكـتـورـ يـزـديـ بـالـقـفـزـ وـالـوـصـولـ إـلـىـ سـلـمـ الطـائـرةـ وـبـالـتـالـيـ الخـروـجـ مـنـهـ ؛ وـحـينـهاـ تـأـكـدـنـاـ أـنـ الـحرـاسـ الـثـلـاثـةـ كـانـواـ يـحـمـلـونـ السـلاحـ.

«كـناـ قدـ اـتـفـقـنـاـ معـ الدـكـتـورـ يـزـديـ انهـ بـعـدـ نـزـولـهـ منـ الطـائـرةـ فيـ جـنيـفـ ، لاـ بـدـ أنـ يـخـبـرـ الدـكـتـورـ حـسـنـ حـبـيـبـيـ الـذـيـ يـنـتـظـرـنـاـ فيـ بـارـيسـ ، بـأنـ يـتأـهـبـ بـشـكـلـ تـامـ لـاستـقـبـالـ سـمـاحـةـ الإـمامـ منـ خـلالـ دـعـوةـ أـكـبـرـ عـدـ مـمـكـنـ منـ أـنـصـارـ سـمـاحـتـهـ وـمـحـبـيـهـ ، ليـتـجـمـعـوـاـ فيـ مـطـارـ بـارـيسـ حتـىـ يـعلـنـواـ اـحـتـجاجـهـمـ وـاعـتـراـضـهـمـ عـلـىـ سـلـطـاتـ الفـرـنـسـيـةـ إـنـ مـنـعـوـاـ سـمـاحـتـهـ مـنـ النـزـولـ مـنـ الطـائـرةـ.

«عـنـدـمـاـ حـانـ وـقـتـ الصـلاـةـ وـقـفـ سـمـاحـةـ الإـمامـ الـخـمـيـنـيـ بـكـلـ سـكـيـنـةـ وـطـمـآنـيـةـ لـلـصـلاـةـ فـيـ الطـائـرةـ وـوـقـنـاـ لـنـصـلـيـ جـمـاعـةـ خـلـفـ سـمـاحـتـهـ وـنـحـنـ قـلـقـونـ.. بـعـدـ الـانتـهـاءـ مـنـ أـدـاءـ الصـلاـةـ نـقـلـتـ لـسـمـاحـةـ الإـمامـ تـفـاصـيلـ ماـ

جرى قبل قليل إلا أن سماحته قال بكل قوة وحسم: «لا تقلق، فلن يحدث أي شيء إن شاء الله».

«بعد مرور فترة زمنية قصيرة حطت الطائرة في مطار (اورلي) بباريس، وهناك عرفنا أن عدداً آخر من الأعزاء ذهبوا إلى مطار (شارل دوغول) في ضواحي باريس ليجتمعوا هناك كما هو الحال في هذا المطار، إن حصل أي تغيير في مكان هبوط الطائرة».

«كذلك، كنا طلباً من الدكتور حسن حبيبي أن يعد بيتاً في باريس ليستقر فيه سماحة الإمام، فتم انتخاب شقة تعود للسيد غصنفريبور^(١) بعد استشارة السيد بنى صدر، وكانت الشقة تقع في محلة (كشان) في الطابق الرابع من أحد المباني وفيها ثلاثة غرف.. وقد انقضى اليوم الأول بهدوء، إلا أن اليوم الثاني شهد حضور أعداد كبيرة من أنصار الإمام ومحبيه، مما أدى إلى إزعاج الجيران، لذلك بدأنا بالتفكير في تغيير المكان، وبعد يومين انتقلنا إلى بيت صغير يعود للدكتور عسكري^(٢) في ضاحية نوفل لوشاتو».

«وفي المكان الجديد ازداد عدد القادمين من مختلف أنحاء العالم، ولم يكن هذا البيت يكفي لهذه الأعداد الكبيرة من الضيوف والجامعيين والإعلاميين، لذلك تم نصب خيمة في باحة البيت وكان ينام فيها الطلاب والضيوف القادمون غالباً من مختلف الدول الأوروبية لزيارة سماحة الإمام، كما كان سماحته يؤم المصلين ويلقي خطاباته هناك في مختلف المناسبات».

(١) الدكتور أحمد غصنفريبور من الشخصيات السياسية المناضلة قبل الثورة ومن أصدقاء الدكتور بنى صدر، وبعد انتصار الثورة أصبح نائباً في الدورة الأولى لمجلس الشورى الإسلامي عن مدينة لنجان.

(٢) الدكتور مهدي عسكري من علماء الاجتماع ومن أصدقاء الدكتور شريعتي والدكتور بنى صدر. كانت زوجته فرنسية، وهذا البيت في الواقع كان يعود لزوجته.

وأردف السيد أحمد قائلاً: «الحسن الحظ، سمعنا في نفس اليوم أن البيت المقابل لبيت السيد عسكري أخلي من ساكنيه، فسارعنا لاستئجاره وخصصناه لإقامة سماحة الإمام، وكانت مع السادة موسوي خوئييها وصدوقي وإشراقي، نام مع سماحة الإمام في المبنى ذاته حتى وصلت السيدة الوالدة من النجف الأشرف، حينها تم تخصيصه لأسرة الإمام مع باقي النساء وأفراد الأسرة.

«كذلك استأجرنا غرفة في فندق قريب لإقامة هناك. بالطبع كان كذلك نستخدم شقة محلة (كشان) لإنجاز بعض الأعمال الإدارية فضلاً عن استخدامه لإقامة الضيوف حال وصولهم باريس».

وأشار السيد أحمد إلى أنه تم تخصيص حافلة كبيرة وأربع حافلات متوسطة، لنقل الضيوف من باريس إلى نوفل لوشاًتو وبالعكس طوال اليوم.

وقد سمعت من بعض الأصدقاء أن سائق الحافلة الكبيرة كان من الشخصيات السياسية القديمة وقد اعتقل مراراً من قبل أزلام الشاه، كما أن سائقي الحافلات الأخرى كانوا إيرانيين، أحدهم طبيب جراح والآخرون من الطلبة الجامعيين.

المراقبة الخفية

كانت السيدة «مرضية دباغ»^(١) مسؤولة عن إدارة الشؤون الداخلية

(١) ولدت السيدة «مرضية حديد حجي» (دباغ) عام ١٩٣٩ م وهي من السيدات المناضلات في طريق الثورة الإسلامية، حيث بدأت نشاطها السياسي منذ عام ١٩٦٧ م واستمرت حتى انتصار الثورة الإسلامية.. بعد الانتصار أصبحت قائدة الحرس الثوري الإسلامي في محافظة همدان ومسئولة قوات تعبئة النساء فضلاً عن انتخابها من قبل أبناء الشعب عضوة في مجلس الشورى الإسلامي لثلاث دورات.

لبيت سماحة الإمام في نوفل لوشاتو، وكانت حقاً جديرة بهذه المسؤولية؛ حيث كانت تراقب الأوضاع عبر نافذة المطبخ المشرفة على الباب الخارجي والشارع المقابل، ومهمتها الرئيسية تكمن في الإشراف على الشؤون الأمنية للبيت وإعداد طعام سماحة الإمام، إلا أنها كانت تؤدي أي عمل حسب قدرتها وإمكاناتها بكل وفاء وإخلاص.. وكان سماحته في المقابل يقدر محبتها وإخلاصها ويشكّرها دائماً، وقد سمعت أن سماحة الإمام قال لها يوماً: «أيتها الأخت، اسمح لي أن أساعدك في غسل الأواني».. مما دعا السيدة «دباغ» أن تذرف الدموع بعد فقدانها السيطرة على مشاعرها.



«السيدة دباغ» والإمام الخميني (نوفل لوشاتو)

أتذكر عندما كنا في النجف الأشرف، تحدث السيد أحمد عن عدد من النساء المناضلات وكان يشيد دائمًا بسجاعتهن ويقول: «أحب أن تكوني مثل هذه السيدات المقاومات، وأن تكوني مقاومة ولا تخافي أبداً».

شعرت آنذاك أن هذه السيدة المناضلة هي واحدة من هذه النساء وقد نالت الكثير من الفضائل، ولكن على حساب الانعتاق من أهوائها النفسية وتحمل آلام الابتعاد عن زوجها وأبنائها في سبيل الإسلام والثورة.. وكانت قد رأيتها مرة في بيت الحاج السيد مصطفى في النجف الأشرف حيث جاءت إلى هناك بهدف زيارة سماحة الإمام. وأنذكر أنهم وصفوها بأنها سيدة مناضلة تركت زوجها وأبناءها من أجل دعم الفلسطينيين ومقارعة إسرائيل.

لذلك، فإن الكثير من الحوارات كانت تدور بين عدد من الأشخاص المقربين حول العمل الذي تقوم به هذه السيدة، فالبعض كان يعترض عليها بسبب تركها لأبنائها وزوجها، وأسئلة أخرى كثيرة. لذا، أعتقد أن السيدة دباغ تعتبر نموذج المرأة المسلمة الثورية، وكانت أشعر بالرضا الكامل عندما أتحدث معها ولا زلت أحمل ذكريات طيبة عنها.

لقد تحدثت السيدة «دباغ» حول ظروف حضورها في نوفل لوشاتو وقالت لي: «عندما وصل سماحة الإمام إلى فرنسا كنت حينها في لبنان، فأبلغت عن طريق مكتب الإمام موسى الصدر، أن أتصل مع الحاج مهدي عراقي^(١)، حيث كنت قد سمعت باسمه وأعرف أنه أمضى عدة سنوات من عمره في السجن، وهو بدوره كان، أيضاً، يعرفي إلى هذا

(١) للتعرف على شخصية السيد مهدي عراقي يمكن مراجعة الهامش الثاني في نهاية الفصل.

الحد.. وخلال الاتصال الهاتفي معه، طلب مني أن أسافر سريعاً إلى باريس، فلم أتأخر. وقد طلبت مبلغاً من النقود من الأصدقاء في لبنان واشتريت تذكرة طائرة وسافرت إلى باريس، ومن هناك مباشرة إلى نوفل لوشاتو..

«وحينما وصلت إلى هناك، كان سماحة الإمام قد وصل قبلي بعده أيام، فقال لي السيد عراقي: «قررت الحكومة الفرنسية أن تضع شرطية فرنسية داخل بيت السيد الإمام وسماحته رفض ذلك، فاقتصر بعض الأخوة ومنهم السيد محمد متضوري، أن نتصل بك لتقومي بهذه المهمة وتستقرى في بيت الإمام».

واردفت السيدة «دباغ» تقول: «وهكذا استقرت منذ ذلك اليوم في بيت سماحة الإمام، وقد سبقتني السيدة «سرور (توران) طليعة» زوجة الدكتور إبراهيم يزدي، في إعداد الطعام لسماحة الإمام وكانت تجلبه لسماحته، وبعد استقراري في البيت، طلبت منها أن لا تتكلف نفسها بذلك وسأتعهد بنفسي هذه المهمة».

كذلك تحدثت لي السيدة «دباغ» عن آية الله سعیدی وحضورها في دروسه، وعندها تذكرت ما قاله لي السيد أحمد في ليلة زواجنا: أرجو أن لا تصفقوا وتجنبوا التظاهر بالفرح والسرور، لأنني أخبرت أن آية الله سعیدی قد استشهد في سجون الشاه إثر التعذيب، ولم أكن حينها أعرف آية الله سعیدی كثيراً، إلا أن هذه السيدة المجاهدة، حضرت في دروسه، وقالت لي: «كنت في إحدى المرات حاضرة في درس آية الله سعیدی وقد اتصلوا به هاتفياً، وبعد أن أنهى الاتصال، أخرج آية الله سعیدی ورقة من تحت البساط الذي كان يجلس عليه، وقام بتمزيقها فوراً، ثم وجه كلامه إلينا قائلاً: هل يستطيع أي منكم أن يأخذ هذه الأشرطة معه وينسخها ويوزعها بين الناس؟.. سارعت إلى تلبية طلبه وأخذت منه

الأشرطة بشكل خفي، حتى لا يراني أحد من الحاضرين، وأنا خائفة وقلقة، وأخرجتها بسرعة من البيت.

«وفي نفس اليوم هاجم جلاوزة السافاك بيت آية الله سعیدی، وبعد تفتيش البيت بدقة ألقوا القبض عليه وأخذوه معهم إلى السجن».

كنت أحياناً أغتنم الفرص المتاحة وأطرح بعض الأسئلة على السيدة «دباغ» ولم تكن ترغب كثيراً في التحدث أصلاً، وكانت أود أن تتحدث لي عن نشاطاتها السياسية وذكرياتها عن فترة اعتقالها، ولكنها كانت تأبى ذلك. ولكنني حصلت منها على بعض التصريحات بسبب إصراري الشديد والمتواصل عليها.

تحدثت لي السيدة «دباغ» عن ذكرياتها قائلةً: «في أحد الأيام التي قضيتها في السجن، أغمي علىّ بسبب التعذيب الشديد، وبعد عدة ساعات من الإغماء أفاقت وبجانبي إحدى ضابطات السافاك التي تحدثت معي بهدوء وسألتني عن أسماء الشعراء الذين أرتبط معهم؟! ولم أفهم هدفها من طرح هذا السؤال، فسألتني ثانيةً: من هم الشعراء الذين يشرون مشاعرك؟ فأجبت: ليست لي آية علاقة مع أي شاعر ولا أعرف أيّاً منهم.. بعد ذلك أخرجت ورقة كتب عليها أبيات من الشعر وقالت: إذن لمن هذه الأشعار؟ قلت: لا أعرف، فقالت: سمعناك ترددin هذه الأشعار عندما كنت في الإغماء.. وما أن ألقيت نظرة عابرة على الأشعار إلا وحفظتها، بينما لا أتذكر أني كنت قد سمعت تلك الأشعار ولا نظمتها يوماً».

وقد طلبت من السيدة «دباغ» أن تقرأ لي تلك الأبيات الشعرية، فرددتها أمامي، بل كتبتها لي بخط يدها تلبية لطلبي بأن احتفظ بخط يدها كذكرى عزيزة.

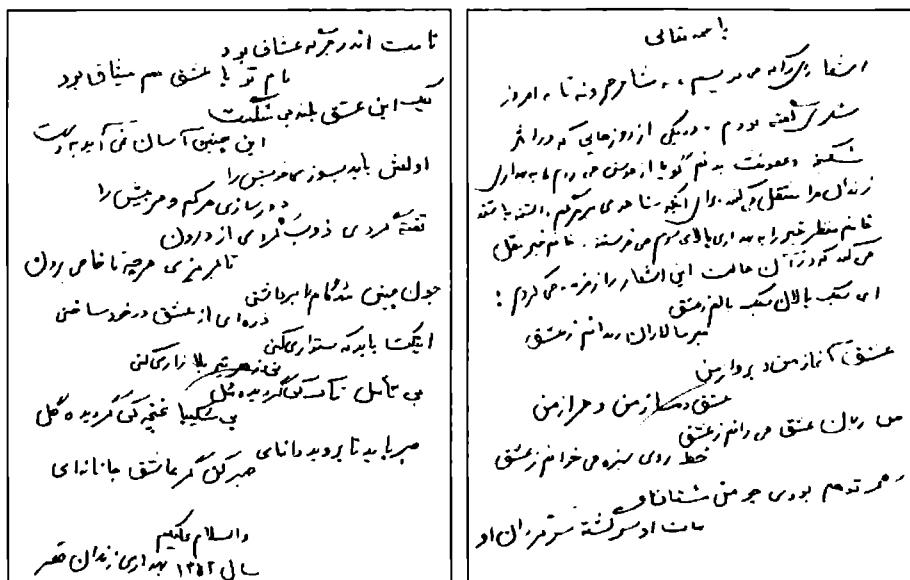


آية الله السيد سعیدی

لقد اعتادت السيدة دباغ، بذكائها وحنكتها، أن تراقب سلوك وتحركات المجموعات والشخصيات التي كانت تصل إلى نوفل لوشاتو؛ وفي إحدى الأمسيات نادت السيد أحمد وقالت له: «رأيت السيد الفلاني يتحدث مع عدد من المراسلين في أحد أركان باحة البيت بعد المؤتمر الصحفي الذي

عقده سماحة الإمام مع رجال الإعلام والصحافة، ورغم أنني لا أتقن اللغة الأجنبية التي كانوا يتحدثون بها، إلا أنني شعرت أنه يتحدث إليهم حول رأي الإمام في قضية معينة، وينسب إلى سماحته ما يؤمن به هو، فأرجو أن تتحقق في هذا الأمر للتأكد منه.. وبعد دراسة هذه القضية ومتابعتها تبين أنها صدقت في حدسها.. وبعد هذه الحادثة طلب سماحة الإمام أن يُكتب على لوحة (ليس للإمام الخميني ناطق رسمي)، وأن رأيي في آية قضية هو كلامي الذي أعبر عنه)؛ وطلب منّا أن ننسخ من تلك اللوحة ونوزعها في كل مكان.

وفي مرة أخرى وبينما كنت جالسة بجنبها هزّت السيدة دباغ رأسها وهي تقول: «حقاً أن يعيش الإنسان إلى جانب رجال عظام، فهو أمر مهم ورائع، ولا بدّ من اغتنام مثل هذه الفرصة بشكل جيد، لأن سلوكهم وقولهم، بل وحتى سكوتهم، مليء بالدروس وال عبر.. ثم قالت: «في إحدى المرات رأي سماحة الإمام، وهو يمر من أمام المطبخ، وأنا منشغلة بفتح مظروف رسائل، فسألني: هل أن هذه الرسائل تعود لي؟



صورة عن مخطوطه «السيدة دباغ»

قلت: نعم سيدي. فقال سماحته: إذن لماذا تفتحينها؟ قلت: أنا لا أنظر إلى مضمون تلك الرسائل أبداً، بل أفتح المظروف فقط ولا غير، فقال: إذاً لماذا تقومين بفتحه؟ أجبت: التزاماً بالنواحي الأمنية وتجنب حدوث أمر ما، فقال سماحته: ولهذا السبب بالذات أقول لك أن لا تقومي بهذا العمل!! قلت له: لقد تدربت على كيفية فتح مثل هذه الرسائل والالتزام بالحذر الأمني في مثل هذه الحالة، ونأمل أن لا يحدث أي مكروه، وقبل كل هذا، فإن أمة بأسرها تنتظركم، وحتى لو حدث لي أي مكروه، فلا يهم ذلك، لأن المهم أن يكون سماحتكم سليماً ولا يصبكم أي مكروه، فقال السيد الإمام: كلا، ليس الأمر بهذا الشكل؛ لأن أبناءك وأفراد أسرتك بانتظارك أيضاً.. فأرجو أن تخصصي وقتاً لتعلمكني ما تدربت عليه بهذا الشأن.

«وهكذا لقنتني سماحة الإمام دروساً في التعامل الإنساني والإسلامي، وكيفية التضامن مع الآخرين ومواساتهم، فضلاً عن ضرورة

وأهمية التعلم والاطلاع على الأمور الجديدة في أي زمان ومكان، ومهما كان موقع الإنسان ومكانته السياسية والاجتماعية».

وفي أحد الأيام سمعت أن سماحة الإمام خاطب السيدة «دباغ» بجملة جعلها تقول له بخجل وندم: «على عيني، حتماً سيكون كذلك»؛ مما جعلني أهتم كثيراً بهذا الأمر وأتابعه حتى أعرف ماذا قال سماحته لها، لم أطق الصبر كثيراً، فسألت السيدة «دباغ»: هل حدث أمر ما؟! فقالت: أجل، لقد طلبت مني إحدى السيدات المتنميات لأحد الفصائل السياسية الخاصة، يوم أمس، أن أقف إلى جانب سماحة الإمام لتلتقط صورة لي تستفيد منها إعلامياً في المستقبل؛ فقبلت فكرتها واتفقنا أن تقوم بهذه المهمة وتلتقط صورة لي مع سماحة الإمام عندما يريد الخروج من الخيمة التي اعتاد أن يصلى فيها جماعة، وأن أشغل معه في حوار ما حتى تلتقط الصورة المطلوبة.. وعندما ذهبت نحو سماحة الإمام طبقاً للاتفاق مع تلك السيدة، رفض سماحته أن يقف لأتحدث معه وخطبني قائلاً: أرجو أن تكلمي فيـي فيما بعد!! وبعد عدة دقائق، ناداني سماحته قائلاً: «هل طلب أحد منك أن تتحدىـي معي هناك؟ فقلت له وأنا خجلة ونادمة: نعم سيدـي، فقالـي: أرجـو أن تخبرـينـي بشـأنـ أيـ مهمـةـ يـكـلفـكـ بهاـ أيـ شخصـ، وـتطـلـعـينـيـ عـلـىـ ذـلـكـ مـسـبـقاـ، فـقـلـتـ لـسـماـحـتـهـ: «ـعـلـىـ عـيـنـيـ، حـتـمـاـ سـيـكـونـ كـذـلـكـ»!!.

وفي يوم آخر قالت السيدة دباغ لي: «لو بذلنا جهوداً مضنية لألف عام، فلن نتمكن أن نفهم جيداً عظمة سماحة الإمام».. ثم نقلت لي تفاصيل حادثة شراء الفاكهة، وقالـتـ: «ـعـنـدـمـاـ ذـهـبـتـ يـوـمـ اـمـسـ إـلـىـ السـوقـ، وـجـدـتـ أـنـ سـعـرـ البرـتـقالـ الـمـعـرـوضـ أـرـخصـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ فـيـ الـيـوـمـ الـذـيـ سـبـقـهـ؛ فـاشـتـرـيـتـ ضـعـفـ حاجـتـنـاـ مـنـ البرـتـقالـ وـجـلـبـتـهـ إـلـىـ

البيت حتى نستفيد منه في اليوم القادم.. وعندما شاهد سماحة الإمام ذلك خاطبني بالقول: «أيتها الأخت، هل عندنا ضيوفاليوم؟! قلت: «كلا سيدي، فقد اشتريت طبقاً للبرنامج».. وظنت أن سماحته سيفرح إن أطلع على التفاصيل، لذا قلت موضحة: «كان سعر البرتقال رخيصاً اليوم، لذلك اشتريت كذلك حاجتنا منه ليوم غد». وفجأة رأيت سماحة الإمام قد انزعج خلافاً لتوقعه، وقال: «لماذا قمت بمثل هذا العمل؟»؟ أجبت: «سيدي، كان لا بد أن نسدّد مبلغاً من المال غالباً أكثر من المبلغ الذي سددتهاليوم لشراء البرتقال».. فقال سماحته: «لا بد أن تشتري بقدر حاجتك وتسمحي للأخرين أن يشتروا البرتقال بهذا السعر الرخيص»!!.

ذكرى بدء العام الميلادي الجديد (١٩٧٩م)

مع حلول ليلة عيد ميلاد السيد المسيح (ع) والسنة الميلادية الجديدة (١٩٧٩م) سأل سماحة الإمام الأخوة من يسكنون فرنسا عن الأعراف والتقاليد المتبعة هناك في مثل هذه المناسبة؟ ثم طلب من السيدة دباغ أن تُعدّ مجموعة من الهدايا بعد أن تستشير الآخرين، ليتم تقديمها لجيران بيته في نوفل لوشاتو، بعدها قال: «أرجو أن تقدموا رسالة تهنئة^(١) من قبلي لهذه الأسر مرفقة مع باقة من الورود والهدية المعدة لهم وتعذرنا إليهم باليابا عن بسبب الإزعاج الذي حصل لهم لوجود الأعداد الكبيرة من الناس في منطقتهم، والذين

(١) أصدر سماحة الإمام الخميني بتاريخ ١٢/٢٢/١٩٧٨ بياناً هناً فيه جميع المسيحيين في العالم حلول ذكرى مولد السيد المسيح (ع)، للمزيد يمكن مراجعة الهاشم الثالث في نهاية الفصل.

زارونا خلال هذه الفترة».. بعد ذلك قام بهذه المهمة عدد من أعضاء مكتب سماحة الإمام ومنهم السيدة دباغ والصادق قطب زاده وصدوقي وموسى خوئينيها وشقيقه صادق وكذلك شارك السيد أحمد في هذه المهمة لمرة أو مرتين، وقد ترك ذلك أثراً إيجابياً ورائعاً بين سكان نوفل لوشاتو.

وخلال إحدى هذه الزيارات جرت حادثة ملفتة ومثيرة للدهشة، وهي أن رب إحدى الأسر التي زارها السيد أحمد برفقة عدد آخر من أعضاء مكتب الإمام بهذه المناسبة، اندخش للغاية من هذه الخطوة وعبر عن فرحته وسروره الشديد بسبب ذلك من خلال الطلب من زوجته أن تجلب من مخزن البيت أعتق المشروبات الكحولية التي يحتفظون بها هناك وتقديمها للضيوف، إلا أن زوجته منعه من ذلك ونبهته أن هؤلاء المسلمون ويحرمون تناول المشروبات الكحولية، فاعتذر قائلاً: «لقد كنت أعرف أن المسلمين يصلون ونساءهم يتزمن الحجاب ولكنني لم أكن أعرف أن دينكم يحرم تناول المشروبات الكحولية»!!.

انفجار بعد الضغط

في اليوم الأول لوصولي نوفل لوشاتو سمعت أن سماحة الإمام التقى الصحفي المصري المعروف محمد حسين هيكل^(١)، وانتظرت بكل لهفة حتى أعرف ما جرى خلال ذلك اللقاء.. حيث إنني كنت قد سمعت باسم السيد هيكل، وأنه صحفي معروف ويدير إحدى الصحف الواسعة الانتشار؛ وقد لفت انتباхи أجوبة سماحة الإمام على الأسئلة التي طرحت عليه.

(١) جرت تلك مقابلة الصحفية بتاريخ ٢٢/١/١٩٧٩ م، للتعرف أكثر على السيد محمد حسين هيكل يمكن مراجعة الهاشم الرابع في نهاية الفصل.



الإعلامي المصري المعروف
محمد حسنين هيكل

سأل السيد هيكل سماحة الإمام: «كيف يمكنكم مقارنة حركتكم الإسلامية الحالية مع التحرك الذي حدث خلال عصر مصدق؟ وهل تتوقعون أن تنتشر آثار تحرككم الإسلامي إلى باقي الدول؟».

أجابه الإمام الخميني: «إن تحركنا الحالي ما هو إلا نموذجاً للحركة التي شهدتها الصدر الإسلامي الأول وسيترك خلال فترة قصيرة تأثيراً عميقاً ويعيد المدى».

فأسأله: «خاض الشعب الإيراني خلال عامي ١٩٥١ و ١٩٥٠ نضالاً معروفاً ضد البريطانيين، أي ضد الاستكبار البريطاني، ما هو الفرق بين ذلك النضال والنضال الحالي للشعب الإيراني؟».

قال السيد الإمام: «إن التباين الرئيس بين تحركنا الحالي والتحرك الذي حدث خلال عصر المرحوم الدكتور مصدق هو أن ذلك التحرك كان سياسياً بحثاً، بينما كان أكثر الناس لا يعرفون شيئاً عن السياسة آنذاك، إلا أن التحرك الحالي ذو طابع ديني وأن أكثر الناس المشاركون فيه مسلمون ويحبون الإسلام. وبالتالي، فإن التحرك الحالي إسلامي - سياسي بينما التحرك السابق كان سياسياً بحثاً».

فأسأله: «هل تعتقدون أن هذا التحرك سيحقق أهدافه؟ فإيران دولة كبيرة ومصدراً للنفط، وشريطي المنطقة، والمحافظة على المصالح الإمبريالية، وعضو في الحلف العسكري الدولي؛ وتعارفون جيداً أن

أعداءكم أصبحوا الآن أكثر تجربة من السابق. صحيح إن القيادة السياسية والدينية كانت منفصلة عن بعضها البعض آنذاك (الدكتور محمد مصدق وآية الله ابوالقاسم كاشاني) بينما اليوم القيادة السياسية والدينية واحدة، ولكن ينبغي أخذ هذه النقطة المهمة بنظر الاعتبار، وهي إن أعداءكم اليوم متحدون وتتخضع المنطقة كلها لهمائهم، وأن تحرككم الحالي فاجأ أعداءكم الغربيين.. سؤالي هو: ما هو برأيكم سبب حدوث مثل هذا الأمر؟».

أجابه سماحة الإمام بكل قوة وحسم وإصرار: «إن هذه القدرة والقوة نابعة من الإسلام.. لقد نبهت السيد كاشاني آنذاك أن يهتم بالجانب الديني، ولكنه بدل أن يعمق هذا الجانب عمد إلى الاهتمام بالجانب السياسي، إنما حركتنا الحالية دينية في جميع المجالات، حيث أن الشعب الإيراني يريد الإسلام، بينما التحرك آنذاك كان من أجل النفط. لذلك، فإن هناك تفاوتاً مؤكداً بين الشعب الذي يتفضض من أجل تحقيق الربح والفوائد وبعض المصالح، والشعب الذي يتفضض في سبيل الله.. كما أن الحركة كانت مادية آنذاك والآن فإنها حركة معنوية؛ من هنا أقول إنها تشبه تماماً الصدر الإسلامي الأول. ونحن نؤمن بمناجتها وانتصارها، لأننا نقوم اليوم بأداء تكليفنا الشرعي، وهذا هو منطق الصدر الإسلامي الأول.

سأل السيد هيكل: «المراقبون الذين ينظرون لما يجري في إيران اليوم لا يمكنهم تصديق هذه الحركة العظيمة، لأنها المرة الأولى في التاريخ التي يقود فيها الزعيم مجتمعه عن بعد ويرشده في ثورته.. أين تكمن برأيكم عظمة هذا التحرك؟».

أجابه سماحة الإمام: «إن كل ضغط يؤدي إلى الانفجار، وكلما كان هذا الضغط عاماً وشاملاً، فإن الانفجار الذي يفتح عنه سيكون عاماً

و شاملًا أيضًا. فالشعب الإيراني تعرض للضغط الشامل والعام ومن كل الجهات، وقد أدرك علماء الدين المشكلة الرئيسية التي واجهت أبناء الشعب والتي أدت إلى اندلاع ثورتهم.. وأنا أفهم لغة الناس، وأعرف مؤسسات المجتمع وفصائله، وأتحدث بلغتهم، وأخاطبهم بمنطق قلبهم، وأنا مطلع على نقاط ضعف النظام البهلوi الجائر لخمسين عاماً، وأبناء الشعب كانوا في حالة انفجار، وإن الاستبداد الذي فرض عليهم أدى إلى هذا الانفجار. كما أن انتفاضة علماء الدين وتحركهم، هو الذي سبب هذا الانفجار».

وعندما سأله: «ألا تظنون أن أمريكا والجيش سيتدخلون عندما يرون أن مصالحهم تهددها الأخطار»؟! أجاب سماحته: «ربما يظنون، طبقاً لتجاربهم السابقة، أن بإمكانهم أن يشنوا هجوماً عسكرياً، ولكن ذلك لن يبقى أو يستمر أبداً، لأن الدولة التي انتفض جميع أبناء شعبها ضد الحكومة، فإن المهاجمين لن يستمروا في غيّهم ولن ينالوا أهدافهم. ولو نفذوا مثل هذا الأمر، فإنهم سيهزمون حتماً».

الإمام الخميني يعاتب علماء الأزهر

بعد انتهاء المقابلة الصحفية خاطب سماحة الإمام السيد هيكل قائلاً: «أريد أن أؤكد لك أمرين مهمين للغاية:

أولاً: «إن ثورتنا إسلامية، وهي في الواقع انتفاضة شعب مظلوم بوجه جبارين يريدون القضاء على الجميع وإيادتهم؛ ما الذي أصاب علماء الأزهر^(١) حتى يعلنوا تأييدهم للشاه ويعارضوا تحرك الشعب

(١) الأزهر هو أول مسجد شيد في مدينة القاهرة عاصمة مصر، كما أنه اسم أكبر جامعة في العالم الإسلامي، والبعض ينسب هذا الاسم إلى السيدة فاطمة الزهراء (ع).

الإيراني المسلم المظلوم؟! ما الذي ينبغي أن نفعله مع مثل هؤلاء العلماء؟».

علق السيد هيكل قائلاً: «للأسف إن علماء الأزهر يطعون أوامر الحكومة، لذلك فإن بعض الشيوخين يقولون لنا إن الدين وسيلة وأداة بيد الحكومة لتحقيق أهدافها».

إضاف سماحة الإمام:

ثانياً: «أطالبك (وانت كاتب متمن ومحترف) أن تسفر إلى إيران إن أمكن، وتحقق في هذه الجرائم التي ترتكب هناك وتراها عن كثب وسائل جميع أبناء الشعب، السياسيين، وتجار السوق، والكببة، وال فلاحين، والموظفين.. وحتى العسكريين، واستفسر عن أوضاعهم ومشاكلهم. بل وأدعوك أن تؤلف كتاباً عن إيران».

الفندق والقساؤة المسلمين !!

بالقرب من مقر إقامة الإمام الخميني في نوفل لوشاتو، كان هناك فندق صغير تملكه امرأة عجوز، حيث كانت جميع غرفه مؤجرة من قبل الإيرانيين خلال تلك الأيام؛ وكانت تقول: «أنا مسروقة جداً لأن جميع غرف فندقي محجوزة، بل إن أغلبها يقطنها (القساؤة المسلمين)!!.

ولكنها كانت متزعجة فقط لأنها لا تستطيع أن تسيطر على حركة ذهاب ومجيء ساكني الفندق أو تنظم ذلك، وكانت دائماً تبحث عبثاً عن طريق حل لذلك، ولكنها اضطرت أخيراً أن تقبل بالوضع الموجود.

في الطابق العلوي للفندق كانت توجد غرفتان صغيرتان وغرفة كبيرة يعلوها سقف بشكل رقم ثمانية؛ وكان السيد أحمد برفقة السادة صدوقي وموسوى خوئينيها وحسين الخميني وخمسة آخرين، يقيمون في

تلك الغرف فضلاً عن استضافتهم لسادة آخرين مثل السادة مطهري وموسوى أردبيلي^(١) وبهشتى والمهندس بازركان وغيرهم، والمشكلة الرئيسية في تلك الغرف هو سقفها القصير حيث إن ساكنى تلك الغرف كان لا بدّ أن يحذروا دائمًا خلال الوقوف حتى لا تمس رؤوسهم السقف ويتأذوا بسبب ذلك.

وقد ذهبت في أحد الأيام لذلك الفندق لأتفقد السيدة لاهوتى التي كانت تقيم مع زوجها في إحدى الغرف وشاهدت ذلك عن كثب، ومع أنى كنت أعرف تلك المشكلة إلا أن رأسي لمس السقف بشدة حينما أرددت الوقوف.

كان السيد لاهوتى يقول: «أنا من شمال إيران ولا يمكنني أن اتخلى عن تناول الأرض واكتفي بتناول البطاطا والخبز الفرنسي».. لذلك كان قد اشتري مقداراً من الأرض، وكانت زوجته تطبخه له في الغرفة ذاتها، رغم قلة الإمكانيات، وتحلله مع البطاطا أو الطماطم وغيرها من الخضار، وقد استضافتني أنا والسيد أحمد في إحدى المرات وأعدت لنا وجبة طعام لذبحة.

وكان بعض المقربين والأصدقاء الذين زاروا الفندق وشاهدوا عن كثب الأوضاع غير المناسبة السائدة فيه، قد انتقدوا ذلك، ولكن ما الحل؟ ولا بدّ أن يتحملوا ذلك.

(١) ولد آية الله ميركريم (عبد الكريم) موسوى أردبيلي عام ١٩٢٥ م في مدينة أردبيل (شمال غرب إيران)، وكان متشارلاً في التدريس والتأليف قبل انتصار الثورة الإسلامية، وبعد الانتصار أصبح عضواً في مجلس قيادة الثورة ومجلس خبراء الدستور الإسلامي ورئيساً لديوان القضاء الأعلى وكذلك عضواً في لجنة مراجعة الدستور الإسلامي.

نقل لي السيد موسوي خوئينيها أنه كان في الفندق مطعم صغير يرتاده أحياناً المسافرون الذين يمرون بسرعة على الفندق ويتناولون الطعام والشراب هناك.

وبسبب تقديم المشروبات الكحولية، فقد حرمنا على أنفسنا تناول وجبة الإفطار فيه ولم نكن نرتاده أبداً، إلى أن وصل آية الله الدكتور بهشتى إلى نوفل لوشاتو لزيارة سماحة الإمام واستقر في إحدى غرف الفندق.. وأضاف قائلاً: «في أحد الأيام بعد أن استيقظنا من النوم رأيت السيد بهشتى في طريقه لذلك المطعم لتناول الإفطار، فأخبرته أننا لا نذهب إلى هناك لأنه يقدم المشروبات الكحولية لمرتاديها، فسألني ولماذا؟ قلت له لأنه بالتالي نجس وغير طاهر. ولكنني قال: ما دامت الأواني والكؤوس تغسل من خلال جهاز الغسيل والعامل يرتدى الكفوف الخاصة، فليس هناك دليل على عدم طهارة الأواني أو نجاستها».

آية الله كمياني !!

شهدت في تلك الأيام وصول أعداد غفيرة من الناس القادمين من مختلف دول العالم لزيارة سماحة الإمام في نوفل لوشاتو، وكانوا يقولون: «عندما نصل إلى الحدود الفرنسية، فإن شرطة الحدود يرحبون بنا ويقولون: (آية الله كمياني)! ويرشدونا للوصول إلى نوفل لوشاتو».. والبعض الآخر كان يقول: «عندما نركب سيارات الأجرة في باريس، ما أن يعرف السائق أننا إيرانيون يسألنا: هل تريدون الذهاب إلى نوفل لوشاتو؟.. وأنا أيضاً مررت بمثل هذه التجربة، حيث كنت أعبر يوماً من أحد الشوارع في باريس، وكان الزي الذي نلبسه يلفت بعض المارة، فاقتربوا مني وعبروا عن محبتهم لآية الله الخميني ببعض العبارات والابتسامات.

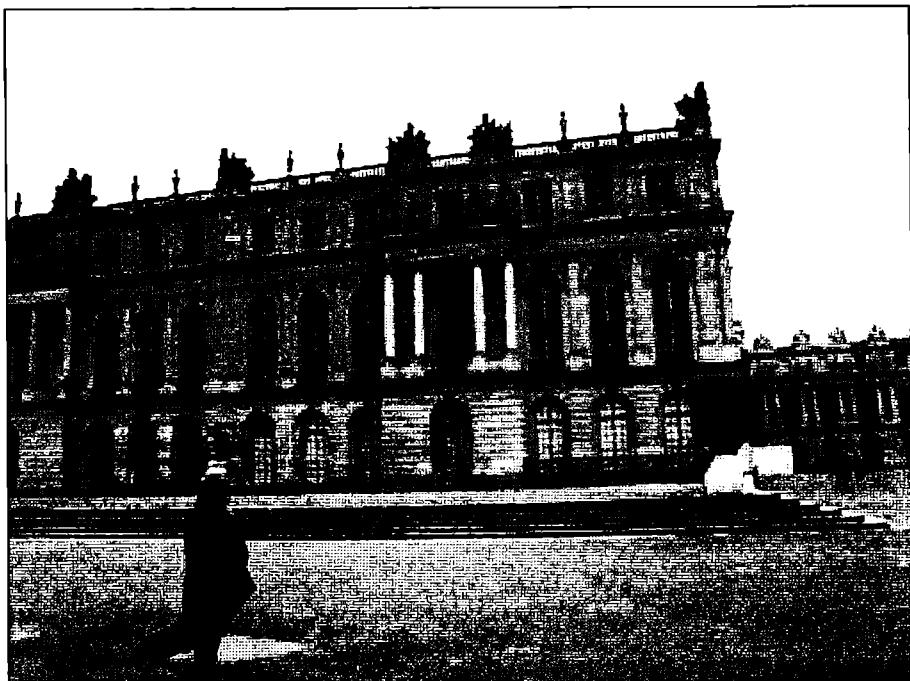
لقاءاتي في فرنسا

قررنا في أحد الأيام أن نزور برفقة عدد من الضيوف قصر (فرساي)^(١) القريب من نوفل لوشاتو؛ وقد طلت من السيد أحمد أن يرافقنا في هذه الزيارة وقيلَ الفكرة، ولكن قبل الانطلاق أُخِيرَ أن ضيوفاً قادمين من مختلف دول العالم لزيارة سماحة الإمام، ولا بدّ له أن يكون حاضراً في اللقاء، لذا اعتذر عن مرافقتنا.

اضطاعت السيدة «رهيدة شفيق» زوجة الدكتور حسن حبيبي بمهمة الدليل والمرشد لنا خلال هذه الزيارة، وقد تجولنا في القصر والمتحف خلال ساعة واحدة، بينما كان من المفروض أن نقضي عدة ساعات للتجول في أنحاء القصر، فقلت لزميلاتي المرافقات لي مازحة: «نرجو من الله قبول هذا القدر من الجهد والتجول في المتحف بهذه السرعة وكأننا قضينا ديننا إزاء هذا المعلم التاريخي».

وقد شعرت حينها أن رؤيةشيخ كهل يجلس على بساط متواضع في غرفة صغيرة في إحدى ضواحي باريس، واسمه يهز أركان القوى العظمى وهو يتسلح بقدرة الله الأزلية ويهزاً في المقابل بمظاهر القوة المادية الخاوية المحاطة به، أفضل بالنسبة لي وأكثر جاذبية من رؤية آثار الماضين، رغم أن ذلك أمر مطلوب في وقته ومكانه.

(١) قصر فرساي هو في الواقع مجموعة قصور تقع في مدينة فرساي بالقرب من باريس. وقد شهد هذا القصر حادثة التوقيع على معاهدة فرساي التي بمحبها انتهت الحرب العالمية الأولى. النقطة الملفتة في هذا المتحف هو عدم وجود مرافق صحية وحمامات. وعندما سألهنهم إذن كيف كانوا يستحمون عند الحاجة قالوا: كانوا يأخذون الملكة وأفراد حاشيتها مرة في عدة أشهر إلى منطقة بالقرب من مدينة كولن في ألمانيا وفيها عين ماء معطر من أجل الاستحمام والنظافة، لذلك شيدت هناك مصانع للعطور تطورت تدريجياً وأصبحت تتبع أفضل العطور العالمية.



المؤلفة في قصر فرساي

وكنا أحياناً نذهب مساءً برفقة والدي إلى بيت خالي في باريس^(١) حيث كانت تتوفر هناك فرصة جيدة للقاء والدي والجلوس معه أكبر وقت ممكناً.

قلت في إحدى المرات، لابن خالي الأكبر صدرى (صدر الدين) إني أود رؤية برج إيفل عن قرب، فأخذنى إلى منطقة البرج. ولكن بسبب البرد القارص وتساقط الثلوج، كان البرج مغلقاً لعدم إمكانية استخدام المصعد الكهربائي مما حال دون الصعود إلى أعلى البرج.

في إحدى الأمسيات وصل السيد أحمد برفقة السادة صدوفي وموسى خوئينيها ولاهوتي وأخرين، إلى بيت خالي في باريس لزيارة

(١) كان أبناء خالي الإمام موسى الصدر يدرسون في باريس، حيث كانت زوجة خالي السيدة بروين قد وصلت باريس لزيارة أبنائهما.



والدي السيد طباطبائي

والدي، وفجأة شعروا أن ورقة رميت في القمامنة التي أخرجت من البيت، فهرعوا للبحث عنها في المخزن الرئيس للقمامنة، فوجدوها وسط تعجب العامل واندهاشه بسبب اهتمامهم بالورقة المفقودة.

وكانت الأيام تمر بهذا الشكل، وبدأ بعض الضيوف بالتفكير في العودة إلى إيران أو البلدان التي قدموا منها؛ وفي أحد الأيام قالت السيدة أم أحمد لي: «ليس لدينا اليوم برنامجاً خاصاً أو موعداً للقاء مع الضيوف، فإن رغبت يمكنك أن تؤمّني ياسر عندي وترافقني أبناء أخت سماحة الإمام للتجول في باريس والتسوق من هناك قبل عودتهم إلى إيران».

رحبُت باقتراح السيدة أم أحمد بكل سرور وانطلقتنا بعد الظهر إلى باريس حيث تجولنا في شارع الشانزليزيه^(١) وشاهدنا المحلات المنتشرة على جانبيه، فضلاً عن التجوّل في الشوارع الفرعية وتسوق الضيوف ما رأوه مناسباً قبل التوجه إلى المطار.. وقبل مغادرتنا المكان، طلب مني أحد الضيوف أن أشتري لأسرته مجموعة من الهدايا ليأخذها معه عند عودته إلى إيران، وكانت المهمة صعبة بالنسبة لي لتفاوت الأذواق

(١) شارع الشانزليزيه من أشهر شوارع العالم وأجملها وفيه أضخم المحلات التجارية وأحدثها ويعتبره الفرنسيون أجمل شارع العالم.

والاهتمامات، ولعدم معرفتي تالياً، بالقياسات والأحجام المطلوبة. ولكن على كل حال أظن أنني وُفقت في هذه المهمة.

مسيرات في نوفل لوشاتو

اعتماد السيد هادي غفارى نجل آية الله الشهيد حسين غفارى^(١)، أن ينظم مسيرات في نوفل لوشاتو في مختلف المناسبات، وكانت بعض هذه المسيرات لا يستغرق الاستعداد لها سوى عدة ساعات، وكان السيد غفارى بارعاً في هذه المهمة وفي تنظيم صفوف الإيرانيين المتواجددين في نوفل لوشاتو، ليتظاهرؤ هناك تضامناً مع المتظاهرين في شوارع طهران وبباقي المدن الإيرانية، وكان يؤمن فعلاً بأهمية الصرخات الغاضبة للشعب الإيراني المظلوم وتأثيرها الأكبر من الرصاص.. وخلال فترة وجيزة يمتليء الشارع الرئيسي في ضاحية نوفل لوشاتو، وكانت أشارك في هذه المسيرات وأنا أحضرن ياسر رغم شدة البرد، وكان البعض من الأصدقاء ينصحونني أن أشتري له عربة حتى لا يتعبني كثيراً، إلا أنني لم أكن أرى ضرورة ذلك، باعتبار أننا لن نبقى هنا سوى عدة أيام، كما أن البعض كان يساعدني في هذه المهمة.

وخلال تلك المسيرات كنت أرى، أحياناً، عدداً من العجران الفرنسيين يعربون بمختلف الأشكال والحركات والعلامات عن سرورهم لتحول ضاحيتها إلى مركز مهم، وعلى رأس اهتمامات العالم، وتصدرهم لأخبار أهم القنوات العالمية.

(١) آية الله الشهيد حسين غفارى (١٩١٤ - ١٩٧٤ م) من أبرز المجاهدين المسلمين، وقد ألقى القبض عليه من قبل السافاك بعد إلقاء خطاب ثوري في الرابع من حزيران عام ١٩٦٣ ضد المصادقة على لائحة الجمعيات الإدارية. للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهاشم الرابع في نهاية الفصل.



من اليمين: السيدات نعيمة اشرافي، توران طبیعة، جارتنا الفرنسية، زهرا اشرافي، المؤلفة، علي اشرافي والسيد حسن الخميني

أتذكر أن إحدى الشابات الفرنسيات قالت آنذاك: «منذ أن وصل (آية الله كمیني) إلى فرنسا وأصبحت أخباره ونشاطاته المضورة في نوفل لوشاتو على رأس النشرات الإخبارية العالمية، فإن البابا عمد إلى القيام برحلات خارج الفاتيكان حتى لا يبدو متأخراً في التركيز الإعلامي»!!.

المركز الخبري في نوفل لوشاتو

تميزت تلك الأيام بالنشاط والحركة المستمرة حيث كان الجميع يتناقل الأخبار والتقارير التي تصل إلى نوفل لوشاتو، ويتحير المستمع أيّ منها يصدقه، وما هي الأخبار الموثقة ويفصلها عن الاحتمالات والتوقعات، ولكن المهم في الأمر هو الاتصال السريع مع إيران وإيصال خطابات سماحة الإمام وكلامه إلى طهران وباقی المدن بشكل سريع

وانتشارها بين الناس، وبالتالي معرفة مدى تأثيرها على أبناء الشعب ونقل ذلك إلى سماحته.

وهكذا، فإن هذه الضاحية الصغيرة تحولت إلى مركز حر للإعلام السياسي للثورة الإسلامية، حيث كان المراسلون والمصورون الفرنسيون وغيرهم يأتون يومياً إلى نوفل لوشاتو، ويعدون التقارير المصورة لتثبت عبر قنوات التلفزة الفرنسية وغيرها من القنوات.

وفي أحد الأيام كان نجلي حسن يلعب كرة القدم مع عدد آخر من الأطفال في أرض بالقرب من البيت، وقد بادر أحد المراسلين بتصوير الأطفال وهم منشغلين باللعب، وتم بث الفيلم إلى جانب الأخبار المرتبطة بسماحة الإمام في نوفل لوشاتو، وقد ترك ذلك تأثيراً إيجابياً بين الجميع، لا سيما اليافعين والشباب.



الإمام الخميني في نوفل لوشاتو

كما أن الأجواء السائدة في مكتب سماحة الإمام، حيث يتجمع المراسلون والضيوف ورجال الإعلام، كانت دائماً مليئة بالنشاط والحركة، لا سيما عندما كان سماحته يغادر محل إقامته ويعبر الشارع إلى الجهة الأخرى، حيث مكتبه ومحل استقرار الضيوف والمراسلين الذين يسعون حثيثاً للتقارب منه.

سمعنا في أحد الأيام أن الموظفين في أنحاء إيران لبوا نداء سماحة الإمام ولم يلتحقوا بدوائرهم، والكسبة امتنعوا عن فتح محلاتهم وشاركوا في المظاهرات.. وقد أحيا سماحته فيهم مرة أخرى الأمل بالنصر بكل جرأة وشجاعة وثقة بالنفس، وأكده لهم أنهم يمتلكون القوة الكافية لتغيير مصير البلاد والعباد وينقذوا، وبالتالي، دولتهم ويستلموا زمام الأمور ويقرروا مصيرهم بأنفسهم دون الاهتمام بالفوضى غير المجدية.

في أحد الأيام دخل أحد الصحفيين برفقة الدكتور يزدي ، مقر إقامة سماحة الإمام إلا أن سماحته رفض الإجابة على أسئلته، فاندهش هذا الصحفي وانزعج بشدة. وبعد أن غادر نوبل لوشاتو التقى بأية الله السيد محمد بجنوردی في باريس وخاطبه قائلاً: «إن المسؤول الأمني في مكتب الإمام ذكي جداً». فسألته: «ولماذا؟» فأجاب الصحفي: «لأنني لم أكن صحفياً، بل أحمل هوية صحفي من إحدى وكالات الأنباء، حيث كنت مكلفاً أن أسأل الإمام حول قضية معينة، إلا أن المسؤول الأمني في المكتب يبدو أنه كشف هذا الأمر وأخبر آية الله الخميني بذلك». فأخبره آية الله بجنوردی أنه لا وجود لمثل هذا المسؤول في مكتب سماحة الإمام، بل إن فطنة الإمام وحكمته لعبت الدور الرئيس في ذلك.

لقد شاهدنا الكثير من الشخصيات قدمت في تلك الأيام إلى نوبل لوشاتو، ولم نكن نعرف سابقاً إلا أسماءها، وكنا نُسَرِّعُ عندما نراها هناك، وكانت جموع القادمين إلى نوبل لوشاتو حاشدة وتؤدي إلى ازدحام شديد بالسيارات التي كانت تقل هؤلاء الزوار إلى المنطقة. وكنا ننزل إلى الشارع لمشاهدة تلك الحشود القادمة، وتنضم إلينا بنات الجيران من الفرنسيات متعجبات من قドوم هذه الأعداد الكبيرة من الناس لزيارة شخص واحد.

التحرك بين الخوف والرجاء

كنت أحياناً إلى جانب كل هذه البرامج والنشاطات، أشتاق إلى السيد أحمد بحيث كنت أشعر بضيق الصدر أحياناً، إذ لم تكن توفر له فرصة ليجلس معنا أكثر وتبادل الأحاديث. كان دائم التحرك والتنقل بين المكتب والبيت، فخاطبته يوماً: «إن تنقلك هذا المستمر أشبه بالتنقل بين الصفا والمروءة، وأنا اعتبره نوعاً من العبادة، لأنك لا تتوقف عن التحرك بين الخوف والرجاء.. لكن ذلك لا يحول دون الاستيقاظ إليك.. وأنا أنتظر منك أن تفكّر قليلاً بي وبأولادي؛ فأرجو أن تعاملنا كما تعامل الضيوف القادمين إليكم وتقضى بعض الوقت معنا».. إلا أنه غادرنا مودعاً بنظرة عميقه وودودة تضمر الكثير من المعانى.. وبعد فترة من الوقت يبدو أنه تأثر بكلامي وعاد إلينا ومكث عندنا لفترة من الوقت وشرينا الشاي معاً، وأشار خلال الحديث معه إلى ظروف العمل والأجواء السائدة هناك والأوضاع غير المتوازنة، لا سيما بشأن الاختلاف الموجود بين بعض الشخصيات والفصائل المجاهدة والمناضلة، وابدى شكوكاً منهم بالقول: «منذ وصولي إلى نوفل لوشاتو عرفت أن هناك اختلافاً فكريًا جاداً بين الأصدقاء والزملاء، حيث أن طلاب العلوم الدينية لا يقبلون، غالباً، بالشخصيات والعناصر المقيمة في أوروبا وأميركا. وهؤلاء في المقابل، لا يقبلون بآراء وعقائد الطلبة. وسعيت ولا زلت أسعى، للتقرير بينهم. وكذلك أنقل آرائهم إلى سماحة الإمام». وأعطي مثلاً: «في إحدى المرات ذهبت متأخراً قليلاً إلى المكتب، فرأيتهم قد اختلفوا حول أعضاء الحكومة المحتملة!!.. في حين رأيت الصحفيين والمصورين يترصدون الجميع للحصول على أخبار خاصة ليستغلواها في تعميق الخلافات أو الانفراد بخبر وتحليل خاص بهم، فإن لم نتبه للأوضاع، فإنهم سينشرون تحليلات البعض على أنها

أخبار خاصة، أو أنهم ينسبون بعض الأمور لسماحة الإمام وهو منها براء. على كل حال أنا، أيضاً، أشتق دائمًا لكم وأحب أن أجلس معكم واحتضن ياسر، ولكن ما العمل؟ يبدو أن مصيرنا قد قدر بهذا الشكل»...

بعد أن استمعت إلى كلامه ضاق صدري أكثر، وشعرت أنه يتحمل مسؤوليات خطيرة. وبعد أن غادر لمتابعة عمله، لم أجد سوى الدموع ترجمة لهذا الضيق، فبكيت.

الأجواء السائدة في نوفل لوشا تو

منذ الأسبوع الثاني لوصول سماحة الإمام إلى نوفل لوشا تو، ووصول الحاج مهدي عراقي، أنيطت له مهمة إدارة مكان ومحل استقرار سماحته. وكان الضيوف القادمون إلى نوفل لوشا تو يُستقبلون بحفاوة وبساطة من خلال قطعة خبز وبيبة مسلوقة، وأحياناً قليلاً من البطاطا

والطماظم وكأس شاي.. فقد سأله أحد الصحفيين سماحة الإمام يوماً قائلاً: «هل إن للبيض في دينكم خاصية معينة بحيث توصون بتقديمه لضيوفكم»؟ فسألته سماحته مستفسراً: «وكيف ذلك»؟ فأجابه: «سمعت أنكم تقدمون لكل زائر بيضة واحدة»!!.



الإمام الخميني وال الحاج مهدي عراقي

ذلك تم ابتكار وجبة جديدة من قبل أحد السادة وهي حساء يعد من بيض الدجاج بدل

اللحم، وكانت أخبار هذه الوجبة تتناقل عبر الألسن حتى داصل إيران.

فقد أعد أحد السادة كمية من اللحم وحولها إلى وجبة طعام لذيدة. وعندما سمع السيد أحمد بهذا الخبر خاطب الحاج مهدي عراقي مازحاً بالقول: «سمعت أن انقلاباً نفذ ضدك مساء أمس، فقد تم إعداد وجبة طعام متفاوتة مع البرنامج الثابت المعد؛ مما استلزم أن يبحث الحاج مهدي عراقي عن مصدر موثق ليعد من خلاله اللحم الحلال.. وفي أحد الأيام تم شراء خروف وذبح في أحد الحقول المحيطة بالمنطقة وأعدّ منه وجبة طعام وحساء باللحم وقدم منه إلى سماحة الإمام، إلا أن سماحته سأله عن مصدر اللحم المستخدم فيه، فشرح الحاج مهدي عراقي تفاصيل ذلك، فرفض سماحته تناول الطعام قائلاً: «إن عملكم مخالف لقوانين الحكومة الفرنسية، فارجو أن لا تكرروا ذلك». وقد جرى نفس الأمر في مرة أخرى عندما تم شراء عدد من الدجاج الحي وذبحه هناك، وكان رد فعل سماحة الإمام مماثلاً للمرة الأولى، مما جعل الحاج مهدي عراقي يفكر بشكل جاد بشراء اللحم اللازم لإعداد وجبات الطعام من متاجر المغاربة المسلمين في باريس.

الشعب الأميركي هو المعيار

دأب سماحة الإمام خلال تلك الأيام، على دعوة جميع أصحاب القلم والرأي لتأليف كتب حول إيران؛ ففي أحد الأيام التقى سماحته الباحث الأميركي المعروف ريتشارد كاتم^(١)، وهو استاذ العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية، وقد وصف البعض هذا اللقاء بال مهم جداً،

(١) السيد ريتشارد كاتم استاذ العلوم السياسية في جامعة (بيترز بورغ) الأميركيه والباحث في القضايا الإيرانية، وكان آنذاك قد مر على باريس في طريقه إلى إيران حيث التقى سماحة الإمام في نوفل لوشاتو بتاريخ ٢٧/١٠/١٩٧٨ م.

وكانوا يقولون إن هذا الباحث له أبحاث ودراسات عديدة حول الإسلام وتاريخ إيران؛ وكان قد أخبر أنه سيسافر إلى إيران للقيام بدراسات ميدانية دقيقة حول الأوضاع السائدة هناك.

وقد وصف سماحة الإمام، خلال لقائه السيد كاتم، الدراسات والابحاث التي انجزها حول إيران بالقيمة، ومخاطبه قائلاً: «لا بد أن تعرفوا أن شعبنا لا يكن عداءً للشعب الأميركي، بل إن رؤساء جمهوريتكم هم الذين دعموا ولا زالوا يدعمون شخصاً مخالفًا لحقوق الإنسان وغير ملتزم بالمقررات والموازين الإنسانية». وتتابع: «لا أرغب أن يحسب شعبنا للأعمال التي يقوم بها كارتر على الشعب الأميركي، فكارتر سيرحل ولكن الشعب الأميركي هو المعيار والميزان، وأنتم خلال رحلتكم إلى إيران، ستشاهدون عن كثب خيانات الشاه والمجازر التي يرتكبها جلاوزته ضد الشعب الإيراني البريء.. إن الأعمال التي يقوم بها كارتر ستجعل شعبنا يسيء الظن بالشعب الأميركي، فلا بد أن تفكروا بطريق حل مناسبة وتحذّروا الحكومة الأميركيّة، فنحن نطالب بأن يعيش جميع أبناء البشر بسلام وهدوء وسكينة، وأعتقد أن نتيجة دراساتكم وتحقيقاتكم في إيران، ستُجمع في كتاب ضخم.. بل ستتشكل رسالة ألم وغم وهم طويلة».

النقطة الملفتة في الأسئلة التي طرحتها السيد كاتم على سماحة الإمام، هي سؤاله سماحته: «هل أنكم مطلعون على قوتكم ومحبوبتكم بين الناس؟» فأجابه سماحة الإمام، بكل تواضع وهدوء قائلاً: «ينبغي عليك أن تبحث عن جواب سؤالك في الدين وجانبه المعنوي، لأن القوة هي للدين الذي يفوق كل أنواع القوة الأخرى، حيث إن اعتمادنا هو على الله».

وواصل السيد كاتم طرح أسئلته على سماحة الإمام، ومنها قوله:

«إنكم خلافاً لبعض السياسيين في إيران لا ترون قوة كبيرة لأميركا في بلادكم، ما السبب في ذلك؟» فقال سماحته: «إن الشعب الذي يعتمد على الله سبحانه وتعالى لا يخشى أية قوة أخرى».

رجل الدين المسيحي

اعتماد سماحة الإمام خلال لقاءاته مع الأشخاص والوفود الأجنبية، على الإشارة لمختلف الجرائم التي ارتكبها الشاه ودعم الحكومة الأمريكية له، وكان يقول: «إن شعبنا يعتبر الحكومة الأمريكية العامل الرئيسي وراء جرائم الشاه، إن جميع مشاكلنا ناتجة عن التدخل الأميركي ودعم أميركا لشاه إيران».

كذلك جرت العادة بعد كل لقاء أو مقابلة صحفية يجريها سماحة الإمام، أن يتم الحوار وتبادل الرأي وإعطاء التحليلات المختلفة حول تصريحات سماحته.. فمثلاً أشتد النقاش والباحث بعد لقاء سماحة الإمام مع أحد رجال الدين والباحثين المسيحيين الذي جرى خلاله الحوار الآتي:

سأل الباحث المسيحي عن نوع الحكومة التي يسعى لإيجادها في إيران، أجابه سماحة الإمام: «إن حكومتنا ستكون استناداً للإسلام». فسألته: «ستواجهون قضايا جديدة في عالمنا المعاصر لم تكن مطروحة في زمن النبي محمد (ص)، كيف ستتعاملون معها؟»؟ أجاب سماحته: «إن هدف الحكومة الإسلامية تحقيق مصلحة المجتمع والأمة الإسلامية، لذا فإن الأحكام تتغير طبقاً لمصلحة الناس والمجتمع، فالإسلام أجاز للفقهاء والمجتهدين إصدار أحكام جديدة حسب الضرورة».

وهكذا، فإن أجوبة سماحته كانت ملفتة ومفاجئة لهذا الباحث

البريطاني، كما أنها أثارت بينما حوارات حول المصلحة وتغيير الأحكام وكيفية ذلك، بالأخص كيف يمكن لبعض الأحكام أن تتغير مع تغيير الموضوع والزمان والمكان وغيرها.

ومن الأمور التي كانت تطرح غالباً، وبأشكال مختلفة خلال لقاءات سماحة الإمام، هو وجود قلق جاد بشأن خطر أن يحل الاتحاد السوفيتي محل الهيمنة الأميركيّة في إيران، فكان سماحته يجيب بكل صراحة: «إن إيران لن تقع أبداً بأيدي الروس».. كما أن سماحته أجاب مراسل مجلة (تايم) الأميركيّة^(١) قائلاً: «إن الشعب الذي طرد أميركا من إيران بكل فخر واعتزاز، وإصرار إسلامي، فإنه وبينفس الفخر والإصرار والقوة، لن يسمح للاتحاد السوفيتي أو أيّة دولة أخرى، أن تتغلغل في إيران».

تعيين اللجنة الخامسة

تعتبر عملية استخراج النفط من القضايا الحيوية والمهمة في إيران آنذاك، فقد أدى إضراب العاملين في شركة النفط الوطنية والتحاقهم بالإضراب العام والمتظاهرين الثوريين، إلى خلق مشاكل جادة لنظام الشاه، وكانوا يسعون لممارسة أعمالهم إلى الحد الذي يؤمنون من خلاله حاجة البلاد لهذه المادة الحيوية ومشتقاتها.

وقد سمعت أن سماحة الإمام أصدر حكمآ آنذاك بتكليف لجنة برئاسة المهندس مهدي بازركان للإشراف على إنتاج وتوزيع النفط في البلاد^(٢). بالطبع، فإن انتخاب هذه اللجنة في ذلك الوقت، حيث كانت

(١) أجريت هذه مقابلة صحافية بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٧٨ م.

(٢) أصدر سماحة الإمام هذا الحكم بتاريخ ٣٠/١٢/١٩٧٨ م.

حكومة الشاه تسيطر على البلاد، وهي تعتمد بشكل رئيسي على الصناعة النفطية، كان خطوة جريئة ومدهشة للجميع، كما أن نظام الشاه بدوره كان يسعى، من خلال استخدام الضغط والقوة، للحؤول دون توزيع المشتقات النفطية في البلاد، فضلاً عن سعيه من جانب آخر، ومن خلال الضغط والتخييف والتهديد كذلك، إلى اختراق صنوف المضاربين وإفساد إضرابهم وبالتالي مواصلة تصدير النفط إلى الخارج.

ومن أجل الحؤول دون تصدير النفط الإيراني إلى الخارج، وفي المقابل تأمين حاجة الناس للمشتقات النفطية، أصدر سماحة الإمام حكماً للمهندس مهدي بازركان ليترأس لجنة خماسية تتكون من السيدين هاشمي رفسنجاني والمهندس مصطفى كتيرائي واثنين آخرين يتم انتخابهما من قبلهم للإشراف على الشؤون المتعلقة باستخراج النفط وتأمين الحاجة الداخلية لمشتقاته، كما ومنع تصديره إلى الخارج، وذلك بالتعاون مع العاملين في قطاع الصناعة النفطية. كما أن سماحته ضمن نص الحكم الإشارة إلى عدد من النقاط الرئيسية والمهمة في هذا المجال.

وكان سماحة الإمام يشير في خطاباته أحياناً إلى نقاط مهمة تشير علامات الاستفهام أمام البعض، فمثلاً عندما أكد سماحته أمام عدد من الصحفيين والمراسلين، بكل صراحة، أن الحكومة القادمة ستقطع علاقاتها مع إسرائيل والصهاينة ونظام جنوب أفريقيا العنصري، أشاعوا أن إيران تريد قطع علاقاتها مع جميع دول العالم، بينما أكد سماحة الإمام في تلك المقابلة، أننا نريد علاقات حسنة مع جميع الدول والحكومات في العالم^(١).

(١) أجريت هذه المقابلة مع مراسل الإذاعة والتلفزة البريطانية (بي بي سي) بتاريخ ٤/١٩٧٩ م، وقد أوضح سماحة الإمام في تلك المقابلة أسباب قطع العلاقة مع

الجمهورية الإسلامية

في إحدى المقابلات الصحفية أعلن سماحة الإمام الخميني «إن هدفنا هو تأسيس الجمهورية الإسلامية، وأنا متأكد أننا سنحقق هذا الهدف في المستقبل القريب^(١)».

بعض الحاضرين الذين سمعوا كلام السيد الإمام فرحوا كثيراً لما سمعوه، لأنهم كانوا يعتقدون أن سماحته لم ولن يعد بشيء لا يمكن تحقيقه.

وفي اليوم ذاته أصدر سماحة الإمام بياناً للشعب الإيراني دعاهم فيه لمواصلة الجهاد وحذرهم من الغفلة ولو للحظة «لأن أي تغافل سيؤدي إلى التفريط بالدماء الزكية التي قدمت في طريق الإسلام والحرية»، كما صرخ سماحته في البيان أن النظام الملكي ومجلسى الشورى والأعيان غير قانونيين.

والحادث المهم الآخر الذي تناقله الجميع آنذاك، أن سماحة الإمام أعلن، باعتباره مرجع دين، إن طاعة النظام الحاكم حرام وهي بمثابة طاعة الطاغوت.

كذلك طلب من الموظفين أن لا يسمحوا للوزراء الفاسدين وغير القانونيين، أن يدخلوا إلى مباني الوزارات، وأن طاعة هؤلاء تعني مخالفبة الإسلام والشعب.

= هاتين الحكومتين، كما رأينا أن حكومة الجمهورية الإسلامية أعادت علاقاتها مع دولة جنوب أفريقيا بعد سقوط الحكومة العنصرية فيها ووسعتها في كافة المجالات.

(١) أجريت هذه المقابلة بتاريخ ١٥/١/١٩٧٩ مع مراسل الإذاعة والتلفزة الألمانية القناة الأولى.

كما أنه دعا أبناء الشعب إلى العمل على تضييف الحكومة من خلال عدم تسديد الضرائب لها. وأوصى من جانب آخر الكسبة أن ينصفوا الناس عند بيعهم المواد الغذائية حتى لا يتتحملوا ضغطاً كبيراً في حياتهم اليومية. كذلك سمح لعلماء الدين مساعدة العمال والمتضررين بسبب الإضرابات من خلال الاستفادة من الوجوه والأموال الشرعية التي بحوزتهم.

كما أعلن سماحة الإمام في مقابلة أخرى، أجريت معه في اليوم ذاته، أن الإسلام دين تقدمي وعصري وديمقراطي بالمعنى الحقيقي. وأوضح أيضاً، أن الأحكام الإسلامية أحكام تقدمية ومحضرة للغاية حيث أنها تتضمن الحرية والاستقلال والتقدم والتطور الإنساني^(١).

إزالة الأوهام

في أحد الأيام عمد سماحة الإمام، خلال خطاب ألقاه في جمع من الطلبة الجامعيين والحاضرين، إلى توضيح آرائه في مختلف الشؤون، مؤكداً أن النظام الملكي الحاكم في إيران نظام مفروض ولم ينتخبه أبناء الشعب أبداً، والأمة لا تقبل مطلقاً بمثل هذه الحكومة.. بل إن الشعب عبر دوماً عن طلبه المتضمن تأسيس الحكومة الإسلامية، وليس هناك أدنى شك في ذلك.. كما رد سماحته على بعض مزاعم الشاه آنذاك، أشير إلى عدد منها^(٢):

(١) أجرى هذه المقابلة مع سماحة الإمام الدكتور بيتر شولاتور كبير مراسلي ومحللي القناة الثانية في التلفزة الألمانية بتاريخ ١٩٧٩/١٥.. التقى مع الدكتور شولاتور في عام ٢٠١٠ عندما كنت أضع اللمسات النهائية على كتابي هذا، للمزيد من التعرف عليه يمكن مراجعة الهامش السادس في نهاية الفصل.

(٢) من خطاب سماحة الإمام مع الطلبة والإيرانيين المقيمين في الخارج بتاريخ ١١/٦ ١٩٧٩ م (كتاب صحيفة الإمام/ ج ٥ ص ٣٦١ - ٣٦٧).

- عندما نقول إن الشاه يجب أن يرحل، فإننا لا نقصد أن يذهب للتنزه، بل أن يتخلّى عن سلطانه، وأقولها بصرامة: إن النظام الشاهنشاهي لا يقبل به الشعب، بل إننا ندعو إلى حكومة عادلة مستندة للقوانين الإسلامية.

- لقد قال الشاه إنه إن رحل فإن الغرب سيواجه مشاكل جادة بسبب عدم تصدير النفط الإيراني له، هو يهدف من ذلك إلى جعل الغرب في مواجهة الشورين، بينما نحن نقول إننا سنواصل بيع النفط لأننا بحاجة إلى العائدات المالية وإننا سنبيع النفط لأي زبون جيد.

- لقد زعم الشاه أنه إن رحل فإن البديل هو النظام الشيوعي الذي سيحكم إيران، وهو يهدف من ذلك إلى تحريك أميركا، بينما الشعب الإيراني مسلم ولن يقبل الاتحاد السوفيتي بأي شكل من الأشكال.

- لقد قال الشاه إن هناك أقلية من الشعب تعارضني وسبب معارضتهم هو أنهم لم يفهموني.. أجل، إن الشاه يصدق في زعمه أن الشعب الإيراني لم يفهمه، لأنه ما دام الإنسان حياً ويعيش في هذه الدنيا، فلا يمكن فهم ملkapاته وسماته الباطنية لأنها ليست ظاهرة بل إنها مخفية على الآخرين. وإن تلك الملkapات تظهر في العالم الآخر، أي في عالم الملوك (عالم الغيب)، لذلك، فإن الشاه يصدق في زعمه لأننا لا نحن ولا هو يمكننا أن نفهم ملkapاته وملkapات أبيه.. ولكن عندما يُزال الستار تظهر بوطن الأمور، وكما يعبر القرآن الكريم **﴿إِنَّمَا يُبَيِّنُ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾**^(١) .. إلا أننا نقول نحن نفهم قسماً من الأعمال التي قمت بها، فنحن نفهم أعمالك الشريرة أنت وأباك،

(١) سورة طارق، الآية: ٩.

ونفهم أجواء الرعب والخوف التي أوجدتموها؛ كما نفهم انتهاك الحرمات التي أنجزتموها.. وفي الوقت ذاته، لا نعرف شيئاً عن خياناتكم التي قمتم بها خلف الستار، ونجهل كذلك مصير المسجونين. فمثل هذه الأمور تسجلها ملائكة الله.. كما إننا لا نعرف شيئاً عن جلسات التعذيب في السجون التي لم تصلنا، فمثل هذه الأعمال يفهمها (نصيري) (رئيس السافاك) وأمثاله.. أجل نحن لم نفهمك بعد، فماذا كان سيحدث لو فهمناك جيداً.

النموذج الآخر كان فيما يخص ما يبثه السافاك من إشاعات تثير العسكريين وعناصر الجيش الإيراني ضد الثوريين وزعمهم أن الحكومة القادمة ستجتث الجيش لأنهم ليسوا بحاجة للجيش وعناصره.. مما دعا سماحة الإمام إلى مخاطبة عناصر الجيش قائلاً: «إن أي نظام أو حكومة أو أمة بحاجة مؤكدة للجيش المستقل والقوى، ونحن نحترم الجيش ونكرمه. والنظام بحاجة إلى الموظفين في أي مكان كانوا، ونحن نحتاج الجميع عدا اللصوص والفاشدين وغير التزكيين».

رسالة كarter للإمام الخميني

جرى في أحد الأيام لقاء مع سماحة الإمام تميز بأنه فاجأنا واقلقنا في نفس الوقت، حيث أن الوفد كان يضم ممثلين عن الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان^(١)، وكانت هذه المرة الأولى التي يزور سماحته ممثلون على هذا المستوى العالمي عن قصر الأليزيه، والأعجب من ذلك، أن الوفد كان يحمل رسالة من الرئيس الأميركي كarter، وعرفنا من خلال الاهتمام الكبير لرجال الصحافة والإعلام بهذا اللقاء أنه كان مهمًا للغاية.

(١) جرى هذا اللقاء بتاريخ ١٧/١٩٧٩ م.



الرئيس الفرنسي جيسكار دستان

بعد اللقاء سمعنا أنهم اقتربوا على سماحة الإمام أن يتم الاعتراف رسميًّا بحكومة بختيار في مقابل سعي الأميركيان بمساعدة السيد الإمام، لإعادة الهدوء لإيران، وإن رفض الإمام هذا الاقتراح فلربما ينفذ الجيش الإيراني انقلاباً عسكرياً ويفرض سلطته على كل البلاد.

أجابهم سماحة الإمام قائلاً: «قولوا لكارتر، إن رسالتكم كانت تتضمن أمرين هما: أن نقبل أولاً بحكومة بختيار والثاني أنكم تهددوننا بشكل مَا، أي أننا إن لم نقبل بحكومة بختيار، فإننا سنواجه انقلاباً عسكرياً. أما فيما يخص ردنا على الأمر الأول، فهو أننا لا يمكن أبداً أن نقبل بختار رئيساً للوزراء، وأن الشعب الإيراني لن يخضع أبداً لحكومة بختار، لأنه تم تنصيبه من قبل الشاه الذي هو بدوره غير قانوني.. وأنا أتعجب منكم كيف تحثوننا أن نقوم بعمل غير قانوني وأنتم تدعون أنكم تلتزمون بالقوانين وترفعون راية القانون. أما الأمر الثاني، فهو أنكم تهددوننا بانقلاب عسكري ينفذه الجيش، فاعلموا إن الجيش مع الشعب الإيراني في صف واحد، وإن لم تتدخلوا أنتم، فإن الجيش لن يلجأ إلى القتل وسفك دماء أبناء الشعب أبداً».

وخلال اللقاء قدم الوفد مقترحاً لسماحة الإمام بأن تجرى حوارات سرية بين سماته والرئيس الأميركي.



شابر بختيار

لا قانونية حكومة بختيار

في أحد الأيام أُعلن سماحة الإمام رسمياً: إن حكومة شابر بختيار حكومة لا قانونية^(١)؛ وإن أي تعاون مع هذه الحكومة يعتبر حرام شرعاً. ورغم أن هذا النداء كان يعتبر نداءً سياسياً، إلا أنه بسبب صدوره من مرجع تقليد لعدد كبير من أبناء الشعب الإيراني، فإن

هذا الحكم يعتبر واجب التنفيذ بالنسبة لمقلدي سماحته، وبعد ذلك جرت اتصالات كثيرة بين مقلدي الإمام ومكتب سماحته يسألون عن حكم عملهم في الدوائر الحكومية واستلام رواتب شهرية من حكومة لا شرعية؟ فأجابهم سماحته: يتوجب على الموظفين أن يحولوا دون دخول الوزراء إلى مكاتبهم إن تمكناً من ذلك.

الإعلان عن نوع الحكومة المراد تأسيسها

اشتدت مسيرة النضال والجهاد يوماً بعد آخر ضد نظام الشاه، ورفعت الجماهير مستوى مطالباتها في الشعارات الثورية التي كانت ترفعها في المظاهرات المناوئة للنظام الجائر، كما أن نشاط الإمام الخميني تضاعف بحيث كانت لقاءاته ومقابلاته الصحفية والإعلامية، تصل أحياناً إلى عشرة يومياً مع مختلف الشخصيات ووسائل الإعلام

(١) كان ذلك بتاريخ ١٧/١/١٩٧٩م حيث أُعلن سماحته عن ذلك في عدة مقابلات أجريت معه آنذاك.

العامة والصحافة. وقد أعلن سماحة الإمام رسمياً، أن الشعب الإيراني لن يكتفي برحيل الشاه، بل يطالب بسقوط النظام الملكي وتأسيس نظام (الجمهورية الإسلامية) في إيران.

إن إعلان الإمام الخميني عن نوع الحكومة التي ستقام في البلاد، ضاعف من نشاط وحركة الجموع المحتشدة، وأعلنت الجماهير دعمها التام والكامل لنظام الجمهورية الإسلامية، والبعض كان يقول إن عدداً من قادة الجيش الإيراني لا زالوا أوفياء للشاه ونظامه الملكي، ولربما يبادرون إلى ارتكاب مجازر دموية بحق الناس الأبرياء، مما دعا سماحة الإمام لمخاطبة ضباط وعناصر الجيش قائلاً:

«إن شعبنا يفرق بينكم وبين عدد ضئيل من أمراء الجيش الخائنين والسفاكين الذين يجلسون على رأس القوات المسلحة في إيران، حيث أني أعرف أن هناك الكثير من المخلصين في صفوفكم، ولا بدّ لعناصر القوات المسلحة والعساكر، أن يفصلوا صفوفهم عن ذلك العدد الضئيل من الأمراء العملاء الأجراء».

التأكيد على نوع الحكومة

أظهرت الأسئلة التي أثيرت مراراً وتكراراً أمام سماحة الإمام، من قبل المراسلين والصحفيين حول نوع الحكومة التي سعى سماحته لعرضها، ويعمل على ايجادها، أنهم لم يفهموا معنى الحكومة الإسلامية. وكان البعض منهم يعلن ذلك بصراحة، فقد سأل أحد الصحفيين البريطانيين سماحة الإمام: «ماذا تقصدون بالحكومة الإسلامية»؟ أجابه الإمام الخميني بصراحة: «إنا نريد تأسيس الجمهورية الإسلامية، فالجمهورية هي الشكل والإطار المناسب لحكومتنا، وسنطلب من الناس أن يدلوا برأيهم حولها. والإسلام هو المضمون الأصيل لهذا الإطار، أي إن قوانين حكومتنا هي إلهية».

وقد صرّح سماحة الإمام في رده على أسئلة الصحفيين والمراسلين المتكررة حول نوع الحكومة التي يسعى من أجلها قائلاً:

إن شكل حكومتنا هو (الجمهورية)، وهذا يعني أن الناس يحددون نوع الحكومة وكذلك مضمونها؛ كما أن رئيس الجمهورية ونواب المجلس يتم انتخابهم من قبل الناس. كذلك فإن جميع الأحزاب والأشخاص يحق لهم ترشيح أي شخص يرونوه مناسباً للاضطلاع بمهمة رئاسة البلاد، إلا أن الجماهير هي التي تنتخب رئيس الجمهورية بأكثريّة الأصوات ومن خلال مشاركتها في انتخابات حرة.

«لن نستفيد من القوى العسكرية في الانتخابات، بل سنعتمد على آراء الناس الذين سيقومون بمهمة الإشراف على الانتخابات ويحافظون على نظمها بعد أن يتم انتخاب عدد من الأشخاص المؤوثين والمطمئنين للإشراف على صناديق الانتخابات. وبالتالي، فإن الناس سينتخبون شخصاً واحداً لمنصب رئاسة الجمهورية الإسلامية.

«بالطبع فإني سأعرّف بدوري مرشحي لهذه الانتخابات^(١).. فإن أراد الناس يمكنهم إعطاء أصواتهم له، وإن لم يرغبو بذلك يمكنهم انتخاب أي شخص آخر لهذا المنصب؛ فالناس سينتخبون حتماً الشخص الصالح ما داموا أحراضاً في هذا الانتخاب، فالمعيار هو مدى صلاح ذلك الشخص، حيث أن الرأي العام لن يخطئ في انتخاب الشخص الصالح، فلا يمكن أن يخطئ ثلاثون مليون إنسان في انتخابهم، وحتى

(١) بعد انتصار الثورة الإسلامية امتنع سماحة الإمام عن تعريف أي مرشح ودعمه لتقلد منصب رئاسة الجمهورية وذلك في أول دورة لانتخاب رئيس الجمهورية الإسلامية لأنّه كان يعلم أن أكثر الناس سيصوتون لصالحه نظراً لحبّهم وتعلقهم القلبي بسماحته، ولم يكن يرغب وبالتالي أن تتأثر أصوات الناس بذلك. وقد اتبع سماحته نفس هذا الأسلوب في جميع الانتخابات التي جرت في البلاد.

لو حدث أي خطأ في ذلك، فإن الجماهير نفسها ستتبارى إلى عزله عن المنصب.. ولو تم انتخاب شخص صالح لمنصب رئاسة الجمهورية، فإنه سينتخب حتماً حكومة صالحة.

«كذلك سنعمل بنفس الطريقة في مجال انتخابات المجلس، فالناس ينتخبن نوابهم بكل حرية. وسيتشكل مجلس لا يحقق مصالح أميركا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي».

رغم وجود التصريحات الواضحة لسماحة الإمام وتأكيده على دور الجماهير وأهمية أصواتهم في انتخاب المسؤولين في الحكومة القادمة، إلا أنه كانت تشار أمام سماحته أسئلة أخرى حول دور الناس والسيادة الوطنية في الحكومة الإسلامية، ويكرر الإمام تأكيده على أن الناس هم الذين يحددون نوع الحكومة وهم يسعون من أجل استقرار القيم الإسلامية في المجتمع.

كتابة مسودة الدستور الإسلامي

خلال تلك الأيام التاريخية من عمر الثورة الإسلامية تم تكليف الدكتور حسن حبيبی من قبل سماحة الإمام بكتابة مسودة الدستور الإسلامي؛ كذلك طلب سماحته من والدي (لم يعلن عنه حينها) أن يساعد الدكتور حبيبی في ذلك، لا سيما في المسائل الفقهية، لذلك فإن الدكتور حبيبی كان قلماً يتواجد في نوفل لوشاً. بل يحضر أحياناً في منزل أبناء خالي في باريس ويتبادل الرأي مع والدي في مختلف الأمور المرتبطة بالدستور^(١).

(١) بعد عودة سماحة الإمام إلى طهران، ومن ثم انتصار الثورة، تم الحديث كثيراً عن الدستور الإسلامي، للتعرف أكثر على ذلك يمكن مراجعة الهامش السابع في نهاية الفصل.

وكنت أحياناً أذهب إلى باريس لأنقيهم هناك وكان والدي يتواجد غالباً في باريس خلال حضورنا في نوفل لوشاتو.

كذلك دأب الدكتور حبيبي على المجيء إلى نوفل لوشاتو في كل مرة ينتهي من كتابة أي قسم من الدستور ليقدمه إلى سماحة الإمام الذي يقوم بدوره بتدوين ملاحظاته حول تلك المواد^(١):



آية الله الشراقي ووالدي في نوفل لوشاتو

وقد عُرف الدكتور حسن حبيبي من بين أنصار الإمام المقيمين في أوروبا ، بتميزه من حيث معلوماته القيمة والتزامه الديني ، والجميع كان يسميه بـ (الشيخ) ، ويقررون بأمانته وتدينه.. وأصبح الدكتور حبيبي ، مع وصول سماحة الإمام إلى باريس ، مسؤولاً عن الأمور المالية للمكتب قبل أن تناط هذه المهمة فيما بعد ، إلى الحاج مهدي عراقي بعد وصوله باريس.

(١) لا زال الدكتور حسن حبيبي يحتفظ بملحوظات سماحة الإمام المكتوبة بخط يده.

الحرية المستندة للتوحيد

تبأينت الأسئلة التي كان يطرحها آنذاك الصحفيون والإعلاميون على سماحة الإمام، فالبعض منها كان جذاباً بالنسبة للمترجمين والمستمعين حيث يتم تناقل مضمونها بسرعة بينهم، منها ما أثاره مراسل صحيفة التايمز البريطانية إمام سماحته^(١)، فهو سأل السيد الإمام خلافاً لباقي المراسلين، عن بعض الأمور الخاصة، حيث قال: «أود أن أتعرف على مرحلة طفولتكم وبرنامحكم الحالي، وأريد أن أعرف السبيل الذي أوصلكم إلى هذا الاعتقاد الذي تؤمنون به؟ وأنا كمسيحي أريد أن أعرف ما هي بالضبط عقائدهم؟ أين وكيف توصلتم إلى مثل هذه العقائد.. وكيف تطبقونها؟».

صحيح أن هذه الأسئلة أثارها إعلامي مسيحي، ولكن يبدو أنها كانت أسئلة مشتركة للكثير من الإعلاميين والمثقفين الذين كانوا مشتاقين لسماع أجوبة سماحة الإمام على مثل هذه الأسئلة.

فقد أشار سماحته في البدء، إلى أن حياته الشخصية كغيرها من حياة باقي الأشخاص «ولا داعي لشرحها في الإعلام، ولكن فيما يخص عقائدهنا، فهي مشتركة مع باقي المسلمين في أن أساسها (التوحيد).. وطبقاً لهذا المبدأ الرئيسي، فإننا نعتقد أن الذات الإلهية المقدسة هي أساس خلق العالم والوجود وكل العوالم الوجودية، وهو القادر والعالم والمالك لكل شيء».

«ونحن لا نسلم إلا أمام الذات الإلهية المقدسة ونطيعها، لذا لا يحق لأي إنسان أن يُرغم إنساناً آخر على طاعته.. ونحن نتوصل إلى مبدأ

(١) أجريت هذه مقابلة بتاريخ ١٧/١٩٧٩م.

الحرية الإنسانية انطلاقاً من هذا المبدأ العقائدي، وطبقاً لهذا المبدأ الديني، لا يحق لأي إنسان أن يحرم الإنسان الآخر من الحرية، لأن سلب الإنسان حريته تعني جرّه نحو السقوط والانحطاط؛ كذلك نعتقد أن حق التقنين (القانونة) هو خاص بالله جلّ وعلا.. كما هو الحال بالنسبة لتنظيم قوانين العالم والكون».

وأضاف سماحته قائلاً: «إن أساس نضالنا الاجتماعي ضد القوى الاستعمارية المستبدة ينبع أيضاً، من مبدأ التوحيد هذا، لذلك، فإننا طبقاً لهذا الاعتقاد الديني، نقارع أي عنصر يهدد العدالة ويسعى إلى نشر القيم الخاوية في المجتمع».

بعد ذلك سأل مراسل التايمز قائلاً: «إنني أراكم صامدين كالصخرة وسط أمواج الحوادث والتحديات، ولكنني لا استطيع وصفكم كشخصية ثورية فحسب، إذن كيف يمكنني أن أُبرر التناقض المشهود في دوركم كقائد ديني فضلاً عن كونكم زعيماً للمعارضة السياسية»؟! .

أجابه سماحة الإمام قائلاً: «إن استطعت أن تعرف مفهوم الدين في الثقافة الإسلامية لتوصلت إلى أنه لا وجود لأي تناقض بين أن يكون الإنسان زعيماً دينياً وسياسياً في الوقت ذاته، لأن السياسة وتنظيم العلاقة بين بني البشر، ومقارعة اللاءدة، تعتبر كلها جزءاً من مهامنا الدينية والعبادية.. فلو راجعتم تاريخ حياة نبي الإسلام (ص) والإمام علي (ع) لرأيتم أنهمَا كانوا قائدين دينيين وكذلك زعيمين سياسيين في الوقت نفسه..

«إن الدين في الثقافة الإسلامية لا يعني علاقة فردية ومعنوية بين الله والإنسان، فالإسلام كما يقول للإنسان اعبد الله، فإنه يعلمه كيفية عبادته أيضاً، وفي الوقت ذاته يعلمه كيف يعيش وكيف ينظم علاقته مع باقي البشر.. بل وحتى مع عالم الطبيعة؛ كما أن الإسلام تحدث مراراً

حول علاقة المجتمع الإسلامي مع المجتمعات الأخرى وقدم الإرشادات المناسبة بهذا الشأن».

وهكذا، فإن بعض الأسئلة المثاررة والحوارات التي كانت تتم آنذاك، تتميز بالجاذبية للمستمعين، لذا، فإننا كنا نتحاور لساعات طويلة حول المواضيع المطروحة في هذه المقابلات، رغم أجواء البرد القارصه والثلج المنهمر في نوفل لوشاً، ونسى أنفسنا أحياناً، وتأخذنا النقاشات وتضاعف من نشاطنا، بحيث لا نشعر بالبرد حتى نعود إلى غرفنا.

رسائل بلا تواقيع

بينما كنا جالسين ليلة الثامن من كانون الثاني عام ١٩٧٩ انضم السيد أحمد إلينا وأخبر سماحة الإمام أن بيانات بدون تواقيع وزعت في أنحاء إيران تتضمن تهديداً بالموت لعناصر السافاك مع التأكيد أن منازلهم سيتم احراقها؛ وأضاف يقول: «إن هذه الرسائل والبيانات ستتسب حتماً للمجاهدين ومعارضي الشاه».

فَكَرْ سماحة الإمام قليلاً وقال: «سأتحدث غداً حول هذه القضية».

وكان سماحة الإمام قد اعتاد أن يلقي خطابات في مختلف المناسبات بعد إقامة صلاتي الظهر والعصر أو المغرب والعشاء، فضلاً عن مقابلاته الصحفية والإعلامية التي يجريها مع المراسلين والشخصيات السياسية، ويضمن كل ذلك بياناته ونداءاته لأبناء الشعب الإيراني.

لذلك انتظرنا حتى يخطب سماحته لنعرف وبالتالي كيف سيواجه هذه المؤامرة الجديدة، وفي الوقت المحدد للخطاب سلمت ياسر للسيدة أم أحمد واتجهت نحو مكتب سماحة الإمام الذي هو في الواقع مركز قيادة الثورة.

وفي خطابه هذا حذر سماحة الإمام^(١)، الشعب الإيراني من وجود أيادي غير نزيهة تعمل لإيجاد حالة من الرعب والخوف في صفوفهم، وخطبهم قائلاً: «اعلموا أن الدين الإسلامي المقدس يصون أرواح وأموال الناس ويحرم أي نوع من الاعتداء على هذه الحرمات، لذا، فإن من يقوم بمثل هذه الأعمال إما ينتمون لفصائل منحرفة أو يهدفون إلى المحافظة على الشاه ونظامه، مستغلين حالة الفوضى التي تسود البلاد، فلا تهتموا بمثل هذه الرسائل والبيانات المجردة من الواقع، لأن أي عقوبات بحق المجرمين لا تصدرها إلا المحاكم الصالحة بعد إثبات جرائمهم، ولا يحق ذلك للأشخاص العاديين».

حزب الله

من المصطلحات الجديدة التي كان يتم تناقلها آنذاك مصطلح (حزب الله). حيث أن المراسلين والصحفيين المحترفين المعروفين عالمياً، والذين كانوا قد أجروا مقابلات مع كبار السياسيين ورؤساء جمهورية مختلف الدول، عندما كانوا يصلون إلى نوفل لوشاتو لإجراء مقابلات صحفية مع زعيم النهضة الجماهيرية في إيران، يشاهدون أجواء ودية وبسيطة وبدون تجملات. وتلفت أنظارهم شخصيات سياسية بسيطة تعرف بأنهم من (حزب الله)، وقد سأله أحد الصحفيين الإيطاليين^(٢): سماحة الإمام أن يوضح له مفهوم (حزب الله)، فأجاب سماحته قائلاً: «إن كل مسلم يقبل بالموازين والقوانين الإسلامية ويعمل بها، فهو عضو من أعضاء حزب الله، وإن خط سير ونشاط هذا الحزب يحدده القرآن

(١) ألقى هذا الخطاب بتاريخ ١٩٧٩/٨/١ م.

(٢) أجريت هذه مقابلة الصحفية بتاريخ ١٩٧٩/٨/١ م.

والإسلام»؛ ثم أضاف يقول: «إن استلام زمام الأمور والاضطلاع بالمهام الحكومية في الإسلام لا تعتبر فخراً أو امتيازاً لأي أحد تمكّنه من تحقيق مصالحه الخاصة على حساب التفريط بحقوق الشعب، بل إنه واجب إلهي وتكتيل رباني ثقيل يسخر الحاكم لأدائه، وإن الإسلام وضع حقوقاً ومهاماً معينة للحاكم وأبناء الشعب على حد سواء.

«كذلك يحق لكل فرد من أبناء الشعب أن يستوضح حكام المسلمين والمسؤولين وينتقدتهم، ولا بدّ لهؤلاء في المقابل، أن يجيئوا على أسئلتهم؛ ولكن هذا المسؤول إن قام بأي عمل مخالف لمهامه الإسلامية، فإنه يُعزل عن منصبه بشكل ذاتي».

تشكيل مجلس قيادة الثورة

بعد أن قضينا ليلة برفقة والدي في باريس، عدنا بعدها إلى نوفل لوشاتو، فشعرت أن أمراً مهماً حدث في غيابنا والجميع يتداول الحديث بشأنه، فوصلت بسرعة إلى البيت وبدأت أسمع بعض الأخبار المتفرقة؛ فعرفت أن أمراً أهم مما توقعت قد حدث، فلجمأت للسيدة دباغ، فحدثتني عن بعض التفاصيل ولكنها لم تكن كاملة، فانتظرت حتى التقيت بالسيد أحمد الذي قال: «إن سماحة الإمام أعلن في ندائه للشعب الإيراني أنه كلف مجلساً للقيام بإدارة شؤون البلاد^(١)، مما دعا الصحفيين والمراسلين للهجوم على نوفل لوشاتو ليتعرفوا على أسماء أعضاء هذا المجلس ويطلعوا على مهامه التي كُلف بها».

(١) أخبر سماحة الإمام الشعب الإيراني بتاريخ ١١/١٩٧٩م أنه تم تشكييل مجلس قيادة الثورة ووعده بأنه سيعلن أسماء أعضائه في الوقت المناسب.

إشراف الإمام على أعمال المجلس

بعد انتخاب أعضاء مجلس قيادة الثورة، بدأ المجلس بعقد اجتماعاته السرية ورفع تقاريرها إلى سماحة الإمام بشكل منتظم، وكانت تتخلل هذه الاجتماعات نقاشات وحوارات ساخنة، وتظهر أحياناً اختلافات في وجهات النظر بين الأعضاء، وكان السيد أحمد يقوم بنقلها إلى سماحته. وفي المقابل ينقل أجوبة السيد الإمام إليهم.

سمعت في أحد الأيام أن الدكتور بهشتى - وهو أحد أعضاء المجلس - أخبر عن رغبة عدد من زعماء الجيش بلقاء أعضاء المجلس، وسأل عن رأي سماحة الإمام بذلك.

فأجاب سماحته قائلاً: «لا بأس أن تلتقطوا بهم مع مراعاة الاحتياط الكامل، وقولوا لهم أن لا يقفوا أمام إرادة الشعب، وأفهموهم أن ليس بمقدورهم عمل أي شيء. وأن من مصلحتهم ان يقفوا إلى جانب أبناء الشعب».

وقد ترك هذا الخبر أصداءً إيجابية. وزاد من معنويات المجاهدين ورجال الثورة.

وبينما كانت أجواء نوفل لوشاتو مليئة بأصداء ذلك الحدث المهم، وصلتنا أخبار جديدة من داخل إيران كانت تنبئ عن تحول جديد في حركة الثورة وأسلوب مقارعة النظام الشاهنشاهي، حيث ذكر أن مجموعة من الأوباش هاجموا بهراواتهم المتظاهرين في الشوارع مما استلزمأخذ رأي سماحة الإمام بشأن كيفية التصدي لهؤلاء، فقال سماحته: «يحق للجماهير أن تتصدى لهؤلاء الأوباش دفاعاً عن النفس».. وكان ذلك أول أمر يصدره سماحة الإمام يجيز من خلاله للناس أن يتصدوا للأوباش والقوات الخاصة التابعة للنظام، دفاعاً عن النفس.

الدفاع عن عناصر الجيش

في أحد تلك الأيام خاطب سماحة الإمام الجماهير الإيرانية قائلاً^(١): «أيها الشعب الإيراني العزيز، أخوتي وأحبابي، سمعت من أحد الأشخاص المؤثرين خبراً رأيت من الواجب أن أطلعكم عليه، وهو أن هناك مؤامرة يحضر لها ولا بد أن تفشلوها بوعيكم، وهي أنهم يريدون أن يحركوا مجموعة من الأشرار والعملاء بعد أن يرحل الشاه لمحاجمة الجيش والقوى الأمنية واستفزازهم باسمكم، أيها الشعب الثوري والمسلم، حتى يرغمونهم على الدفاع عن أنفسهم من خلال إطلاق النار على الناس وبالتالي ارتكاب مجازر دموية.. لذلك أبّه أبناء الشعب الإيراني العزيز وجميع أجنحة القوات العسكرية والأمنية وأخذهم من ذلك التزاماً مني بواجبي الإلهي، وأن يعملوا على إفشال هذه المؤامرة من خلال وعيهم واستقامتهم وشجاعتهم ومراعاتهم للأخلاق الإسلامية، وكما قلت لكم سابقاً، فإن على أبناء الشعب الأعزاء أن يتعاملوا بشكل حسن مع عناصر الجيش وقوى الأمن والشرطة، بل أن تدافعوا عنهم إن حاول الأشرار مهاجمتهم».

لقد ترك هذا النداء المهم الذي أصدره سماحة الإمام، ودعا فيه أبناء الشعب للدفاع عن الجيش، آثاراً إيجابية على معنويات أفراده، لا سيما الجنود، لأنهم كانوا يرون أن السيد الإمام يوصي أبناء الشعب بالدفاع عنهم، بينما كانوا هم حتى قبل عدة أيام يطلقون النار عليهم..

وبعد هذه التوصيات، شهدنا كيف أن الناس يقدمون الورود للجنود ويقومون باحتضانهم، ويطلقون شعارات مليئة بالمحبة والمؤيدة للجيش، وقد أدى ذلك إلى تغيير كبير وجذري في معنويات عناصر

(١) صدر هذا النداء بتاريخ ١٢/١/١٩٧٩ م.

القوات المسلحة المنتشرة في الشوارع، ولم يبق إلا عدد قليل منهم يصررون على موقفهم العدائى لأبناء الشعب حباً للشاه ونظامه، ولم يستمر ذلك طويلاً حيث لم تنجح هذه الأقلية في مواجهة الأكثريّة.

حرية المرأة في الإسلام

تعتبر قضية المرأة وحريتها من القضايا التي سُأَلَ عنها أغلب الصحفيين ورجال الإعلام الذين التقوا سماحة الإمام آنذاك، حيث سُأَلَ أحد المراسلين سماحته قائلاً: «هل يعارض الإسلام حرية المرأة، وما هو رأيكم بهذا الشأن؟»

أجابه الإمام: «لا يعارض الإسلام حرية المرأة إطلاقاً، بل إن الإسلام وضع أساساً مبدأ حرية المرأة».

وكانَ أَجْوَبَةُ سماحة الإمام تترجم حتَّى للجيغان، والبعض منهم كان يطلب منا ان نوضح أكثر حول ما يتفضل به سماحته.

وبدأ هؤلاء يصدقون تدريجياً ما أثاره سماحة الإمام بشأن حرية المرأة في الإسلام، وذلك بعد أن شاهدوا عدداً من النساء والطالبات الجامعيات الناشطات في مكتب سماحته، فضلاً عن عشرات السيدات المتعلمات والمثقفات الملتمسات اللواتي كن يأتين لزيارة السيد الإمام في نوفل لوشاتو من إيران وشتي أنحاء العالم، ويتحدثون معه بكل حرية.

وقد تحدثنا يوماً مع عدد منهن حول بعض أحكام الإسلام فيما يخص الزواج وبدء الحياة العائلية المشتركة، وأن الرجل يتحمل لوحده نفقات الأسرة، وأن المرأة لا تتحمل أية مسؤولية بهذا الشأن، وقد اندھشن كثيراً بسبب ذلك، وقد طلب عدد منهن - مزاهاً - أن نجد لهن أزواجاً إيرانيين !!.

تصاعد حركة الثورة وغليان الداخل

وهكذا كانت الأيام تمضي والاضطرابات تزداد داخل إيران ويواصل أبناء الشعب بكل قوة وشجاعة ثورتهم ويصبووا جام غضبهم على النظام الطاغوتي من خلال قبضاتهم الحديدية وهتافاتهم المدوية في سماء المدن الإيرانية، وكذلك من خلال الدماء الزكية التي كانوا يقدمونها على مذبح الحرية والكرامة، وبالتالي يرسمون مستقبلهم ويسيطرؤن صفحات تاريخهم بكل فخر واعتزاز في ظل قيادتهم الحكيمة والشجاعة.

خاطب سماحة الإمام أبناء الشعب في أحد تلك الأيام قائلاً: «يعلم الشعب الإيراني العزيز أننا سنواصل الجهاد حتى آخر نفس حفاظاً على القوانين الإسلامية والمصالح الوطنية، ويتوجب على الجميع أن يستقימו ويصمدوا في هذه الطريق. ولا تسمحوا للضعف والتراجع أن يتغلغل في صفوفكم، وكونوا على ثقة أننا سنتنصر حتماً لأننا لا نطلب سوى الحق، وأن الحق متصر لا محال».

لقد ترك خطاب سماحة الإمام وثقته الكاملة بالنصر، آثاراً طيبة وعميقة في نفوس الناس ورفع معنوياتهم، بل حتى على أولئك الذين لم يكونوا يعتقدون بالجانب الديني من النضال إلا أنهم يقررون بقدرة سماحته على خوض ومواصلة الطريق لمقارعة الظلم والاستبداد، فالجميع يعرفون أن القائد الذي يخوض نضالاً مريضاً مع الشاه، وهو لا يملك إلا قلماً وقرطاًساً، ولا يُدعم من أية دولة أو قوة في العالم، إن مثل هذا القائد يعرف جيداً هدفه والطريق الذي يوصله إلى تحقيق هذا الهدف.

كذلك، فإن الأمر المهم الذي كان يدهش الجميع، يكمن في العلاقة العاطفية والعميقة بين الإمام والشعب، بحيث لم تضعفها أية

حادثة، رغم أن الأعداء حاولوا كثيراً أن يمسّوا تلك العلاقة أو يؤثروا عليها من خلال اللجوء إلى أساليب دنيئة، متعافلين أن هذه العلاقة لا تشبه غيرها بل هي من صنف آخر.

في إحدى الليالي وصلت مكتب سماحة الإمام اتصالات هاتفية كثيرة تؤكد أن شائعات قوية تردد في إيران بشأن رؤية صورة سماحة الإمام على قرص القمر!!.. إلا أن الشعب الإيراني الواعي لم ينخدع أبداً بمثل تلك الشائعات التي كانت من نسج أعداء الثورة، حيث كانوا يميزون جيداً بين الأخبار الصحيحة والشائعات المغرضة.

سمعنا في أحد الأيام أن بختيار في إحدى كلماته المتفزة، قال إن آية الله الخميني لا يمكن من إسقاط الحكومة.. وقد صدقه بعض زعماء الأحزاب السياسية بل حتى بعض العلماء.

وفي يوم آخر قدم السيد أحمد تفاصيل عدد من الأخبار القادمة من إيران إلى سماحة الإمام، فسارع سماحته إلى مخاطبة الشعب محذراً وموجهاً، حيث قال: «سمعنا أن الحكومة تفرغ مساءً بالشاحنات، مخازن القمح حتى توجد مجاعة مصطنعة بين الناس، لا بدّ أن يقف الناس أمام ذلك بوعي». ومخاطب الجيش قائلاً: «إن أميركا تحاول أن تسرق الأسلحة التي زودت بها إيران بعائدات النفط، إن عليكم أن تحولوا دون ذلك».

كما دعا سماحته المزارعين أن لا يغفلوا عن الزراعة الديمية للقمح، ودعا المصارف الإسلامية أن تقدم قروضها للمزارعين، وأكد أن على الناس أن يدعموا المصارف في ذلك.

كذلك طلب من النواب أن يمتنعوا عن الذهاب إلى المجلس، وإنما الشعب سوف يعاتبهم ويحاسبهم ولا يرضى عنهم.

وحضر أيضاً أعضاء المجلس الملكي وطالبهم بتقديم استقالاتهم، وأعلن في المقابل أنه سيعرف الناس قريباً بأسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة.

ومن خلال هذه البيانات والإرشادات، زرع سماحة الإمام الأمل في قلوب الناس، فضلاً عن تعريف الفصائل والفئات الحكومية وغير الحكومية، بواجباتهم ومهامهم الثورية الملقة على كواهلهم^(١).

هروب الشاه من إيران

بينما كنا جالسين في البيت، دخل السيد أحمد ومعه خبر هروب الشاه من إيران^(٢)، ولم نصدق بدءاً، إلا أنه أكد أن الخبر حقيقي والناس يحتفلون الآن في شوارع طهران وبباقي المدن، وذرفنا جميعاً دموع الفرح. ومع انتشار هذا الخبر عبر وسائل الإعلام امتلأت شوارع نوفل لوشاتو مرة أخرى بالمراسلين والإعلاميين والضيوف الذين كانوا قد ذهبوا إلى باريس، ووصل عددهم إلى أكثر من خمسمائة إعلامي من شتى أنحاء العالم.

وببدأ المراسلون الذين كانوا يتربدون على نوفل لوشاتو خلال هذه الفترة، بتقديم التهنئة والتبريك للإيرانيين لهذا الانتصار.. إلا أنها كانت نشعر بالقلق من المستقبل المجهول ونحن في أجواء الفرح والسرور. وبدأنا نفكر بكيفية مواجهة المخططات الأمريكية ومكائد نظام الشاه الذي لا يزال يحكم البلاد.. وخلال تلك اللحظات المليئة بالفرح والقلق والاضطراب والنشاط، كان الجميع ينتظر رد فعل سماحة الإمام وماذا سيقول بهذا شأن.

(١) صدرت هذه الإرشادات للشعب بتاريخ ١٤/١/١٩٧٩ م.

(٢) كان ذلك بتاريخ ١٥/١/١٩٧٩ م.



الإمام الخميني بين جموع الصحفيين، السيد أحمد، بنى صدر، قطب زادة، مهدي عراقي والدكتور يزدي

دخل السيد أحمد إلى غرفة سماحته وأخبره عن الحشود الغفيرة من المراسلين والإعلاميين الذين ينتظرون في الخارج لسماع كلمته بهذه المناسبة.. إلا أن سماحة الإمام قال: «إن الوقت الآن غير كافٍ، لا قرباب وقت صلاة الظهر».

ولكن رغم ذلك، خرج سماحته من البيت احتراماً للحاضرين، ولم يتمكن من عبور الشارع الفاصل بسبب الجموع الحاضرة هناك، ووقف خلف سياج البيت معتلياً أحد الكراسي، ونحن بدورنا أوصلنا أنفسنا إلى الجموع المحتشدة، ووقفنا مع الحاضرين للاستماع لخطاب السيد الإمام.

تحدث سماحة الإمام بكل صلابة وقوة كالعادة، وهنا في البداية الشعب الإيراني بمناسبة هروب الشاه من البلاد، وأعلن: «إن خروج الشاه من إيران يمثل المرحلة الأولى لسقوط عهده الإجرامي الذي تم

بفضل الجهاد البطولي للشعب الإيراني».. بعد ذلك أعلن سماحته أنه سيعلن برنامجه السياسي في بيان منفصل.

كذلك خاطب الشعب الإيراني قائلاً: «احذروا.. لأن أصل الخطر لم ينته بعد، حيث أن مشاكل كثيرة ستواجهنا مستقبلاً، لأن القضاء على التغلغل الأجنبي أهم من خروج الشاه من البلاد، وأن هذا الانتصار هو مقدمة لقطع دابر الأجانب من إيران، وحينها ستكون التهنئة والتبريك أكبر من هروب الشاه».

وأضاف سماحته: «ليعلم الشعب الإيراني أن الدولة التي تم تهديمها وإبادتها خلال خمسين عاماً من حكم أسرة بهلوى (محمد رضا شاه وابيه رضا خان) لا يمكن إعمارها بسهولة، لذا، لا بدّ لكل أبناء الشعب ومن كافة الاتجاهات والتيارات، أن يسعوا في هذا السبيل».. ثم دعا أبناء الشعب للمحافظة على النظام، وأن يصونوا الأوضاع، وأن يبادر الشباب الغيari إلى القيام بمسؤولية المحافظة على المدن والقرى والحدود، ولا يتبحروا مجالاً للعناصر الانتهازية والفووضية أن تستغل الأوضاع السائدة للقيام بأعمال الفوضى والشر في البلاد، وخاطب سماحته هذه العناصر قائلاً: «أحذر هذه العناصر غير المنضبطة من معبة أعمالهم الشريرة، لأن مصيرها حالكاً يتظارهم إن تمادوا في غيهم، وأن الله سيتوب عن التائبين، وأن الشعب سيعفوا عنهم إن عادوا إلى أحضانه وصفوفه»؛ ودعا في الختام أبناء الشعب إلى موصلة المظاهرات ضد الحكومة الغاصبة.. بعد ذلك غادر المكان لأداء الصلاة.

وقد رأيت بين الجموع عدداً من أبناء الجيران الفرنسيين الذين صادقناهم خلال هذه الفترة، فقدموا لنا التهاني بهذه المناسبة وأعربوا عن حزنهم وأسفهم في المقابل لأننا سنضطر لمعاذرة نوفل لوشاتو ونتركهم قريباً.

بالإضافة إلى الخطاب المقتضب، أصدر سماحة الإمام بياناً مهماً للشعب الإيراني^(١)، وصف فيه رحيل الشاه بأنه في الواقع هروب من إيران، وطالب الجيش بالتخلي عن دعم الشاه لأنه لن يعود إلى إيران ثانية.

كذلك أكد سماحته لأبناء الشعب الإيراني أنهم بفضل تضحياتهم واستقامتهم، سيتمكنون من التغلب على المشكلات مهما صعبت و يصلوا إلى الهدف المنشود. وطالبهم بمواصلة المظاهرات. وأوصى الشباب بالتعاون مع العناصر الأمنية وأفراد الشرطة الذين التحقوا بصفوف الناس، حفاظاً على الأمن والنظام في البلاد، وأن يتمتعوا عن القيام بأي عمل يخل بالأمن والنظام العام، أو رفع شعارات انحرافية تردد من قبل العناصر المغرضة وغير المنضبطة.

كما طلب سماحة الإمام من الفصائل السياسية ذات الميل المنحرفة، بالعودة إلى حضن الإسلام الدافئ، وصرح أننا نعتبر هؤلاء أخوة لنا. وأعلن أنه سيعرف قريباً الحكومة المؤقتة التي تعهد بمسؤولية إقامة الانتخابات والمصادقة على الدستور الإسلامي. وبشر الشعب في الختام، أنه سيكون بينهم في القريب العاجل.

كذلك وصلت في تلك الأيام أخبار تفيد بأن بعض الأشخاص يهاجمون، باسم قوى الثورة، السفارات الإيرانية في مختلف دول العالم، ولمعالجة هذه المشكلة كلف سماحته بعض الأشخاص للمحافظة على الوثائق الهامة الموجودة فيها، لا سيما وثائق السافاك، وذلك بالتعاون مع بعض موظفي هذه السفارات.

(١) أصدر الإمام الخميني هذا البيان بتاريخ ١٦/١/١٩٧٩م.



الدكتور يد الله سحابي

وكان قد مضى حوالي أربعة أشهر على بدء الإضرابات الشعبية التي شلت الاقتصاد الإيراني حيث تحمل أبناء الشعب، الصبورون، القانعون، المجاهدون.. أقسى الضغوط بسبب ذلك، وكانت الأخبار المرتبطة بهذا الموضوع، تؤلم سماحته كثيراً، مما دعا إلى تكليف لجنة برئاسة الدكتور يد الله سحابي^(١)، لمتابعة الأوضاع

السائدة في البلاد بسبب ذلك، لا سيّما وضع المضريين عن العمل في مختلف المراكز والمؤسسات الاقتصادية. ودعاهم كذلك، للتشاور مع الشخصيات الشعبية المؤثرة لاتهاج أفضل السبل الكفيلة بتقليل الخسائر التي يتحملها الناس جراء تلك الإضرابات بما يضمن من جانب آخر، استمرار هذه الإضرابات التي تضغط بشدة على النظام الغاصب للسلطة في البلاد^(٢).

إهانة صور المراجع

وصلنا في أحد الأيام خبر مفاده أن عمالء النظام يخططون للتغلغل في صفوف المشاركين في إحياء ذكرى الأربعين الحسيني (ع)، وإهانة صور المراجع وكبار علماء الدين، لا سيّما سماحة الإمام.. مما دعا

(١) الدكتور يد الله سحابي (١٩٠٥ - ١٩٨٢م) المولود في طهران، بعد نيله شهادة الثانوية غادر إيران إلى فرنسا لإكمال تحصيله العلمي حتى نال أول دكتوراه في العلوم في إيران وهو من مؤسسي (حركة تحرير إيران).

(٢) صدر هذا الحكم من قبل سماحة الإمام بتاريخ ١٧/١/١٩٧٩م.

إهانة لي أو لصوري أو يحاول إثارة الاضطرابات في هذه المراسيم بسبب ذلك، وهو لا يرضي الله جلّ وعلا».

كما أعلن سماحته أن آية إهانة للمراجع العظام، أو لصورهم، «يعتبر حرام شرعاً وخلاف لرضا الله تعالى، ومن يقوم بمثل هذا العمل غير المقبول، فهو من عملاء الأجانب أو من أزلام النظام»^(١).

غاندي الرجل العظيم

بعد عدة أيام من هروب الشاه من إيران التقى وقد هندي عالي المستوى، من قبل الحكومة الهندية، سماحة الإمام في نوفل لوشاتو^(٢)، حيث قدم التهاني والتبريك بهذا النصر الكبير واستقرار الديمقراطية في إيران، وأعلنوا استعدادهم للتعاون مع إيران.

من جانبهأشاد سماحة الإمام بالحكومة الهندية وشكرها على هذه المبادرة الإنسانية، وأشار للزعيم الهندي غاندي الذي نجح في قطع أيادي الأجانب عن بلاده. وأعرب عن أمله أن تكون الحكومة الهندية أول دولة تعترف رسمياً بالحكومة الإيرانية الجديدة.

كذلك أكد الوفد الهندي خلال اللقاء: «أن الحكومة الهندية تدعمكم، وكل الشعب الإيراني التواق للديمقراطية بشكل تام، رغم أن سياستنا هي الحياد الإيجابي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى، إلا أن ذلك لا يعني أننا لا ندعمكم».

قدم سماحة الإمام شكره للوفد الهندي وأشاد بحسن نواباهم

(١) صدر هذا البيان بتاريخ ١٧/١/١٩٧٩م /كتاب (صحيفة الإمام)، ج ٥ ص ٤٩٣.

(٢) جرى هذا اللقاء بتاريخ ١٧/١/١٩٧٩م.

وعواطفهم، وقال: «نحن كذلك نشد على أيديكم والشعب الهندي، ولأن انتفاضة الشعب الإيراني هي انتفاضة إنسانية، فإن كل إنسان حر وبفطرة سليمة، سيدعم هذه الانتفاضة ويقف إلى جانبها».

وبعد هذا اللقاء الودي عاتب سماحة الإمام الحكومة الباكستانية التي تضغط على شعبها بسبب دعمهم للشعب الإيراني المتنفس، وتلقى بهم في السجون. وأعلن سماحته عن رغبته بأن تبادر الحكومات التي تحترم حريات الشعوب إلى إدانة الحكومة الباكستانية بسبب هذا الموقف.

هذا وقد اعتُبر الوفد الهندي الرسمي، أول وفد حكومي أجنبي رسمي، يلتقي سماحة الإمام في نوبل لوشاتو. وكانت هذه الخطوة ذات أهمية كبيرة ومغزى عميق برأي بعض المراقبين آنذاك.

وقد أعلن سماحة الإمام، في ختام اللقاء، استعداده التام لإقامة العلاقات السياسية والاقتصادية المناسبة مع الحكومة الهندية لما في ذلك مصلحة البلدين والشعبين الإيراني والهندي.

لقاء سيد جلال الدين تهراني مع سماحة الإمام

سمعنا في أحد الأيام أن سيد جلال الدين تهراني^(١)، رئيس المجلس الملكي قد وصل باريس وطلب لقاء سماحة الإمام؛ واعتبر بعض المراقبين هذا الخبر حدثاً مهمّاً للغاية ومصيرياً للبلاد.. بعد أن وصل الخبر لسماحة الإمام قال: «لأني لا أقر بقانونية المجلس الملكي، لذا لن أستقبل رئيسي ما دام في هذا المنصب».

(١) سيد جلال الدين تهراني (١٩٩٦ - ١٩٨٧م)، عالم فلك ورياضيات وفقيه ورجل دولة، للتعرف عليه أكثر يمكن مراجعة الهاشم الثامن في نهاية الفصل.

أوصل السيد أحمد رأي سماحة الإمام للسيد تهراني، واقتصر عليه أن يستقيل من منصبه قبل لقاء سماحته، فقبل الاقتراح والتقوى بالسيد الإمام لقاءً قصيراً؛ ولم يعد السيد تهراني إلى إيران بعد اللقاء.

الإمام الخميني والصحفيين

دأب المراسلون والصحفيون الأجانب أحياناً، على طرح بعض الأسئلة على سماحة الإمام الذي لم يكن يرى من الصالح أن يجيب عليها بشكل كامل. وفي المقابل، فإن سماحته لم يكن يلجأ إلى الكذب حتى من النوع الأبيض كما يقال، حيث لا وجود لمثل هذه الأمور في ثقافة الإمام ونطحه الأخلاقي والثوري.. وفي مثل هذه الحالات كنا نتلذذ عندما ندقق بأجوبة سماحته، فمثلاً سأله مراسل التلفزة الفرنسية سماحة الإمام في إحدى المقابلات^(١): «سمعنا أن حالات الإضراب عن الطعام وصلت إلى داخل معسكرات الجيش الإيراني والوحدات العسكرية، ألا يدل ذلك على أن الجيش أصبح يميل لجانبكم»؟..

ولأن سماحة الإمام لم يكن متأكداً من صحة هذا الخبر، فلم يعطه إجابة واضحة إذ قال: «نأمل أن يعود الجيش إلى أحضان الشعب لأن صلاحه في ذلك، وأن لا يفكر بعد اليوم بالشاه الهارب بلا عودة، الشاه الذي خان الشعب وجعل الجيش مرتبطاً بغيره وشل اقتصاد البلاد»... وقد أثارت أجوبة الإمام دهشة الحاضرين.

كما سأله صحفي آخر: «إن الكثيرين من الإيرانيين، رغم إيمانهم بالإسلام، إلا أنهم لا يؤدون الفرائض الدينية الواجبة، كيف ستتعامل حكومتكم مستقبلاً مع مثل هؤلاء الناس»؟.. فأجاب سماحة الإمام:

(١) أجريت هذه المقابلة بتاريخ ١٩٧٩/١/١٩.

«بالطبع من واجبنا أن نرشد الناس لطريق السلامة والخلود، ولكنهم أحرار في حياتهم الخاصة إن لم يقبلوا بذلك، ولن نتصدى إلا لمن يتآمر على الشعب ويضر بمصالحه».

كذلك سأله مراسل آخر: «ألا يساوركم القلق من حرب داخلية في إيران يشعلها الجيش والشيوعيون»؟.. فأجابه سماحته بكل حسم، وبلا تردد: «إن مثل هذه الحرب لن تحدث في إيران. وأن الجيش سينضم عاجلاً أم آجلاً، إلى صفوف الشعب. بالطبع، فإن بعض السياسيين الإيرانيين يشاطرونكم الرأي ويخشون وقوع مثل ذلك ونقلوا قلقهم لي، إلا أنني أعتقد أن هذا القلق سببه الأجواء الكاذبة التي أوجدوها بأنفسهم.. كما أنها لستا قلقين كذلك من اليساريين، لأن من يرفع لواء ضد الإسلام لا فرصة أمامه في بلد يقدم أبناؤه دماءهم الزكية باسم القرآن وفي سبيل الله، ويجاهدون في هذه الطريق. إن الشعب الإيراني يريد الحرية والاستقلال ويعتقد أن ليس هناك سبيل آخر لنيل هذه الأهداف إلا في ظل الإسلام والالتزام بالقوانين الإسلامية».

متى العودة إلى إيران؟

اعتاد أكثر المراسلين إثارة موضوع عودة الإمام إلى إيران عند لقاءاتهم به، وسؤاله: «هل تقبلون دعوة بختيار»؟ وكان سماحته يجيب: «لا.. ولن ننتظر وصول دعوة من أي أحد، فسأذهب إلى إيران متى ما رأينا الصلاح في ذلك».

وكان الأخبار تتوالى في الوصول من داخل إيران، منها: «الدواير الحكومية شبه معطلة، الأسواق مغلقة وشلل كامل في الاقتصاد، والنفط يستخرج للاستهلاك الداخلي فقط وممنوع تصديره إلى الخارج بأمر سماحة الإمام، التيار الكهربائي مقطوع في بعض المناطق، والأعجب من كل

ذلك أن الطقس أقل بروادة مما اعتدنا عليه في مثل هذا الوقت من السنة، وقد عكس الناس ذلك في شعاراتهم في: إن الطقس أصبح مع الإمام والشعب الثائر. ولكن رغم كل ذلك، فإن الأوضاع مضطربة بشدة، والفوضى تعم كل مكان في إيران. وفضلاً عن المشاكل الحياتية والاجتماعية التي يعاني منها الناس، فإن فتن اختيار لم تتوقف ومكائد مستمرة، والبعض منها وصل إلى أسماع سماحة الإمام الذي شرحها ورد عليها من خلال البيانات والنداءات التي وجهها لأبناء الشعب.

دور الناس في الحكومة القادمة

إن قيادة سماحة الإمام لحركة الجماهير الإيرانية وإرشاداته لهم وللسياسيين، دعت المراسلين والصحفيين ليتساءلوا عن دور الناس وحصة التيارات السياسية المختلفة في الحكومة القادمة.. وكانوا يريدون أن يعرفوا ما هو دور الناس والأحزاب السياسية والأقليات القومية والدينية في الحكومة التي ستتشكل بعد انتصار الثورة؟ وكان سماحة الإمام يؤكّد في إجاباته أن حكومتنا ستكون مستندة لأصوات الشعب بل حتى أن نوع الحكومة سيحدده الناس.. ورغم أن أبناء الشعب أعلنا عن رأيهم في الحكومة القادمة من خلال الشعارات التي رفعوها في المظاهرات إلا أن نوع الحكومة سيتّحد من خلال إجراء استفتاء عام يشارك فيه جميع أبناء الشعب الإيراني طبقاً لأكثرية الأصوات.. كما أن على مسؤولي الحكومة أن يتّشاوروا مع نواب الشعب في اتخاذ القرارات.

كذلك، فإن نواب الشعب لن يكونوا من طبقة اجتماعية خاصة، بل سيتم انتخابهم من بين الناس أنفسهم، كما أن رعايا الأقليات الدينية سيكون لهم بشكل طبيعي، حقوقهم الخاصة بهم، ويحق لجميع الفصائل السياسية والأحزاب القانونية المشاركة في الانتخابات.

وبعد أن أجاب سماحة الإمام على السؤال المثار أمامه، فإنه خاطب المراسلين باعتباره زعيماً دينياً قائلاً: «نحن نعتقد أن الإسلام يمثل المدرسة الوحيدة التي بإمكانها إرشاد المجتمع وتضمن تطور ونمو وتكامل الشعب، ولو أراد العالم المعاصر أن يتخلص من آلاف المشاكل التي يواجهها ويحقق الحياة الإنسانية السليمة، فلا بد أن يتوجه نحو الإسلام».

برنامج الإمام الخميني اليومي في نوفل لوشاتو

تضاعفت نشاطات وأعمال سماحة الإمام في تلك الأيام؛ فبالإضافة للأعمال الروتينية السابقة التي اعتاد سماحته عليها، أضيفت إليها نشاطات وأعمال جديدة، منها الإجابة عن أسئلة أعضاء مجلس قيادة الثورة وتقديم الاستشارات اللازمية لتشكيل الحكومة المؤقتة وحل الاختلافات التي كانت تحدث، أحياناً، بين أعضاء المجلس، وهم: السادة بهشتى ومطهرى ومنتظري وطالقانى و.. وكان سماحته يدير أعمال المجلس من خلال توجيهاته التي كان يرسلها عن بعد. ومع توسيع وزيادة الأعمال والمهام ازداد تردد السيد أحمد على البيت لتبادل النداءات والأوامر والرسائل، مما أتاح لنا أن نراه أكثر من السابق، رغم أنه كان يأتينا ويعادرنا بسرعة، ولكن كان ذلك يكفياناً لنسعد برؤيته أكثر.

إلى جانب كل هذا النشاط والحركة والمهام، التي كان ينجذبها سماحة الإمام، إلا أنه لم يكن يغفل عن برنامجه اليومي المعتمد والاهتمام بأعضاء الأسرة، ولقاء الضيوف والقادمين من كل مكان. وكان يتحدث بكل محبة ومودة مع حفيده حسن الذي لم يكن عمره يتجاوز آنذاك سبع سنوات، ويداعب كذلك حفيده الأصغر ياسر ذي الأشهر المعدودة، بالإضافة إلى أداء عباداته وفرايشه الواجبة والمستحبة، والأذكار اليومية وتهجده، ونواقل الليل، وتلاوة القرآن المجيد وغيرها..



كذلك كان سماحته يلبي الكثير من الطلبات التي تصله، مثل قراءة خطبة العقد للأزواج الجدد، والتوقيع على بطاقة الذكرى، والدعاء للمرضى، والتتوسط لحل الاختلافات بين الأشخاص والعوائل، والإجابة على الأسئلة الشرعية...

الإمام الخميني في نوفل لوشاتو



الإمام الخميني مع السيد علي اشرافي والسيدة نعيمة اشرافي (نوفل لوشاتو)



من اليمين: السيد أحمد، عاطفة اشرافي، الإمام الخميني، مرتضى وعلي اشرافي
وآية الله اشرافي

من بين الأعمال التي كان سماحته ينجزها يومياً، أجوبته على الرسائل التي كانت تصله وبعضها يلفت النظر، مثلًا أذكر أن سيدة المانية بعثت رسالة إلى سماحة الإمام طلبت منه أن يرسل لها بطاقة عليها كلمات بخطه لتقديمها لزوجها في ذكرى مولده، وقد لبّي سماحته الطلب وخط بيده على بطاقة التهنئة بارك فيها هذه المناسبة ودعا لهما بال توفيق.

وخلال حواراتنا العائلية كنا نتناقل أمام سماحته بعض الأخبار المرّة والمحبطة، وكذلك تحليلات الشخصيات المتشائمة حول الثورة ومستقبلها واستحالة انتصارها، وكان سماحته يستمع إلى هذه الأحاديث بشكل جيد ودقة كبيرة وطمأنينة، وهدوء لا يمكن وصفه أبداً.

المواعظ الإلهية الخالدة

يوماً، وبينما كنا جالسين وسط جمع من المقربين، وصل السيد

أحمد وقال: «لقد طلب سماحة الإمام مني أن أخبر جميع الأشخاص الذين تواجدوا في نوفل لوشاتو، خلال الأشهر المنصرمة مثل الطلبة الجامعيين والسياسيين وغيرهم، أنَّ سماحته سيلتقيهم غداً».

ترك هذا الخبر حالة من الهيجان والنشاط والقلق، وكل واحد كان يظن نفسه أنه المخاطب في كلام سماحة الإمام، وكنا نرى آثار ذلك في وجوه الجميع، والكل كان يحاول أن يتبنَّى بما سيقوله سماحته غداً ويذكر توقعاته بشأن ذلك، وكانت اللحظات وال ساعات تمر ببطء وقلق واضطراب؛ وكلما كنا نقترب من موعد اللقاء، كان اضطرابنا يزداد، كذلك لم أوفق في رؤية سماحة الإمام خلال هذه الفترة، حتى أحصل منه على أي خبر ممكن.

وفي الموعد المقرر حضر سماحة الإمام واستقر في مكانه، وقدم شكره في مطلع كلامه^(١)، إلى كل من بذل جهداً خلال هذه الفترة، وسخر جهوده وإمكاناته في هذا السبيل. واعتذر كذلك منهم^(٢).

وقد أثار كلام سماحة الإمام مليء بالتواضع والمحبة والمودة للجميع، مشاعر الحاضرين. ودعا لهم بالعز والسعادة، كما تمنى أن توفر الظروف المساعدة ليعودوا في القريب العاجل لبلدهم ليخدموا أبناء شعبهم..

بعد أن أنهى سماحة الإمام الجزء الأول من كلامه الذي كان يبنيه عن قرب انتهاء مرحلة الهجرة والابتعاد عن الوطن، دعا سماحته الجميع إلى الوحدة بالقول: «إن الشعب الإيراني استطاع بفضل اتحاده ووحدة

(١) ألقى سماحة الإمام هذا الخطاب بتاريخ ٢١/١/١٩٧٩م.

(٢) لقد قام الطلبة والمقربون الأعزاء خلال هذه الفترة بأداء مهامهم التي كُلفوا بها وأداروا شؤون المكتب في نوفل لوشاتو بكل إخلاص ووفاء ومحبة وبشكل جيد للغاية.

صفوفه، أن يهز أركان قصور القوى العظمى ويسقطها ويرغم الشاه على الاعتذار أمامه ويتلو رسالة التوبة وطلب العفو من الشعب، ولكن رغم كل هذه الانتصارات التي حققناها حتى الآن، إلا أننا ما زلنا في منتصف الطريق».

وكان بعض السياسيين الذين كانوا قد شهدوا الانقلاب العسكري الذي نفذه عمالء أميركا في الثامن عشر من آب ١٩٥٣م، يخشون أن تعاد نفس المحاولة الانقلابية وبالتالي ينجحوا في إعادة الشاه للبلاد كما حدث قبل عدة سنوات.. وقد وصلت مثل هذه التحليلات المليئة بالقلق والخوف إلى أسماع سماحة الإمام، ولكي يطمئن الجميع ويزرع لديهم الثقة التامة بالنصر والمستقبل، قال بكل صراحة: «إن وحدة كلمتكم واتفاق رأيكم أديا إلى إحباط مخططات الشاه الذي كان يريد أن يطرد كل من لا ينتمي إلى حزب رستاخيز (البعث الايراني) من البلاد، لكن شعبنا المقاوم والصادم، تمكّن بفضل جهاده، أن يخرج الشاه من البلاد، وعليكم أن تطمئنوا أنه لن يعود ثانية إلى إيران ولن يتمكن أي أحد من إعادته إلى البلاد، لأنهم إن كان بإمكانهم أن يحافظوا عليه لفعلوا ذلك، لأن الحفاظ عليه أسهل من إعادته إلى البلاد.

وبعد أن تطرق سماحة الإمام إلى مواضيع مهمة أخرى، خاطب الحاضرين قائلاً: «أطالب الجميع أن يهتموا دائمًا بأمرين هامين للغاية كانا السبب الرئيسي لانتصاركم، وهما: وحدة كلمتكم واتفاق رأيكم وكذلك التوكل على الله جلّ وعلا. إنكم جميعاً صرختم في سبيل الله وطلبتم الإسلام وجahدتم لتحقيق الحرية والاستقلال والحكومة الإسلامية».. ثم خاطب الجميع بشكل جميل للغاية ووجه مشرق قائلاً: «أدعوكم للموعظة الإلهية الخالدة، وهي في الحقيقة موعظة الله سبحانه

وهي ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفَرَدَى﴾^(١) ..

وشرح سماحته المفاهيم الواردة في هذه الآية المباركة بشأن القيام الفردي والجماعي، وأهمية هذه الموعظة في احتواها على جميع الأوجه الإنسانية الطبيعية والاجتماعية والإلهية، فقال: «إن أردتم أن يكون قيامكم مفيداً، فلا بد أن يكون هذا القيام لله، حتى لا ينتهي إلى التفكير والتقييم. ويجب أن يكون جميع عزموكم وهمتكم، نحو نقطة واحدة وهي ما وراء الطبيعة، وفي مثل هذه الحالة فقط، يصبح قيامكم ونهضتكم إسلامية وخلدة، لأنه يستند لمسند لا يفنى أبداً».

بعد ذلك أوضح سماحته بأسلوب بسيط رائع، معياراً لتقييم الأمور قائلاً: «كلما شاهدتم تشتت الصفو في أي قيام أو نهضة، فاعلموا أن الله لا وجود له في مثل هذا القيام، لأن وحدة العقيدة توجد وحدة الكلمة، ووحدة الكلمة بدورها تحدث الوحدة في العمل».

بعد هذا الخطاب الهام، شعر الجميع أن مرحلة الهجرة والابتعاد عن الوطن ستنتهي في القريب العاجل.

الحكومة المطلوبة

تحدث سماحة الإمام في جمع ودّي اقتصر على أفراد العائلة، عن خصائص الحكومة المطلوبة من وجهة نظره حيث قال: «في ظل الحكومة الإسلامية يحق للناس انتقاد حكامهم ولا بد للحاكم أن يتقبل النقد؛ كما أننا في الحكومة التي نريد تأسيسها، نقتدي بما ذكره التاريخ بشأن الحاكم الذي كان يتفقد بنفسه بيوت الفقراء والمساكين ويلاعب اليتامي

(١) سورة سباء، الآية: ٤٦.

ويمزح معهم.. إننا نحب الحكومة التي كان الحكم فيها يجلس في المسجد ليستمع مباشرة لما يقوله الناس حول مختلف قضائهم؛ كذلك نريد الحكم الذي يطبق العدالة في المجتمع».

إن مثل هذه الحكومة كانت كالحلم بالنسبة لي، لأنني لم أر أو أسمع عن حكام، إلا حفنة من الدكتاتوريين الذين يصدرون أوامرهم من فوق لينفذها أبناء الشعب.

تذكرة وأنا استمع لمثل هذا الكلام الرائع، ما نقله لي شقيقتي جواد عن ما جرى له في اليوم الأول من دخوله الجيش لقضاء الخدمة العسكرية الإجبارية التي طالت كثيراً، حتى ظنت أنها عشرين عاماً! قال: «كانوا يلقنوننا منذ اليوم الأول من دخولنا الجيش (أنه لا مكان للسؤال عن سبب أي شيء تراه في الجيش) ويجب عليك أن تنفذ أي أمر يصدر إليك». سمعت فيما بعد أن هذا القانون لم يكن قانون الجيش، بل كان قانون الحكومة الشاهنشاهية بشكل عام.

وكنت أسمع أحياناً من بعض المقربين أخباراً عن كيفية انتخاب الوزراء والنواب وأبرز المسؤولين السياسيين والثقافيين، وذلك في الحفلات والآداب الباذخة التي تقام في المساء ويحضرها الكبار من أركان الحكومة، والمعيار هو مستوى الخدمات الخاصة التي يقدمها هؤلاء للكبار.

ولا زلت أذكر صدى أنين شابة تعمل في بيت إحدى الأسر المقربة، وقد نقلت لنا بألم وحسرة قصة والدها، فقالت أنه عندما كان والدها شاباً يخدم في الجيش الملكي، كلف في إحدى المرات أن يصل إحدى الأمانات لأسرة مرتبطة بالبلاط الشاهنشاهي، وقد أعجبت سيدة تلك الأسرة ب أناقة والدها وقوته الجسمية مما دعاها لطلب نقله من

المعسكر إلى بيتها ليخدمها ويلبي وبالتالي طلباتها اللامشروعه وغير الإنسانية، وقد أمضى سنوات الخدمة العسكرية في بيتها، وبالتالي نجحت هذه السيدة، في توريطه داخل أجواء الحفلات الصاخبة، وجعلته مدمناً على المخدرات والمشروبات الكحولية، وبعد عدة سنوات عاد إلى أسرته مدمناً ومريضاً بشتى الأوبئة والأمراض.

كذلك أتذكر أن أحد الثوريين المقربين، كان يقول إن أبناء الشعب برأي هؤلاء، لا يتمتعون بأية حقوق، وما يحصلون عليه هو في الواقع بفضل بركات ورحمة البلاط الملكي، ولا بد لهم أن يشكروا دوماً صاحب الجلالة المعظم!!.. كما أن النخب والعلماء يجب أن لا يتدخلوا في شؤون رجال الحكومة والمسؤولين عن إدارة الدولة، لأن الملوك هم أعرف من غيرهم بمصلحة بلدانهم.. وكانت الصورة التي انطبعت في ذهني عن الحكومة الشاهنشاهية قد مرت في مخيلتي كالفيلم الوثائقي والسينمائي.

رغم كل ذلك، فإني أسمع اليوم من سماحة الإمام إن الله جلّ وعلا هو المالك الأصلي للكون، وأن الناس جميعاً كبيرهم وصغيرهم، أميرهم ووزيرهم، متساوون في الحقوق أمام القانون.

وكلت أفكر مع نفسي كم هي جميلة ورائعة مثل هذه الحكومة. والأروع من كل ذلك أن يكون لدينا مثل هذا الحاكم. وكنت أسأله وأخاطب نفسي بالقول: هل من الممكن الوصول لمثل هذه الحكومة؟!.

العودة إلى إيران

بعد عدة أيام من هروب الشاه من البلاد، جاء السيد أحمد عند سماحة الإمام وقال له: «إن السيد موسوي خوئينها وأنا أيضاً، نعتقد بضرورة العودة جميعاً إلى إيران؛ حيث نرى أن الشاه الذي أبعد

سماحتكم عن البلاد قد هرب الآن إلى الخارج، وإن حالة الجيش مهتزة، والحكومة الحالية لا يمكن أن تقاوم، لذا نعتقد أن الظروف مساعدة لحضوركم في إيران.. قال سماحته: «أنا كذلك كنت أفكر في هذا الأمر، ولكن أرى ضرورة أن تستشيروا أيضاً، السادة في إيران: منتظمي، مطهرى، هاشمى، طاهري وطالقاني.

غادر السيد أحمد غرفة سماحة الإمام وعاد بعد فترة ليقول إنه اتصل معهم ولكن أكثرهم عارض الفكرة وقالوا إن الأوضاع خطيرة، والخطر جاد في طريق السيد الإمام وأن الحكومة ستقاوم، ولا زال الجيش وفياً للشاه ولا يمكن أن نعول عليه، لذا فإن مسيرة الثورة ستتعثر وتتأثر بشكل جاد إن تعرضوا لسماحة الإمام.

وهكذا بدأت النقاشات حول هذا الأمر الهام، والموافقون والمخالفون على رأيهم. وكل منهم له مبرراته الخاصة.

وبعد عدة أيام خاطب السيد أحمد سماحة الإمام قائلاً: «إن أصدقاءنا في طهران بعثوا لسماحتكم رسالة قالوا فيها إننا استمعنا لكلامكم حتى الآن وقبلنا بكل ما تفضلتم به، لذا نرجوكم أن تقبلوا هذه المرة مانقوله لكم. ابتسם سماحته وقال: «لن تخسروا إن أصغيتكم أيضاً هذه المرة لكلامي».

وخلال تلك اللحظات العصيبة والأيام الصعبة زار سماحة الإمام عدد كبير من الأشخاص الذين كانوا متلقين على أن عودة سماحته إلى إيران في مثل هذه الظروف مخاطرة غير محسوبة النتائج. وقد سمعت آنذاك، أن السيد عسكر أولادي^(١) وصل باريس مبعوثاً من قبل السيد

(١) حبيب الله عسكر أولادي؛ من تجار السوق وعضو حزب المؤتلفة الإسلامي، وعرف أنه من السياسيين الذين اعتقلوا خلال عهد الشاه وحكم عليه بالسجن =

بهشتی وغیره، والتقى سماحة الإمام وتباحث معه مطولاً حول مختلف الأمور شارحاً المخاطر التي تحيط بهذه العودة كما يعتقد بذلك علماء إيران وشخصيات البلاد البارزة..

كما تحدث مع السيد موسوی خوئینیها الذي يوافق فكرة عودة السيد الإمام إلى البلاد. ونقطة قلقهم الرئيسية كانت تدور حول احتمال تكرار الانقلاب العسكري المسؤول (١٨ آب ١٩٥٣م) بعد قضائهم على سماحة الإمام لا سمح الله، وانتهاء الثورة بهذا الشكل.

وفي معرض إجابته قال السيد موسوی خوئینیها له: «إنني لا أفكّر بهذا الشكل، ولا أرى أي تشابه بين الحادثتين، ثورة الإمام وانقلاب ١٨ آب العسكري، لأن سماحة الإمام ليس السيد مصدق، كما أن شعبنا الآن لا يشبه الناس الذين عاصروا تلك المرحلة التاريخية.. إن سماحة الإمام خلافاً للسيد مصدق، قال بقوه لا بدّ أن يرحل الشاه. وأكثر أبناء الشعب والعلماء والكسبة وتجار السوق، وقفوا مع سماحته والجميع ينفذ أوامر وتعليمات السيد الإمام ويشاركون في الاضرابات، لذلك، لا أرى وجود أي تشابه بين الحادثتين».

بعد حوالي ثلاثة أيام قال سماحة الإمام للسيد أحمد: «أرجو أن تقوم بالإجراءات اللازمة للعودة إلى البلاد، فلو كنت متربداً قليلاً في قراري هذا سابقاً، إلا أنني متأكد الآن، ومتيقن، أن لا بدّ أن أعود إلى إيران، فقد زارني خلال الأيام المنصرمة عدد من الأشخاص الذين طلبوا مني أن لا أعود إلى إيران، وأنا أعرف انهم لا يريدون النصر للشعب

= المؤبد. بعد الانتصار أصبح مندوباً عن طهران في مجلس الشورى الإسلامي في دورته الأولى وكذلك وزيراً للتجارة في حكومتي الشهيد رجائي والمهندس موسوی.

الإيراني، ولم يكونوا يعتقدون بالجهاد والثورة أبداً، إذن لماذا أصبحوا فجأة قلقين على حياتي؟!.

وقد شرح لنا سماحة الإمام تفاصيل لقائه مع أحد التجار الأميركيان الذي زاره خلال تلك الأيام قائلاً: «لقد زارني يوم أمس أحد الأشخاص وقدم نفسه على أنه تاجر أمريكي مناضل وهو ضمن مجموعة من المناضلين المسلمين الأميركيان المؤيدین للثورة الإسلامية.. كما زعم أنه ومجموعته في خدمة الثورة الإسلامية وقيادتها، وأعلن أنهم يتدرّبون حالياً على العمليات العسكرية ومستعدون لتقديم الدعم العسكري لنا إن احتجنا لهم داخل إيران.. وطلب في نهاية اللقاء أن نؤخر عودتنا إلى إيران حتى يكملوا تدريبهم العسكري وتكون مجموعتهم في خدمتنا».. تابع سماحة الإمام: إن هذا الشخص عرض تقديم معونات مالية لمساعدة أبناء الشعب الإيراني المضربين عن العمل منذ عدة أشهر، وهم حتماً بحاجة لهذه المعونات.

وقد خاطبه الإمام قائلاً: «لسنا بحاجة لدعمكم، ولو أردتم أن تقدموا دعماً مالياً للمجاهدين الإيرانيين يمكنكم تقديمها للجان التي شكلت داخل إيران لهذا الهدف».. وأضاف سماحته يقول: «لقد كان هذا الشخص يؤكد خلال اللقاء على أمرين: الأول أن يقدم المال لي والثاني حاول تغيير قراري في العودة إلى البلاد، ولكنني لم أشعر أنه كان صادقاً في كلامه، واعتقد أنه لم يكن من المناضلين الأميركيان أبداً، بل إنه كان في مهمة مكلف بها من الآخرين وهي أن يحول دون عودتي إلى إيران^(١).

بعد الاستماع لكلام سماحة الإمام بدأ كل منا بإعطاء تحليله الخاص حول الأوضاع المستجدة، فقد قلت: لربما يحق لكم أن تقولوا

(١) بعد عودتنا إلى إيران لم نسمع أو نر أي أثر له ولزملائه المناضلين أبداً!!.

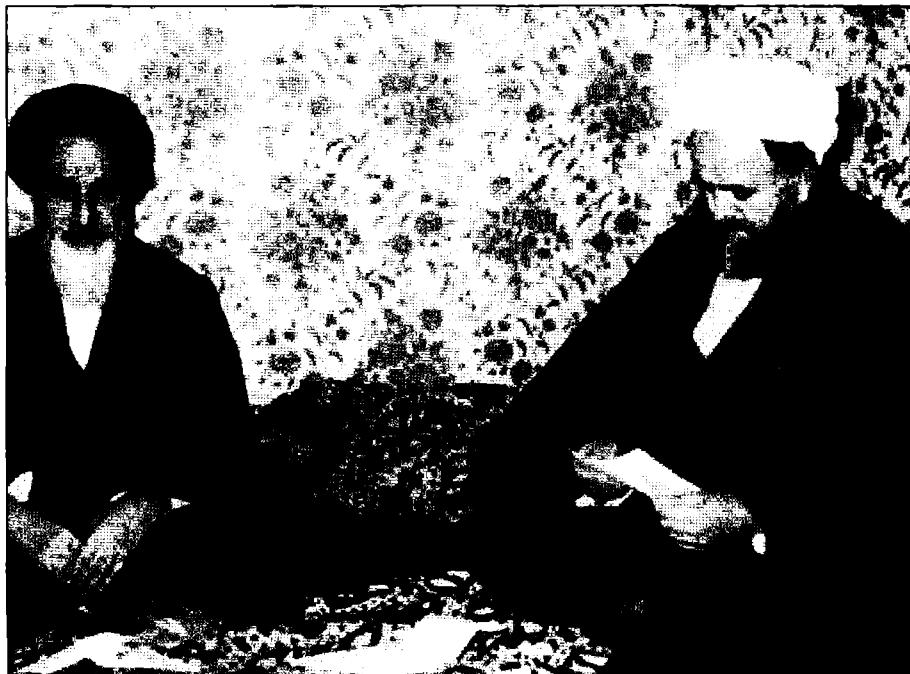
ما شئتم فيما يخص هذا الشخص الأميركي لأننا لا نعرفه، ولكن ماذا تقولون بشأن العديد من الأشخاص المعروفين والمؤثرين من داخل إيران الذين لهم نفس الرأي وهم يطالبونكم أن تعيدوا النظر بقراركم بشان العودة إلى البلاد، لأنهم يحتملون أن يقوم الجيش بانقلاب عسكري، وهم يقولون: صحيح أن الكثير من الجنود هربوا من معسكراتهم والاضرابات عن الطعام مؤكدة ومتواصلة في داخل المعسكرات، إلا أن الأوضاع لا زالت خطيرة ولا يمكن التنبؤ بمستقبلها أبداً.

فقال سماحة الإمام: «كما يأتي هؤلاء الأشخاص إلى هنا وينقلون إلينا رأيهم، فإنهم يذهبون إلى تلك الشخصيات داخل إيران ويقولون لهم نفس الشيء على اختلاف مواقعهم وأدوارهم».. وهكذا أثار انتشار خبر عودة سماحة الإمام إلى البلاد قلق الجميع.

وكلما كانت الأيام تمر كانت الضغوط الموجهة من قبل مختلف الشخصيات والفصائل السياسية في الداخل والخارج تزداد لإقناع سماحة الإمام بعدم العودة إلى إيران.. فالبعض كان يلتقي سماحته ويقول له إن عودتكم إلى البلاد ستضاعف سفك الدماء ويزداد قتل الناس؛ وأنذركم أحد المراسلين خلال حواره مع سماحة الإمام وصف عودته إلى إيران بأنها نوع من الجهاد، فأجابه سماحته قائلاً: «ليكن كذلك، ونحن لا نرى أية مشكلة في ذلك ولا نتأثر بمثل هذا الكلام، فلو كان مقدراً أن يسفك دمي في هذه الطريقة، فأنا أفضل أن يكون ذلك وأنا موجود إلى جانب الناس لا سيّما الشباب الإيراني».

رمزاً للانتصار

إن وقوع كل حادثة أو طرح أية قضية آنذاك، كانت تؤدي إلى ظهور الاختلاف في وجهات النظر بين الشخصيات والفصائل الناشطة



الإمام الخميني وآية الله اشرافي

والمتواجدة في الساحة، وكان السادة إشرافي وحسين الخميني والدكتور إبراهيم يزدي؛ بالإضافة إلى السيد أحمد، يقومون بإيصال آراء هؤلاء إلى السيد الإمام.

خاطب سماحة الإمام في أحد تلك الأيام الحاضرين بعد الانتهاء من صلاة الجمعة قائلاً: «أريد أن أذكركم بموضع مهم للغاية وهو أن تتركوا جانباً التعصب الحزبي والفتوي^(١)، وأن لا تفرقوا بين الجامعي وعالم الدين، لأن ذلك يضر الجميع.. فلو أنكم مسلمون حقاً ينبغي عليكم أن لا تسعوا لحذف بعضكم البعض، لأن رسول الله الأكرم محمد (ص) يقول: (يد الله مع الجماعة)، وثقوا أن اتحادكم هو الذي

(١) القى سماحة الإمام هذا الخطاب بتاريخ ٢١/١/١٩٧٩م في جموع الطلاب والإيرانيين المقيمين في الخارج.

أوصلكم إلى هنا وبفضله حققتم هذا النصر، لذا لا بد أن تحافظوا عليه حتى النهاية، وبذلك تقطع الأيدي الأجنبية عن بلدكم تماماً. ولو تفرقتم لأنهزمتم، ولو كنتم وطنين حقاً وتفكرتون بعقلكم، فإن الوطنية والعقل تدعوكم للابتعاد عن أي نوع من الاختلاف».

ثم خاطبهم بهدوء وتواضع قائلاً: «أرجوكم سواء كتم في إيران أو خارجها، أن تسعوا جميعاً من أجل تحقيق هدف واحد. ولا بد أن تنشطوا، جميعاً، تحت راية الإسلام، وابذلوا جهودكم وسخرواها من أجل تشييد دولة نموذجية، وانشروا الأخلاق الحسنة بينكم، وفكروا ببناء بلد لا يظلم أي أحد فيه، ولا تطمعوا بثروات الآخرين، ولا تظلموا أحداً كما لا تقبلوا أن يظلمكم أي أحد، كذلك ينبغي أن ترفضوا أي شيء يفرض عليكم كما لا ترفضوا أي أمر على الآخرين، إذن لا بد أن تخلصوا نواياكم وترضّوا صفوّ لكم وأن تكونوا معاً حتى يُنزل الله عليكم نصره المؤزر».

خطاب الوداع

سمعت في أحد الأيام أن سماحة الإمام طلب من السيد أحمد أن يجمع أعضاء مكتبه بعد صلاتي المغرب والعشاء ليخطب فيهم.. وبعد أن حان الموعد المقرر قال سماحته: «لقد بذلتكم جميعاً جهوداً كبيرة وأناأشكركم على ذلك. بالطبع، فإن أي عمل قمت به كان منكم وإليكم، وقد عملتم معاً وتطورت الأمور بالشكل المطلوب وينبغي أن تحافظوا على هذه الروحية وتعاونوا معاً في إدارة بلدكم وتشرفوا على أوضاعه وإن الشياطين سيتغلغلون في كل مكان».

ثم أشار سماحة الإمام إلى أهم ما تميز به عهد بهلوi وقال: «إن كل مصائب البلد بدأت عندما بدأ الشاه بإدارة البلاد حسب رأيه، وتحقيقاً

لمصالح الأجانب ولم يكن ملتزماً بالقانون، كما أن مسؤولي البلاد تابعواه في ذلك، والمجلس واصل المنهج ذاته ولم يكن نواب المجلس ملتزمين بالقانون، ولا بد أن ينتهي مثل هذا السلوك والتصريف في ظل الحكومة الإسلامية، وإذا كنا نريد لإيران أن تكون دولة متطرفة ومتحضرة بالمفهوم الحقيقي، وخالية من أي أثر للأجانب وال مجرمين والخائبين، فلا بد لجميع أبناء الشعب أن يبقوا في الساحة ويشرفوا على الأمور».

وفي الختام قدم سماحة الإمام اعتذاره مرة أخرى للجميع وأردف يقول: «سنعود قريباً إلى إيران، وكما أخبرت الدكتور يزدي، فإن هناك احتمالات لكل الأخطار، لذا لا أحب أن يخاطر أي شخص من أجلي، حيث سأعود أنا وولدي أحمد، وإن وصلنا إلى إيران دون أية مشاكل، سترacam هناك إن شاء الله، وإن حدث لي أي مكروه فلا بد أن تواصلوا المسيرة الجهادية من خلال حضوركم الفاعل في الساحة».

ارتفع صوت الحاج مهدي عراقي بالبكاء وشاطره جميع الحاضرين بالقول: «لن ترك سماحتكم لوحدهم، وسنكون معكم دائماً، وسنقبل بما يحدث لنا.. وتحدث أحد السادة الحاضرين بالنيابة عن السيدات قائلاً: «فهمنا من كلام سماحتكم إنكم لا ترغبون أن تكون السيدات معكم في هذه الرحلة؛ ولكن ألم تكن النساء في قافلة الإمام الحسين(ع)؟ وألم تكن السيدة زينب(ع) وأخواتها إلى جانب الإمام الحسين(ع) في تلك الرحلة؟! أجاب سماحته قائلاً: «إن الإمام الحسين(ع) كان حقاً هو الإمام الحسين(ع)، إلا أنني لا أرغب أن أكون برفقة السيدات، كما إنني أقول للرجال، إنني لا أحب أن يتحمل أي شخص أي مشقة من أجلي».

لقد سادت أجواء عجيبة آنذاك، والجميع دخل في حالة خاصة من المشاعر والأحساس التي لا توصف، فال أجواء كانت مليئة بالفرح

والقلق معاً، قلقون من مستقبل مجهول المصير. كما كانت العيون حيرى تذرف الدموع بكل غزارة وحرارة.. وقد قالت إحدى السيدات الحاضرات بهدوء: «هلرأيتم أدب وأخلاق سماحة الإمام؟ فهو لم يقل فيما يخص السيدات أنه لن يأخذن معه في هذه الرحلة، بل قال لا أرغب أن أكون برفقة السيدات».

إغلاق المطار

بعد قرار سماحة الإمام بالعودة إلى إيران، وصلنا خبر من طهران أن بختيار أغلق جميع المطارات. وقد وصف سماحته ذلك بأن هناك مؤامرة تحاك في الخفاء. وأن حكومة بختيار تهدف من ذلك إلى خلق ظروف مساعدة على إرجاع الشاه المخلوع الهارب، إلى البلاد مرة أخرى وبالتالي فرض حكمته الجائرة والطاغوتية ثانية على الشعب الإيراني الثائر، ولكن عليه أن يعلم إن إرادة الشعب الحديدية ستُفشل، أيضاً، بفضل الله وع翁ه، آخر مؤامراتهم^(١).

ازدادت مرة أخرى أعداد المراسلين والصحفيين في نوفل لوشاتو، وضاعف ذلك من حالة النشاط والحركة والازدحام في تلك المنطقة، وقد سأله أحد الصحفيين سماحته قائلاً: «هل من الممكن أن تصدر سماحتكم أوامره للناس بأن يحملوا السلاح لفتح المطارات أمامكم؟»؟ أجابه سماحته قائلاً: «لا أرغب حالياً بإصدار مثل هذا الأمر، وإن لزم ذلك سأقول لهم ماذا يفعلون».

كذلك وصلنا حينها خبر وصول أعداد كبيرة من الناس من شتى أنحاء إيران إلى العاصمة طهران للمشاركة في مراسم استقبال سماحة

(١) من نداء سماحة الإمام للشعب الإيراني بتاريخ ٢٥/١/١٩٧٩م.

الإمام مما دعا سماحته لإصدار بيان شكر فيه جموع الناس من أبناء المدن والقرى الذين وصلوا طهران، ومخاطبهم قائلاً: «شاركوا أبناء طهران في مظاهراتهم وافضحوا ظلم وجرائم الحكومة اللاقانونية والخداعية أمام الجميع».

وهكذا استمر سماحة الإمام بشكل جيد هذا الحضور الحاشر للناس في طهران ودعاهم للتظاهر ضد الحكومة اللاقانونية وأخبرهم أنه سيكون في طهران في أقرب فرصة ممكنة وسيشارك الشعب أفرادهم واتراهم وسيكون معهم في صف واحد للقضاء على خيانة الأجانب والعملاء. وأضاف سماحته قائلاً: «في هذه الطريق إنما سنثال هدفنا ونقيم الحق والعدل، أو سنفوز بالشهادة في هذا السبيل».

استمرار المشاورات حول رحلة العودة إلى إيران

تواصل الحوار والنقاش حول الرحلة المليئة بالمخاطر التي يزمع سماحة الإمام القيام بها والعودة إلى البلاد بالطبع، فإن الزملاء كانوا يفضلون أن لا يتحدثوا أمامنا بشأن هذه المخاطر، والملفت أن أغلبهم كان يقول إن القلق يزول ما أن تقع أعيننا على وجه سماحته ونكون في جانبه ولا نفكّر إلا بالعودة معه.

كذلك كانوا يقولون بصرامة إن وجودنا إلى جانب السيد الإمام يؤدي إلى أن تحول الحوادث الكبرى إلى حوادث صغيرة لا أثر لها. لذلك، فإن الأشخاص الذين لم يُعرفوا بمجازفهم معنوياً وروحياً، قرروا، أيضاً، أن يكونوا مع سماحة الإمام في هذه الرحلة، وطردوا الخوف من قلوبهم.

كما تناقشوا حول انتخاب الخطوط الجوية المناسبة. وبالتالي قرروا أن تتم الرحلة على الخطوط الجوية الفرنسية (ایر فرانس) لأنها تعتبر

شركة عريقة وذات سمعة طيبة. وللحفاظ على هذه السمعة ستتم الاحتياطات الأمنية الالزمة لمثل هذه الرحلة.

كذلك اقترح البعض أن يُخبر الصحفيون والمراسلون أن بإمكانهم مراقبة هذه الرحلة إن رغبوا بذلك. وما أن أعلن هذا الخبر حتى سجل حوالي مائتي صحفي أسماءهم وأعلنوا استعدادهم لتلك الرحلة، بالطبع فإن فكرة السماح للصحفيين والمراسلين لمرافقة سماحة الإمام في هذه الرحلة أكدتها السيد أحمد وباقى الأعزاء، لأن وجودهم سيوسع التغطية الإعلامية فضلاً عن مضاعفة درجة الحالة الأمنية للرحلة.

وكانت «السيدة دباغ» مريضة آنذاك وراقدة في المشفى، فطلب سماحة الإمام من السيد أحمد أن يتقدّمها هناك ويضعها في أجواء رحلة العودة إلى إيران.

وكانت حالة المهدوء والسكينة التي ميزت سماحة الإمام مشهودة كذلك، ولم يشعر أي أحد بوجود أي نسبة، ولو ضئيلة، من القلق والاضطراب والتوجّس على وجهه، وكنا نزداد هدوءاً وسكوناً كلما نظرنا إلى سماحته.

هذا وقد طلب سماحة الإمام من السيد إشراقي أن يبقى في نوفل لوشاتو ليواصل استضافته للضيوف الذين قدموا من شتى أنحاء العالم لزيارته، ليعود فيما بعد، برفقة السيدة أم أحمد وباقى أفراد أسرته إلى إيران.

وقد انزعج السيد إشراقي لأنه لن يتمكن من مراقبة سماحته في هذه الرحلة التاريخية، وكان يقول: «إن وجودي إلى جانب سماحة الإمام وتحمل أخطار هذه الرحلة، أسهل من البقاء هنا والانتظار».

كما أصدر سماحة الإمام أوامره بأن يتم إخبار أصحاب البيوت

المستأجرة، وكذلك الفندق الذي استخدم خلال هذه الفترة، أثنا على استعداد للتعويض عن آية خسائر لحقت بهم خلال هذه المدة، لا سيما بسبب زيادة تردد الضيوف إلى المنطقة. وقد طلب سكان نوفل لوشاتو الالقاء بسماحة الإمام بعد أن سمعوا عن قرب عودته إلى إيران، حيث أعرب سماحته عن احترامه ومحبته لهم واعتذر لهم بسبب المتاعب التي سببها خلال وجوده في منطقتهم.

الاستعداد للرحلة

كانت تلك الأيام مليئة بالقلق والاضطراب، وكان التوجس والقلق يزداد مع وصول الأخبار الجديدة، وكلّ منا يتعمق في التفكير، وكنا أحياناً نزداد شوقاً للعودة إلى البلاد مع سماع بعض الأخبار، وفي المقابل نزداد اضطرباً وقلقاً مع سماع أخبار أخرى.

أما الأجواء السائدة في البيت، فكانت غير مستقرة وثقيلة أحياناً، مع الاستماع لبعض التحليلات والمخاطر التي تنتظر هذه الرحلة، وهكذا كانت تلك اللحظات وال ساعات تمر بالقلق والاضطراب، وكان الجميع يتداول الحوار حول المخاطر المحتملة، فأحدهم كان يقول: «إن لا خطر يهدد الرحلة لأن فرنسا لا تخاطر بمثل هذه الأمور، إن هناك حوالي مائتي صحفي وإعلامي على متنه تلك الطائرة فضلاً عن سماحة الإمام ومرافقيه». والبعض الآخر كان يقول: «لربما تقوم إسرائيل أو دولة أخرى باختطاف الطائرة»، وآخرون يقولون: «إن آية دولة تريد القيام بذلك ستخبر الفرنسيين، أي أنهم لن يقوموا بمثل هذا العمل دون استشارة فرنسا، ف تكون النتيجة أن هذا الاحتمال ضعيف ويستبعد حدوثه.. إلا أن هناك احتمالاً أقوى وهو أن يلقى القبض على سماحة الإمام ومرافقه في المطار ويؤخذوا إلى مكان مجهول».

وفي تلك الأجواء وصلنا خبر من إيران أن بختيار اتخاذ قراراً بارتكاب مجازر جماعية بحق أبناء الشعب الإيراني، مما أدى إلى إشاعة حالة من الشك والتساؤل، فأحدهم قال: «إن أميركا لن تترك بختيار لوحده حيث أرسلت له مستشارين جدد لدعمه»، والبعض الآخر قال: «إن اجتماعات هامة تعقد في مناطق خارج إيران يشارك فيها كبار المسؤولين من مختلف الدول المعنية بالقضية الإيرانية، ومنها اجتماع عقد بمشاركة الرئيس الأميركي والباكستاني ورئيس الكونغرس في الولايات المتحدة الأمريكية، وتباحثوا حول إيران».. وكان البعض الآخر يقول: «إن حل الأزمة في إيران خرج من أيدي الزعماء الإيرانيين وأصبحت القضية تُبحث في أوساط عالمية خاصة». وهكذا كانت لحظات عجيبة ومحيرة وبعض هذه الأخبار والتحليلات كانت مُقنعة والبعض الآخر كان ينظر إليها على أنها تهديدات ليس إلا.

وكانت هذه الأخبار والتحليلات، تصل إلى أسماع الجميع، ومنهم سماحة الإمام الذي كان يواصل دعوته للناس بالصمود والاستقامة وتوسيع الاحتجاجات ضد النظام، كما دعا سماحته عناصر الجيش والموظفين بأن يرفضوا عار الخنوع والذل وعدم طاعة أوامر مسؤوليهم وغاصبي حقوق الناس، لأن الحكومة غير شرعية ولا قانونية ويجب أن لا يطيعونها بل ويستنكرون أعمالها لأن «طاعة الطاغوت حرام ومخالفة لرضا الله سبحانه وتعالى»^(١).

الإمام يشكر الحكومة الفرنسية

في آخر يوم من إقامته في فرنسا، بعث سماحة الإمام الخميني رسالة إلى الحكومة والشعب الفرنسي جاء فيها:

(١) من نداء سماحة الإمام للشعب بتاريخ ٢٨/١/١٩٧٩ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«في هذا الوقت الذي أريد أن أغادر بلدكم من أجل خدمة وطني بعد أن توقفنا هنا أربعة أشهر، أرى من الواجب علىي أن أوجه شكري للحكومة الفرنسية التي وفرت لنا أجواء الأمن وحرية التعبير عن الرأي. وكذلك لأهالي هذه المنطقة المحترمين الذين تحلووا بمشاعر إنسانية رائعة عبروا من خلالها عن حبهم للحرية والاستقلال لإيران، ونحن لن ننسى هذه الضيافة التي قدمت لنا من قبل الحكومة والشعب الفرنسي، فضلاً عن مشاعرهم التحررية التي قوبلنا بها، كما اعتذر لجيранا وأهالي نوفل لوشاتو عن الأتعاب التي تحملوها بسبينا.. آمل أن يقبلوا احترامنا وتكريمنا لهم».

٢ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ. ق

روح الله الموسوي الخميني^(١).

رحلتنا إلى المانيا

بعد أن يئسنا من مرافقة سماحة الإمام والسيد أحمد في تلك الرحلة التاريخية إلى إيران، اقترح شقيقتي صادق أن نذهب إلى ألمانيا للالتحاق بزوجته هناك حيث رزقها الله طفلاً كياسر، وأن يرافقنا إلى هناك ليودعها حتى يلحق بقافلة العائدين إلى إيران برفقة سماحة الإمام، وقد رحب السيد أحمد بهذا الاقتراح، وفرح أكثر لأن والدي سيرافقنا أيضاً إلى ألمانيا.

وهكذا حانت مرة أخرى لحظة الوداع العصيبة. وقد ودعنا سماحة الإمام والستة حرمه، ولكن كيف يمكن توديع السيد أحمد، إن النظارات

(١) كان ذلك بتاريخ ٣١/١٤٧٩م، كتاب صحيفة الإمام ج ٦ ص ٦.



السيدان حسن وياسر

التي تبادلناها في تلك اللحظة كانت أكثر تعبيراً من أي كلمة للوداع.. نظرات مليئة بالتوожس والقلق، وهي تعبر بشكل جيد عن مشاعرنا الصادقة.. مرة أخرى ستفترق على أمل اللقاء ولكن أين ومتى سيكون ذلك؟!!.. ولا نعرف كيف وكم من الوقت سنكون، أنا وحسن وياسر، بعيدين عن السيد أحمد!!..

حاولت أن لا أثير قلق السيد أحمد بهذا الشأن من خلال تصريفي في تلك اللحظة، إلا أنه كان أكثر قلقاً وتوجساً مني، فلقي على زوجته وولديه، وقليق على حياة سماحة الإمام، وأيضاً على الثورة.. وما يتظيرهم من مصير مجهول...

ركبنا القطار مساءً، وكان البرد شديداً في القطار، فكنا نرجم حتى الصباح، شقيقتي صادق أغارني معطفه واحتضنت صغيري ياسر، وركن حسن في إحدى الزوايا مع والدي الذي غطّاه بعبأته، وذهب

صادق بدوره إلى صالة المطعم وأمضى الليل هناك حتى الصباح.. وقد فقدت صبري في تلك الليلة وقلت لصادق: «أهذا هو الغرب الذي تحدثت لنا عنه مراراً؟!.. أين ذهبت إمكاناته ومظاهره؟!».. وواصلت كلامي المليء بالعتاب والضجر من تلك الحالة المزرية، و كنت أتذرع ببرودة الطقس في القطار ولكن قلبي وتفكيري كانا في الواقع في مكان آخر، وكان قلبي مليئاً بالأهات والحسرات وقد أفرغتها على شقيقتي صادق الذي كان يكتفي بالقول: «متى دافعت عن الغرب؟!».

وصلنا مع الصباح إلى ألمانيا وكان من المقرر أن تأتي زوجة السيد صادق لتأخذنا بسيارتها من المطار، إلا أنها انتظرنا نصف ساعة ولم نرها هناك، فاتصل بها شقيقتي صادق، فقالت له: إن الثلوج تملأ الشوارع ولا يمكن استخدام السيارة.. بدأت مرة أخرى بمعاتبة صادق، وكانت أقول له: «لماذا يعجزون عن فتح الطرقات والشوارع، ولماذا وو...؟!».

وأخيراً استأجرنا سيارة مجهزة بإطارات مقاومة للثلوج وغادرنا محطة القطار.. وبعد أن اطمأن شقيقتي صادق علينا بوصولنا إلى البيت عاد إلى فرنسا في نفس اليوم ليرافق سماحة الإمام في تلك الرحلة إلى طهران..

لقد بقينا هناك وبدأنا بمتابعة الأحداث ومراحل تلك الرحلة الخطيرة، وكانت وسائل الاتصال قليلة في تلك الأيام وتضاعف قلقنا، وكنا نلتقط إشارات المذيع بصعوبة لاسيما إذاعة طهران. وكانت التلفزة الألمانية تبث الأخبار التي تصب في صالحها. وكان الاتصال هاتفياً مع إيران صعب للغاية.

لم نفارق في تلك اللحظات جهاز الراديو والتلفزيون أبداً، وفجأة

التلفزيونية الألمانية ستبث الصور المرتبطة بوصول سماحة الإمام إلى طهران، وهكذا شاهدنا تلك الصور التاريخية وكانت لحظات تاريخية رائعة لن تكرر أبداً في تاريخ الشعوب، بل لن تحدث إلا مرة واحدة في تاريخ كل أمة، وشاهدت الملايين من أبناء الشعب الإيراني الأوقياء الذين هرعوا لاستقبال قائدتهم وإمامهم في مشهد تاريخي عظيم.

وهكذا عاد سماحة الإمام الخميني إلى وطنه بكل فخر وعظمة وروعة بعد فراق دام لأربعة عشر عاماً، وقد ذرفت الدموع بغزارة وأنا أشاهد مراسم الاستقبال التاريخي عبر شاشة التلفزيون حيث مشاعر الفخر والعز والفرح ملأت كل وجودي.

في أوج الانتصار وفي تلك اللحظات التاريخية كنت أرغب أن أكون حينها بين الناس في طهران لأشهد عن كثب ذلك الانتصار، وأكون إلى جانب سماحة الإمام، وكذلك إلى جانب السيد أحمد.

وشاطرني والذي نفس المشاعر والأحاسيس وهو يتحدث بفضل تجربته ومعرفته لحوادث التاريخ المعاصر، عن الأهمية الاستراتيجية لإيران في المنطقة والعالم، لا سيما أن أرض إيران تزخر بالثروات الطبيعية كالنفط والغاز و... وطلب منا أن ندعوا الله بكل إخلاص أن يمن على إيران بالعز والاستقلال.

ورغم أنني كنت متفائلة دوماً وأنا وسط الأحداث وأتابعها الآن، ولكن من خلال قراءتي للمستقبل وسماعي لتحليلات بعض الزملاء والأعزاء، كنت قلقة بشدة وأفكر مع نفسي وأتساءل:

هل الجهاد والكفاح سيتحقق مع وصول سماحة الإمام إلى إيران؟

هل الأخطار لا تهدد حياة الإمام بعد الآن؟

هل إيران ستتصان من مؤامرات الأعداء؟

هل دماء الشعب الإيراني الكريم ستتوقف عن النزف من أجل الحرية؟

هل النفي ودخول السجون والاعتقال لن يكون بعد اليوم مآل من يدافع عن حقوق الناس؟

هل حكومة الجمهورية الإسلامية ستتحقق فعلاً؟

وأسئلة أخرى كثيرة، بل الآلاف منها حملتها كالعادة إلى والدي ولجأت إليه كما اعتدت على ذلك في منعطفات حياتي وكلما كنت أتضائق، فأصغيت له يقول: «ابني.. لا بد أن تلجأي إلى القرآن الكريم في مثل هذه الأوضاع، فالحديث الشريف يقول: «إذا التبست عليكم الفتنة قطعوا الليل المظلم، فعليكم بالقرآن»^(١).

فتحت القرآن الكريم، فخرجت هذه الآية المباركة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَخْرُقُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٢)..

ولم تنته القصة بعد، فقصولها مستمرة مع استمرار الثورة والحياة..

والسلام....

(١) كتاب (وسائل الشيعة)، ج ٤ ص ٨٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.



الإمام الخميني والمؤلفة



لقاء المؤلفة مع السيد شولاتور مراسل التلفزيون الألماني في طهران/
عام ٢٠١٠ م

الهوامش

١ - الدكتور أبو الحسن بنى صدر هو نجل آية الله نصر الله بنى صدر؛ أنهى دراسته الجامعية في جامعة طهران فرع الاقتصاد والحقوق الإسلامية وتم اعتقاله بسبب نشاطاته السياسية، وبعد إطلاق سراحه غادر إلى فرنسا وأكمل تحصيله الجامعي في جامعة السوربون ونال شهادة الدكتوراه منها.

كان ضمن مستقبلي سماحة الإمام عند وصوله باريس وظل ملازمًا له خلال وجوده هناك. وبعد انتصار الثورة الإسلامية تقلد منصب مساعد وزير الاقتصاد في الحكومة المؤقتة قبل أن يصبح وزيراً للاقتصاد والشؤون المالية.

بعد استقالة الحكومة المؤقتة رشح نفسه في انتخابات رئاسة الجمهورية بدورتها الأولى وأصبح أول رئيس للجمهورية الإسلامية بعد أن حصل على أحد عشر مليون صوتاً بتاريخ ٢٤/١/١٩٨٠م ولكن بعد سنه و عدة أشهر صوت مجلس الشورى الإسلامي بعدم أهلية السياسية وتم إقالته من منصب الرئاسة.

قضى حوالي خمسة أسابيع متخفياً قبل أن يهرب برفقة مسعود رجوي رئيس منظمة مجاهدي الشعب (المنافقين) بتاريخ ٢٨/٧/١٩٨١م على طائرة بوينغ ٧٠٧ قادها العقيد معزى الطيار الخاص للشاه، وأقلعت من طهران نحو باريس، وكان العقيد معزى قد عاد إلى طهران

في كانون الأول ١٩٧٨م بعد أن أوصل الشاه إلى مصر ومن ثم إلى المغرب بعد أن تظاهر بتأييده للثورة الإسلامية.

٢ - الحاج مهدي عراقي: ولد عام ١٩٣٠م في طهران وانضم إلى صفوف اللجنة المركزية لتنظيم فدائني الإسلام وعمره ١٦ عاماً.. بعد أن اعتقل الشهيد نواب صفوی من قبل نظام الشاه وألقى السجن، نفذ السيد عراقي مع ٣٥٣ شخصاً من زملائه إضراباً في سجن القصر، وبعد استشهاد السيد نواب صفوی قام السيد عراقي في العام ١٩٦٢م، مع جمع من زملائه، بتأسيس تنظيم (المؤتلفة الإسلامية) ولعبوا دوراً رئيسياً في انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٣ من خلال المظاهرات التي قادوها في طهران ضد نظام الشاه البائد. وتم اعتقاله عام ١٩٦٤م ومكث ثلاثة أشهر في السجن.

في شباط عام ١٩٦٥م نفذ الجناح العسكري للمؤتلفة بإشراف السيد مهدي عراقي، عملية اغتيال رئيس الوزراء حسن علي منصور الذي طبق قانون الكابيتولاسيون الذي يمنع الحصانة القانونية للأميركان في إيران، بمشاركة السادة بخارائي وأمانی ونیک نجاد ورضا صفار هرندي. بعد هذه العملية الناجحة التي نفذها السيد بخارائي ألقى القبض على جميع أعضاء المجموعة وحكموا بالسجن المؤبد، وعرف السيد عراقي باستقامته ومعنياته العالية في السجن، كما عرف بذكائه الحاد ونشاطه الواسع وتعامله الحسن والودود مع زملائه في السجن.

أطلق سراحه في العام ١٩٧٦م وواصل كفاحه ضد نظام الشاه؛ وبعد أن هاجر سماحة الإمام من النجف إلى باريس أواخر عام ١٩٧٨م التحق السيد مهدي عراقي بسماحته وتعهد هناك بمسؤولية إدارة بعض

أعمال ونشاطات نوفل لوشا تو، بعدها عاد مع سماحته إلى طهران في تلك الرحلة التاريخية المعروفة.. وأخيراً تعرض السيد مهدي عراقي برفقة نجله إحسان في أيلول عام ١٩٧٩م إلى عملية اغتيال، استشهاداً على أثرها، نُفذت من قبل فصيل الفرقان الإرهابي، وكان عمره آنذاك ثمانية وأربعين عاماً، أمضى خمسة عشر عاماً منها في سجون الشاه البائد.

٣ - نص الرسالة التي بعثها سماحة الإمام الخميني تزامناً مع مولد السيد المسيح (ع) بتاريخ ٢٢/١٢/١٩٧٨م كالتالي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«صلوات الله الأعظم وسلامه على سيدنا عيسى بن مریم روح الله والنبي العظيم الذي كان يحيي الموتى ويوقظ النائمين (باذن الله)!، وصلوات الله وسلامه على أمه العظيمة السيدة مریم العذراء الصديقة الحوراء التي منحت ظمآن الرحمة الإلهية مثل هذا الابن العظيم بفضل تلك النفخة الإلهية!.. تحية لرجال الدين والأئم والرهبان الذين يدعون بتعاليم عيسى المسيح الأنفس التائهة إلى الهدوء والسكون!.. تحية لأبناء الشعوب المسيحية الحرة التي تلتزم بتعاليم السماوية لعيسى روح الله!.

أطالبكم باسم الشعب الإيراني المظلوم أنتم التابعين لتعاليم السيد المسيح (ع) أن تدعوا في أيامكم المباركة هذه لشعبنا الذي يخضع لجور سلطان ظالم وتطلبوا من الله العظيم أن يفرج عنهم.

كما أطلب منكم، أيتها الأمة العظيمة، أن تحذروا قادة بعض الدول المسيحية الذين يدافعون بقوتهم الشيطانية عن الشاه الجائر الذي يسعى بظلمه من أجل تدمير شعب ثائر وأن تدعونهم إلى تعاليم السيد المسيح (ع).

كذلك أطلب من رجال الدين المسيحيين أن ينصحوا زعماء بعض الدول المقتدرة ويدينوا كل أنواع الدعم الذي يقدمونه لمن يخالف كل تعاليم السماء. فالقرآن الكريم ذكر السيد المسيح بكل عظمة ونَّزَّهَ السيدة مريم (ع) من كل سوء، فلا بدّ لأنّه يتابع السيد المسيح (ع) الوفاء بدينهم للMuslimين، والسلام^(١).

(روح الله الموسوي الخميني)

٤ - محمد حسين هيكل من مواليد مصر عام ١٩٢٣م، أنهى دراسته الجامعية في جامعة القاهرة قسم الصحافة والاقتصاد.. عمل بدءاً كمراسل حربي ثم تدرج في مهنته وأجاد فيها ليصبح صحفيًا محترفاً وسافر إلى شتى دول العالم لإعداد الأخبار وتغطية أهم الأحداث وإجراء المقابلات الصحفية.

حصل هيكل، وهو في الخامسة والعشرين من عمره، على جائزة الملك فاروق في الصحافة والإعلام، بعدها تقلد منصب رئيس تحرير صحيفة الإهرام التي كانت تطبع مليون نسخة حينها.. وكان من المقربين من جمال عبد الناصر ونشر مذكراته بعنوان (فلسفة الثورة) وعمل كأحد مستشاريه السياسيين والإعلاميين. بعد وفاة عبد الناصر لم تلتقي أفكاره مع خليفة السادات الذي انتقده مراراً مما أدى به إلى السجن وأدى اعتقاله إلى غضب واحتجاج دولي مما أرغمه على إطلاق سراحه. سافر السيد هيكل عدة مرات إلى إيران والتقى كبار رجال الثورة الإسلامية ومسؤولي الحكومة الإسلامية ونشر كتابه المعروف (إيران، القصة الناقصة) بعد انتصار الثورة الإسلامية.

(١) كتاب (صحيفة الإمام)، ج ٥ ص ٢٧٢.

٥ - آية الله الشيخ الحاج حسين غفارى: بدأ نشاطه السياسي في العام ١٩٦٢م من مسجد الهدى بطهران حيث كان يوم المصلين فيه. ألقى عدة خطابات حماسية ضد قانون جمعيات المدن والمحافظات.

بعد حادثة الفيوضة في مدينة قم ألقى السافاك القبض على عشرات العلماء والطلبة ومنهم آية الله غفارى الذي هو جم بيته ومكث لفترة في السجن، وبعد إطلاق سراحه واصل جهاده السياسي ضد الشاه.

استشهد داخل السجن بتاريخ ٢٦/١٢/١٩٧٤م إثر التعذيب الجسدي الشديد الذي تعرض له هناك مثل قلع الأظافر والأسنان وتهشيم العظام وغيرها.

حاول السافاك أن يدفن جسده سراً بعيداً عن أنظار الناس إلا أن أبناء قم المقدسة عرفوا ذلك فأقاموا له تشييعاً مهيناً، كما أقام له آية الله الكلبايكاني مراسيم تأبينية في مسجد الأعظم بمدينة قم المقدسة.

٦ - الدكتور شولاتور شخصية موقرة ورزينة ويتميز بذكاء وذاكرة جيدة، وعندما التقى به كان عمره ستة وثمانين عاماً ولكنه كان نشيطاً وفعالاً، طلبت منه أن يحدثني عن ذكرياته في نوفل لوشاتو فقال:

وقد وقعت منذ اللحظة الأولى تحت تأثير جاذبية شخصية سماحة الإمام، فقد رأيته إنساناً بشخصية قوية جذابة وذي عزيمة وإرادة واستقامة.

فقد سأله: هل إن هناك نموذجاً في العالم تستند إليه في الحكومة التي تزمع إقامتها؟ فأجاب السيد الإمام: كلا، فسألته: هل تعتبرون الحكومة القائمة في السعودية المستندة للشريعة نموذجاً حكومياً قريباً من النظام الذي تريدون إقامته في إيران؟ فقال أيضاً: كلا؛ فقلت له: إذن ما

هي المبادئ التي سيعتمد عليها النظام التنفيذي لحكومتكم؟ فأوضح سماحته قائلاً: إن الحكومة التي نسعى لإقامتها في إيران ليست سوى ما يريده أكثريه أبناء الشعب الإيراني، إنه نظام مستند لآراء الشعب وتقام فيه الانتخابات الحرة التي من خلالها يتم انتخاب المسؤولين الكبار في الدولة بدءاً من القائد ورئيس الجمهورية وحتى نواب مجلس الشورى الإسلامي.

النقطة المهمة في حديث سماحته كانت الدور البارز الذي كان يراه للمدرسة القانونية والفقهية للعلماء الإيرانيين حيث قال: «إن أبناء الشعب الإيراني يريدون استقرار الضوابط والمعايير الدينية في المجتمع، لهذا فإن حكومتنا ستدار استناداً للقوانين الإسلامية التي هي متقدمة للغاية».

سألت الدكتور شولاتور عن الصورة التي يحملها في ذهنه عن سماحة الإمام من خلال لقاءاته المتعددة معه، فنقل إحدى ذكرياته عن لقائه مع السيد الإمام خلال الرحلة التاريخية التي كان موجوداً فيها من باريس إلى طهران.

وكنت قد سمعت أن شقيقه صادق كان قد دعاه إلى الطابق العلوي في الطائرة حيث مكان استراحة وعبادة سماحة الإمام ليسجل اللحظات النهاية لرحلة الإمام إلى طهران.

فقال الدكتور شولاتور: تم اللقاء في آخر لحظات تلك الليلة حيث كان سماحة الإمام قد انتهى لتوه من أداء الصلاة ولم أر في وجهه أية آثار للتعب والإرهاق أو القلق، بل كان بالعكس يبدو بشوشًا ونشيطاً، حيث تحاورت معه بأمور عامة، والحوار كان أكثره مجاملات. بعد ذلك تحدث السيد صادق مع سماحته بشكل مختصر ثم خاطبني قائلاً: أريد

أن أضع ملفاً كأمانة لديك أرجو أن تحفظ به حتى يتم الاتصال معك فيما بعد لو تعرضنا لأية حادثة غير متوقعة في طهران أو تم اعتقالنا أو حتى قتلنا أو أي أمر طارئ آخر، ولكن إن وصلنا بسلام إلى طهران وخرجنا من المطار دون مشاكل أرجو أن تعده لي»، فسلمني السيد صادق ملفاً أصفرأً. وقد صور السيد (كافمن) المصور المرافق لي تلك اللحظة.

وأضاف يقول: بعد ذلك التقى السيد صادق وأعدت الملف له. بعد عدة أشهر أخبرني أن ذلك الملف كان يحتوي على مسودة الدستور الإسلامي الذي دون في باريس.

وهنا قال الدكتور شولاتور بفخر مشوب بالغرور: وهكذا فإني تشرفت بأن أكون حافظاً لدستور الجمهورية الإسلامية لمدة ساعتين تقريباً.

وخلال لقائي معه نقل الدكتور شولاتور حادثة أخرى لا زال يتذكرها جرت خلال الأشهر الأربع التي أمضتها السيد الإمام في نوفل لوشاتو، فقال: سافرت إلى طهران لتصوير مظاهرات تاسوعاء وعاشوراء وأنجزت ما ذهبت من أجله، وبعد أن عدت إلى باريس زارني في مكتبي السيد أحمد والدكتور صادق طباطبائي وشاهدا الأفلام التي صورتها، وفي الختام سألني السيد أحمد: «هل من الممكن أن تأخذ الأفلام إلى نوفل لوشاتو ليشاهدها السيد الإمام؟.. تم الإعداد لذلك من الناحية الفنية والتقنية وتم عرض الأفلام التي صورناها في طهران مع تحليل وضعناه عليها إمام سماحته في غرفته، وكان السيد صادق يترجم التعليق من الفرنسية للفارسية، وهكذا أعددنا ذلك بفترة قياسية للغاية رغم قلة الإمكانيات الفنية والتقنية المتوفرة آنذاك.. وقد شاهدت كيف أن سماحته

فرح للغاية بعد مشاهدة الأفلام التي صورناها عن تلك المظاهرات الحاشدة لا سيما حضور ومشاركة علماء الدين فيها.

وقد ذكر الدكتور شولاتور السيد أحمد باحترام ومحبة وقال: لقد كان شاباً نشيطاً وصادقاً ومحمساً ولا زلت أحمل في ذهني ذكرى طيبة عن شخصيته الحنينة واللقة والمحترمة.

يُذكر أن الدكتور شولاتور له مؤلفات عديدة، وقد ترجم قسم منها إلى الفارسية مثل: (إيران مركز الزلزال الأرضية) والعنوان يشير إلى وصف رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق بيغن للثورة الإسلامية حين انتصارها بأنها هزة أرضية في الشرق الأوسط.

كذلك التقى السيد شولاتور مرات عدّة مع سماحة الإمام بعد انتصار الثورة الإسلامية.

٧ - بعد عودة الإمام الخميني إلى إيران وانتصار الثورة الإسلامية تم الحديث كثيراً عن الدستور الإسلامي، فالعدد الأكبر من المقربين ومُؤولي النظام كانوا يعتقدون أن المسودة التي دونت في باريس ووافق عليها كذلك المراجع يمكن عرضها للاستفتاء الشعبي، وقد قبل سماحة الإمام هذه الفكرة، إلا أن المهندس بازركان أصر أن يشكل مجلس خبراء يقوم بتدوين دستور للجمهورية الإسلامية، وكان يقول إن تدوين الدستور يعتبر مشروع مهم للبلاد ولا بد أن يشارك كبار الخبراء في تدوينه حتى لا يقال إن شخصاً واحداً قام بتدوينه..

وفي النهاية تمت الموافقة على رأي المهندس بازركان وانتخب الناس خباء المجلس الذين دونوا الدستور الإسلامي.

من المواضيع التي تم الاختلاف بشأنها بين المسودة والنص الذي

صودق عليه، يرتبط بـ (ولاية الفقيه)، حيث سمعت أن الدكتور حبيبي كان قد استخرج مبدأ (إشراف الفقيه) على مجموع عمل الحكومة من كتاب (كشف الأسرار) لسماحة الإمام، وثبت ذلك في المسودة، وقبل سماحة الإمام بذلك.. ولكن في مجلس الخبراء استخرج آية الله منتظرى مبدأ (ولاية الفقيه) على مجموع عمل الحكومة من دروس سماحة الإمام التي كان يلقاها في النجف الأشرف حول الحكومة الإسلامية وكان يوضح ذلك في مناقشات المجلس، وقد قوبل بأراء متفاوتة بين القبول والرفض خلال المجتمعات.

وكان والدي الذي كان من أعضاء مجلس الخبراء ينقل لنا أحياناً جانباً من المناقشات التي تدور في المجتمعات.. حيث كان غالباً يتناقش مع آية الله منتظرى ويعرض آرائه في اللجان المختصة التابعة للمجلس..

وكان والدي يرى أن بعض بنود ومواد المسودة أكمل من غيرها؛ وكان ينقلها لسماحة الإمام خلال لقاءاته المتعددة معه، إلا أن سماحته لم يكن يرغب في التدخل والتأثير على آراء الخبراء وكان يعتقد أن الخبراء ينبغي أن يتبعوا الأمور بسلطان كامل وذهنية حرة ويناقشوا الأمور في أجواء علمية بحثة وإشباعها بحثاً قبل التصويت عليها في النهاية.

٨ - سيد جلال الدين تهراني: تقلد عدة مرات منصب الوزير والسناتور، كما تقلد منصب السناتور المعين عن طهران في الدورة الرابعة لمجلس الأعيان خلال الأعوام ١٩٦٣ - ١٩٦٧.

وكان يعرف بأنه يعطي الرأي الممتنع غالباً على اللوائح التي تقدم للمجلس، كما يُعرف بأنه السناتور الوحيد الذي خالف لائحة منح الحصانة للمستشارين الأميركيين التي أصبحت قانوناً فيما بعد.

بعد إنتهاء دراسته الأولية، اهتم بعلم الفلك وأصدر عدة دوريات

في هذا الموضوع، كما جمع مجموعة لا مثيل لها للآلات وأدوات علم الفلك وأوقفها فيما بعد، لمتحف الروضة الرضوية المقدسة.

في اجتماع عقده المجلس الملكي بتاريخ ١٥/١/١٩٧٩م عينه الشاه رئيساً لهذا المجلس، ولكن بعد يومين من هروب الشاه من إيران سافر السيد تهراني إلى باريس لقاء سماحة الإمام، حيث اشترط سماحته لللقاء أن يستقيل من هذا المنصب، وقد وافق على ذلك وقدم استقالته قبل لقاء سماحته.

وكان نص الاستقالة كالتالي:

يوم الأحد ١١/١/١٣٥٧ هـ. ش

م ١٩٧٩/١/٢٠

٢٢ صفر المظفر ١٣٩٩ هـ. ق

إن قبول منصب رئاسة المجلس الملكي كان فقط من أجل حفظ مصالح البلاد وضمان الهدوء في المجتمع، إلا أن المجلس الملكي لم يعقد اجتماعاته بسبب سفري إلى باريس لنيل الهدف الرئيس.. وخلال هذه الفترة تغيرت بسرعة الأوضاع الداخلية في إيران بحيث أني واحتراماً للرأي العام، ونظرًا لفتوى سماحة آية الله العظمى الخميني (دامت بركاته) بعدم قانونية هذا المجلس، أعلن لا قانونية هذا المجلس واستقالتي منه. أدعوا الله وكذلك (أتول) بأجدادي الطاهرين والأرواح المقدسة لأولياء الإسلام أن تصان دولة إيران المسلمة في ظل عناية إمام العصر والزمان (عجل الله فرجه) من كل بلاء وأن يحفظ استقلال وطننا العزيز.

محمد الحسيني سيد جلال تهراني